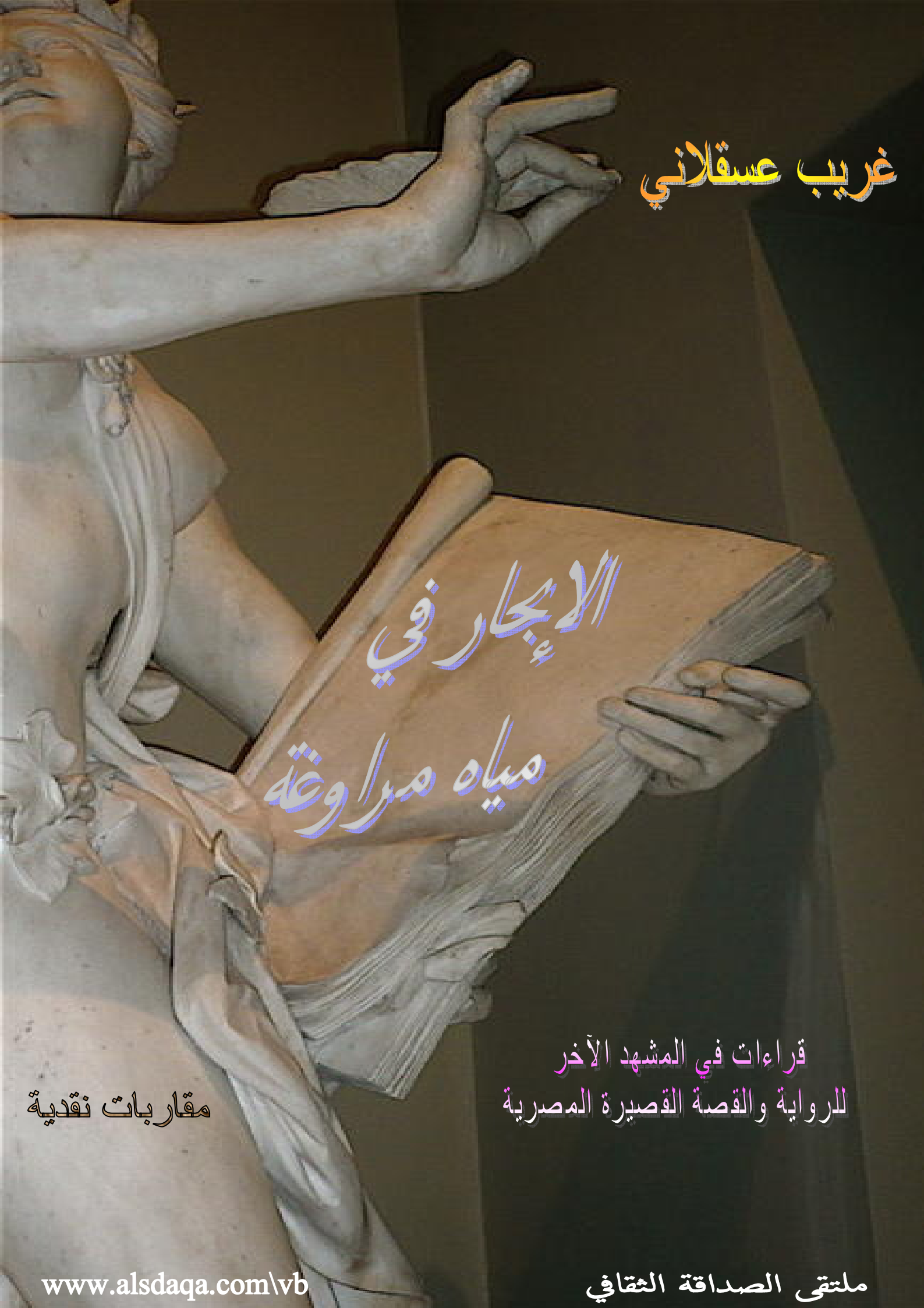

غريب عسقلاني

الإبحار في مياه مراوغة

قراءات في المشهد الآخر
للرواية والقصة القصيرة المصرية

مقاربات نقدية

www.alsdaqa.com\vb
ملتقى الصداقة الثقافي

إهداء

إلى المبدعين المؤرقين بالفن, الباحثين عن حياة أخرى, الذين أخذوني إلى المتعة والدهشة ولذة الاكتشاف.

فوزيه مهران, سهير المصادفة, بشرى أبو شرار, حنان سعيد, منى عارف, آمال الشاذلي, نجلاء محرم, منى الشيمي, مي خالد, نادية كيلاني, سحر توفيق, منى سالم, تهاني مرسى, مصطفى نصر,عبد الفتاح مرسي, فؤاد الحلو, محسن الغمري, محمد خيرى حلمي , احمد حميده, شريف محي الدين, خالد السروجي, محمود عرفات, محمود قنديل, الشربيني المهندس, سمير الفيل, عبد العاطي فليفل, منير عتيبه ,

رشاد بلال, محمد عبد العظيم, أبو نصير عثمان, محمد عطية محمود, يحي فضل سليم, محمد عبد الوارث,

غريب عسقلاني

مقدمه

أما قبل

فقد جاء هذا الكتاب بعد عدة لقاءات مع كتاب القصة والرواية في مدينة الإسكندرية, تعرفت من خلالها على أصدقاء أعزاء, فتحوا أمامي مشهدا غنيا ومتنوعا, يرسمه بصمت وجلد مبدعون يؤرقهم هموم الإنسان في هذا العصر, بقدر ما تؤرقهم أسئلة الكتابة والإبداع, بعيدا عن وهج العواصم وبريق الإعلام, يعيشون أحلامهم ببراءة صافية ويخلصون لفنهم لدرجة الانصهار, فيشكلون وبعفوية نابضة المشهد غير المعلن للقصة والرواية.

ولأني أنتمي إليهم, لا أخرج من عباءة القصة والرواية "ولن أفعل", حاولت تقديم نصوصا على ضفاف ما قرأت من نصوص, رافعا القبعة لكل من دخل الساحة برغبة التحقق, والإضافة, والوصول بالتميز, فإن أضفت فذلك بفضل الله وفضل أصحاب النصوص, وإن راوحت في مكاني فحسبي أنني عشت الدهشة التي زودتني بالمتعة وهي خير الزاد.

وأما بعد:

فالفضل يعود إلى أصحابه, لأصحاب النصوص, وللناقد السكندري عبد الله هاشم صاحب ندوة الاثنين, الذي شجع على جمع ما كتبت في كتاب, وللصديقة الروائية الفلسطينية المقيمة في الإسكندرية, بشرى أبو شرار التي رافقت كتابة القراءات وزودتني بأعمال كتاب من محافظات خارج الإسكندرية لم يتسنى لي الالتقاء بهم, ما ساهم في إضاءة المشهد الإبداعي في مصر العظيمة.

والله ولي التوفيق

غريب عسقلاني

غزه – فلسطين

يوليو 2009

الكتاب الأول

قراءات في الرواية

رواية لهو الأبالسة	للكاتبة سهير المصادفة
جياد البحر وحاجز أمواج	للكاتبة فوزية مهران
أعواد ثقاب	للكاتبة بشرى أبو شرار
أشلاء بؤرة العشاق	للكاتب أحمد حميدة
وشوشات الودع	للكاتبة منى عارف
عبد الله يقرأ طول الليل	للكاتب محمد خيري حلمي
السمندل	للكاتب فؤاد الحلو
عبد الله والمدينة	للكاتب عبد الفتاح مرسي
الوجوه الباهتة	للكاتب شريف محي الدين
كائنات ليل سرمدي	للكاتب خالد السروجي
مشمش الرابع عشر	للكاتب محمود عرفات
سحر التركواز	للكاتبة مي خالد
البئر	للكاتبة نجلاء محرم
وأد الأحلام	للكاتب محمود قنديل
كله تمام يا فندم	للكاتب رشاد بلال
المشهرات	للكاتبة منى سالم

جنة تضاريسها وعرة

تناسل الأسئلة في رواية لهو الأبالسة للكاتبة سهير المصادفة

- 1 -

في روايتها الأولى والمفاجئة "**لهو الأبالسة**" تقطع سهير المصادفة مسالك الوقت ودروبه في انتظار الرجل/ الحلم " **ذلك العربي الجميل ربع القامة ذو اللحية المهذَّبة الأنيقة يقطع المدى** " زمن الرؤيا" **بخطواته الواثقة مسرعاً في البداية متمهلاً ربما ليتيح** "لها" **فرصة تأمله جيداً** "وهو" **يخلخل منظومة انهمار الثلج في المجالات التي يمر عليها..**" فلا تملك مع بهاء حضوره إلاّ أن " **تنزلق مثل سمكة الجيتار العارية من جلدها، تغفو قليلاً على ذراعيه، وعيناها مفتوحتان على اتساعهما لتتبع المشهد، تاركة إياه يصفعها على كل جسدها** " وهي العارية كما الحقيقية في ذروة نشوة الامتلاك وكأنه القدر "**يجرجرها في دوامة بعد دوامة فتستريح قليلاً على كتفيه تواصل الانفلات قدما نحو الشاطئ لتملأ الفضاء، بلحن لم يُسمع من قبل فيُشرع** "ذلك الجميل "**آذانه ينتظر .. وينتظر..**"

والعربي يتحول انتظاره إلى عذاب أزلي، وكأن الأقدار نذرته فارساً في لعبة عبثية خاسرة، يقف فيها مشدوهاً يعلن هزيمته, أو ربما دهشته من رحلة أخذته في مسارات لولبيـــة, مثـــل زوبعة الهواء عند تفريغ الضغط، حاملة معها نثار الأرض في سحابة عمودية مثـــل ثعبـــان يصعد إلى الفضاء, فاقدة الإحساس بجاذبية الأرض, تندغم فيها حالات النصر مع الهزيمـــة، ولكنها في النهاية تصب في مجرى الإحباط الذي لم يكن هو فاعلاً مباشراً فيه...

هذا العربي الأصيل يتحسس رضوضه وخدوشه وينفتح على بوابات الألم مع النـــزف علـــى امتداد رقعة الرواية، مشدوداً أمام الأبواب المغلقة، "على الرغم مـــن معرفتـــه بكـــل زوايـــا الممرات والمسالك" إلى امرأة عبرت تحت جلد سمكة، وأخذت تتأوه وتتدفأ على لظى شـــبق فريد.

يجأر العربي أحمد الدالي مندهشاً " **تبكي رحيلي وأنا بين يديها، تغلق عليَّ مسالكها جمعاء، ولا يتبقى لي إلاّ أن أرحل فعلاً كما الطير، تريد لي أن آتيها بقبلة طويلة لكي تحمـــر الأرض**

بزورق ربما فيه خلاصنا " لكنها سمكة الجيتار/الراوية، لا تستجيب لذلك الخيار/الحل. لأن فيه استعجال لنهايات مقدرة لم يُتفق عليها. فالاتفاق كما تراه مها السويفي "**أن يكون هو الذئب والشاه في آنٍ واحد. وألا أكون حداً من القرنفل**" – طوق نجاه – لأن قدره أن يبقى مشدودا مثل وتر القوس، وبذلك ترفض هي المعادلة التي يأخذها إليها، محدّثة أختها نجوى.."**أنظري كيف ينام مثل طفل وأنا لا أنام . هل هذا غسق أم إكليل موتي !!؟..**"

أي موت ذلك الذي تسعى إليه الراوية/ مها السويفي، وأي استنكار تبنى عليه روايتها وموقفها من أسئلة الوجود، وأي علاقات وتجارب خاضتها، وهي الطالعة من نشأة هي والأسطورة صنوان, فأي لغة تحمل اللحظات المتفجرة بين فواصل الأيام والأحداث، وعلى أي المواريث والمعارف ترتكز؟

أسئلة تطارد المستقبِل, لاهثة تسبق القارئ لتُعَبد له مسالك الولوج، وفي بعض الأحيان تسد عليه وعن مشاغبة نوافذاً يخيل إليه أنه يرى النور من خلف زجاجها. فالراوية تقدم عالماً كامل الضياء والألق، في واقع تسوده العتمة المفروضة، وتحيله إلى هامش أسود خارج عن نبض الحياة زاخر بنبضات الموت، يمارس الحياة بشراسة مذهلة تضع الإنسان في اختبار الرغبات والشهوات النظيفة والقذرة، يتجاور معها الخير والشر في انسجام عجيب يصل إلى حد التكامل أو التطابق، وكأنهما وجهي حالة واحدة، للحد الذي يبيح أن يقتل الواحد ذاته في اغتيال أخيه، أو أمه وأبيه، ويتشظى ليعيد لملمة حالاته بحثاً عن كيان متجدد، يولد من رحم آخر متوهماً أن في ذلك الخلاص..

أي خلاص والحالة برمتها أسيرة شبكة تتعامل مع الوهم كحقيقة فتبدو الأشياء نسبية، وتصبح الحياة ثعبان شبق خرج من نفق الأرض إلى ضوء النوافذ يغيّر جلده، ويشف كما تشف الملائكة عندما تغتسل بضوء الفجر مع بكارة التسابيح الأولى..تصبح الثعابين نورانية وتتشيأ الملائكة أسراب حشرات أو جحافل هوام قاتلة سامة..

كيف يمكن ذلك,وعلى أي الوسائط أو قل على أي المحفات؟

لا يستطيع هذا غير لغة شعرية, أو رؤية شاعرة، تفيض على جوانبها الصور، وتندغم بين فواصلها الأزمنة لتصبح المفردة زماناً ومكاناً، وتشكِّل سرداً خلاَّباً فيه من الغموض الفاضح ما يحمل القارئ إلى يقين الإحساس بهامشية الحالة, والعجز عن فك رموزها، ويجعل السباحة في فضاء الرواية رياضة مفاجئة، يشهق معها القارئ ملئ رئتيه حتى يمتلئ بهواء العشق المغمس بالعذاب الجميل، ما يجعله يرى رهافة الدم، وهو يمضي في دهاليز الآدميين الذين تؤسطرهم الأحداث، على أجنحة الرؤى المفضية إلى كوابيس تشنق الروح بأنشوطة خيوطها من حرير، تستدرجه إلى ذبح اختياري في لحظة وجد خاطفة/ فارقة.

ها هي **مها السويفي** تعود من رحلتها العجيبة، وما زال ندف الثلج معلقاً فوق رموشها، وعيناها مفتوحتان على اتساعهما، تحط بها الطائرة في مطار القاهرة "بعد غياب طويل في روسيا"، ينتظرها زوجها **أحمد الدالي** وأختها **نجوى**، يمضيان بها إلى بيت الدالي في حي الزريبة الذي ارتقى اسمه إلى **حوض الجاموس**

تعبر بهم السيارة إلى شارع ضيق ملتو، كتب على أول جدار فيه وبخط ردئ شارع طه حسين, فأي مفارقة هذه التي تُلقى بطه حسين منفياً مهملاً في حي الزريبة، فهل أطلقت الكاتبة أول قذائف الفجيعة؟ أم أنها تلتقط من الواقع ما يُهيئنا لولوج دروب مواجع قادمة، ستشهدها " **البيوت السوداء المبطوحة على الأرض، والمستاءة من عدم القدرة على هش الذباب الأخضر عن وجهها** ".

في بيت الدالي الكبير تعيش مها السويفي مع دمها النازف، السائر بها إلى الإجهاض، فقدرها أن لا يسكن جنيناً في رحمها، وأن لا تغادرها أجنتها إلاّ بعد أن تضرب فيها جذورها، تمتص دمها بشراسة لا ترحم، تستل منها الحياة قبل أن تغادرها قطعة لحم (طرح) بعد أن تغرق بلاط الدار والفراش والأقمطة والحفاظات بدم وردي..فقد أخبرها الأطباء في موسكو بعد إجراء الفحوصات الدقيقة أن شيئاً ما **ربما سموم ساكنة فيها, أو عوامل وراثية كامنة متحفزة,** تنزع مشيمة الجنين من خمائل الرحم، ما يؤدي إلى نزيف طويل ينتهي بطرد الجنين طرحاً يطرح السؤال على مداه حول استحالة التوافق بينها وبين زوجها أحمد الدالي, فهل كانت العلاقة "الفكرية هنا" على تناقص مخبوء عبر عن ذاته في لحظة الاختبار/ الانفجار؟ أم أنه سِحر السالب في موجبه وانجذاب الموجب إلى سالبه كما يتبدى في تجليات النزع الأخير عند عبور ذلك البرزخ الشفيف الفاصل بين الحياة والموت ؟

"**للروح أمكنة تجوبها غير الجسد** " واكتشافها في نهاية الرحلة أنه " **حينما يوجد العشق الحقيقي يضيء العاشق في وجود المعشوق**".فأي لعنة تلاحقها، وأي جحيم يأخذها إلى أتونه صباح مساء، وهي التي عاشت مثل "**سمكة جيتار حمقاء تنتظر شبكة تصيدها، وتترك بيضها وهي ليس لها بيض تتركه** ".

أي ضوء يتراقص في نهاية النفق، وأي سراب يأتيها مع وهم اليقين، واليقين كشف متأخر يقصفها مع قذيفة الصمت الأبدي لأن "**الشياطين وحدها أنسب مخلوقات الله لامتلاك اليقين**"

فأي رعب يوافق هذا العصف الذهني, والفيضان العاطفي، وانفجار الشهوات في مواقيت مفاجئة، فكيف يمكن تطويعها في ضفيرة سردية تبحث عن مساريها، وتتعرف على مجاريها. وبأي الأدوات تكون وبأي الأجنحة تطير والمرأة/الراوية شاعرة محمولة على فيض الصور، معجونة مع شرر الكشف، تتلظى في صقيع التجربة مأخوذة بالموروث ومسلوبة أمام

الحكايات والتاريخ، مزحومة بالتجارب السابقة، جاحظة عيناها على تداعي التجارب المعاصرة.ذلك كله على ضفاف أيديولوجية مادية ترعرعت في ديالكتيك التاريخ, ومفاعيل قوى الاقتصاد المبني على التصادم الأزلي مع فائض القيمة..الامتحان عسير والحصاد مُرٌّ، والتداعي يزلزل الأرض تحت الأقدام، فكيف يكون الهروب من الهروب والحالة مثقلة بآلاف الحكايات المقطرة من وعي الإنسان منذ أن وجد على الأرض.

ذلك هو الامتحان الذي دخلت فيه سهير المصادفة بجرأة تحسد عليها، وراحت تبحث عن طوق نجاة في فضاء تلهو فيه الأبالسة دون رقيب ولا حسيب. لكنها عثرت على أدواتها وجربتها باقتدار على لغة شعرية محملة بالشفرات والرؤى، تشكل اللامعقول معقولاً ما يجعل السحري واقعياً مقنعاً من خلال العودة بالسرد وفي الوقت الملائم عبر منولوجات "البوح الذاتي" ضاربة عرض الحائط فواصل الزمان والمكان, اندغمت، الأمكنة وانصهرت الأزمنة في بنية تعاملت مع الكشف المتواصل، فجاءت الرواية قصيدة فرضت إيقاعها على رقعة الجغرافيا والتاريخ وذلك بالعودة إلى فطرة سمكة الجيتار "**التي لا تستطيع الغناء. تتجه بإصرار نحو المياه الضحلة وتدفن رأسها في الرمل فبداخلها بيض على وشك أن تنتهي فترة حضانته ولديها جسد ستحاول أن تجعله يحكي حكايتها معه, ولديها عينان لم تخلقا إلاّ للفرجة**".

والفرجة هي، ممارسة الرصد والتأويل واستخلاص القوانين من ديناميكيات الحياة في تفاعلاتها الأولى الأصيلة، على الرغم من ضراوتها وفجائعها التي شكَّلت صيرورة ومركبات الشهوات والرغبات.

فهل يحمل الشعر متاع الرواية ويمتع ؟؟

سؤال طرحته الكاتبة وأجابت عليه بتميز لا يمتلكه إلاّ من ملكته روح الشعر واختزنها في مرجل المعرفة, وهنا يأتي السؤال:

كيف تصبح الرواية مشروعاً يتأسس على المعرفة؟

والجواب يحيل إلى جدل كبير، ورواية لهو الأبالسة معمار فني يقدم إجابته الخاصة, ويسحب دهشة السؤال أمام دهشة الإبداع.

والمعرفة بحث دائم ومؤرق, كالذي يلازم نجوى السويفي بعد أن طلقها زوجها ليلة الدخلة لعدم نزف الدم الدال على تمزق غشاء بكارتها, وهي التي لم يطأها قبله رجل ولا عبرها حتى إبليس فهي المرجومة بالسؤال القدري، حول من فعل فعلته فيها رغم وجود الاحتمال العلمي الصارم عن كون غشاؤها من النوع المطاط الذي يتطلب إيلاج عميق ومتكرر حتى يتمزق، وقد تكون قطرة الدم النازفة بداية التمزق الناتج عن الاحتكاك، ولكن زوجها أخذ قراره الصارم وقذفها خارج معادلة الشرف، لتقضي بقية عمرها في محاولة العثور على من

عبرها لتضع حداً لحكايته فالأمر على عبثيته مؤرق وقاتل ومدمر، لكنه الوجه الآخر لرحلة الإنسان، وبقاء الرغبة في الإشباع قائمة على ترويض الذات على أقصى حالات الجوع، ما يفقد الشبع بهاءه في الأرض الجفاف. لكن ثنائية الارتواء والعطش وجدت ما يفجرها عند بطة التي يموت عنها زوجها العربجي تاركاً لها رأس ماله/حماره، فتعوض جفاف الحياة بعد الزوج، بالارتواء من ذكر مقيم وغير مكلف، فتقيم له طقوسه الخاصة، وتتطيب بعجينة من روثه لاستدعاء شبقه، متقمصة طباع ورائحة أنثاه المحروم منها.. وتتمدد له وجبة شهية وتمارس اللذة حتى الموت..ورغم بشاعة الميتة، إلاّ أنها تقذف بالسؤال مثل سهم يفقأ العين التي تعمي عن هياج الحيوان الساكن في الإنسان. وهذا يطرح السؤال المهول والمرعب حول انفجار الطاقة البيولوجية إذا ما تعرَّضت للإنحباس الطويل الظالم.

لكن الأمور في حوض الجاموس على بشاعتها تجعل الشعر يغذ السير لالتقاط تداعياته، راكباً قطار المفارقة، حيث يلعب المعتقد والموروث دوراً معاكساً ولكنه مطلوباً لاستمرار الحياة, فنجد **الناس شيء حي]**. يقيمون صلاة استغاثة داعين الله أن يحجب عنهم المطر حتى لا تغرق عششهم, بينما الأصل أن عباد الله يقيمون صلاة الاستسقاء لهطول المطر المنحبس في السماء حتى لا يجف الزرع والضرع فالحياة والماء نتيجة وسبب " وجعلنا من الماء كل سيء حي "

لكن الأمر في حوض الجاموس يجعل الجفاف من عوامل البقاء, فيصبح النهار أقصر من قامة **علي القزعة** وتنزف مها السويفي دم بطنها على مدار أربعة أشهر، قبل أن تغرق في النوم ليل ونهار وتهوم في مدار آخر، يوم رقصت في ميدان فسيح من ميادين مدينة **كييف الروسية** على موسيقى أغنية شائعة.

كم أريد أن أكون معك

وَلسوف أكون معكَ

في الحياة والموت سأكون معك.

يومها رافقت صديقها وكان بلا أب وكانت هي بلا أم ولا أب، ولكنها تعلمت اللغة فعرفت معنى الوطن.

وهنا تطلق سهير المصادفة أن لغة التواصل بين البشر تتحوّل إلى وطن يسكن فيه الجميع يجمعهم إيقاع الحياة.

-3-

"تلك التي ارتضت دفن رأسها في الرمل، تنتفض من آن لآخر وكأنها تنتهي من كتابة ما لا يبين، لأنها تكتبه برأسها ثم لا تلبث أن تمسحه بجسدها, فتمهل أيها الصياد ولا تغرز حربتك فيها وتأملها ولا تخشى من هروبها فهي لم تصل القاع الرملي إلا لتدريب جسدها كي يغني أغنية، ولكي تحفر بعض النقوش ثم تستسلم لك.."

ما الذي تدونه مها السويفي في بيت حوض الجاموس، وهل وقفت على روح العلاقة مع زوجها أحمد الدالي, الذي يهرب منها بالزواج من غيرها يبذرهن الأولاد، ولكنه سرعان ما يعود لائذاً بها منها، متوسداً روحه على ذراعها يرضع من مناجاتها وتحيا هي على البوح بين يديه..

أي عشق ذلك المحكوم بالفراق والقطيعة المتكررة تكرار الليل والنهار.هل هو الهروب من الاندماج؟ أم أنه البحث عن السؤال الأزلي بين شقي الروح الموزعة في ذكر وأنثى منذ هبوط آدم وحواء على الأرض؟ وهل هبطت الشجرة المحرمة إلى الأرض شاهداً على خطيئة الإنسان الأولى..؟

مها السويفي بذرة خطأ لامها **ليلى الأصيل** ذات الجمال الفريد، وأبيها **محمد السويفي** الغيور الذي يحبس امرأته حتى لا يراها الناس, فيأتون بما لا يمكن تقديره والمرأة ليلى الأصيل عاشقة متفانية مخلصة، تموت عندما تنفصل عنه بالطلاق، فهي لا تستطيع التواصل مع الحياة بنصف روح والأب يفقد القدرة على التحديق فيها, ترده تجليات الخالق وتضعه أمام ضعفه في الحفاظ على الهبة الالهية فيهرب بها من نعيم حدائق القبة إلى جحيم الزاوية الحمراء خوفاً عليها من عين الملك فاروق عند مروره في موكبه.

وعند الانفصال يأخذها أبوها لأنها تشبه أمها، فيما تأخذ الأم أختها نجوى لأنها تشبه أباها "أي قسمة هذه أن يترك الواحد الآخر ويبقى معه عن سبق إصرار" ولأن الأب لا يستطيع العيش معها في صورة أمها، ولأن أخاها غير الشقيق يموت تحديقاً في بهاءها فإنه يبعدها عنه إلى مدرسة داخلية تعيش الوحدة واليتم في آن واحد. حتى تلتقي بأحمد الدالي. فيتزوجها على غير رغبة أهله وبسرعة انجذاب قطبي مغناطيس يبحثان عن التكامل في بيئه رافضة، فينطلقان إلى روسيا هروباً لإكمال التعليم، واكتشاف عالم آخر يتيح لهما اكتشاف الواحد لنفسه والآخر,وهناك يشهدان الغربة وانهيار نظام اعتقدا طويلا بصلابتة دعائمه فيصابان بالذهول والتشظي أمام التداعي السريع.

وفي بلاد الصقيع وهي المرأة اللائذة بحياة تحميها، تجد كل من يقابلها مبهورا بجمالها، يرى فيها جنية هبطت على الأرض ترافقها هالة من ضوء الحقيقة,. والحقيقة أنهـا امـرأة غيـر مسبوقة جمعت كل أسباب الجمال والبهاء منذ جدتها نفرتيتي وحتى العصر الحاضر, وكل من يقترب منها تصيبه البلبلة فلا يملك غير الدوران في مداراتها. حتى يكتـشف أنهـا الأنثـى المستحيلة ذات القوة الطاردة، فيبتعد حاملاً معه بذرة عشق تبقى فيه على مدار الوقت..

أي صورة تسكن فيها ومن أي الأصول جاءت. والأصل (أمها) لا صورة لها إلا ما اختزنته الذاكرة فارتسم على شبكية العين بقعة بهاء. فأختها نحوي تؤكد "**لم تكن لأمي صورة واحدة، قالوا إنها من شدة جمالها كانوا يجدون بقعة بيضاء على كل الأفلام التي صورتها..**"

الألواح الحساسة لم تستقبل صورتها، هل كانت امرأة من أثير ينطبع بياضاً على الألواح, أم أنها شفافية من نوع فريد لم يُكتشف بعد، لا يترك ملمحاً ولكنه يحتفظ بكل عناصـر النقـاء والبهاء. وهل جاءت مها السويفي على صورتها لتشكل معضلة في حياة زوجها أحمد الدالي، فلا يستطيع البقاء معها ولا يستطيع الانعتاق من مدارها..فيعاقبها بالزواج من غيرها، وتعاقبه بالحب حتى لا يهرب منها. أي علاقة تعمق التوحد لدرجة الفناء والموت، أم أنه قدر العاشق مع الآخر الذي يحل فيه. أي صوفية مجبولة بكل القصائد الدينية والأفكار المادية, تشف وتعبر عن طبيعة الأشياء إلى ما وراء الأشياء وتحلق في رؤى خاصة ترافق القص علـى امتـداد الرواية متكئة على وجد اللحظة، راصدة كل القبح الذي يخرج من نفوس راغبـة فـلا تجـد أمامها من وسائل غير اقتراف الرذيلة أو الجريمة أو المعصية. فنجد **حسن أبو إيد خـضرا، تلامس يده أي شيء فيخضر, يضج بقدراته ويطلق زوجته السمراء والبيضاء, ويتزوج من جنيه بحثاً عما هو أبعد من المدركات ويبذر الجنية نسلاً مغايراً.**

ولأن الحياة في حوض الجاموس تسير على نسق مغاير، فإن أحمد القط يضاجع أمه انـشراح البستاني بمكيدة يدبرها صلاح العايق الذي يساومها مقابل بطة مسروقة من حـوش الأرملـة بطة. وحتى يشهد الحي على الفعل, يتناوب عليها شبان حوض الجاموس بما فيهم ابنها, فهـل أدرك لحم أمه، وهل تاهت هي عن رائحته. جريمة لا تقبل أقل من فَقءِ العين " كما حـدث لأُديب يوما ً"، لكن الشاب أحمد يؤجل هواجسه إلى ما بعد التهام البطة. فيصحو على غنـاء الأشقياء "**بطة بتدور ع البطة**" وكأنهم يعلنون خبراً عادياً لا يثير الاستهجان. فيهجر احمـد العشش إلى المدينة ليظهر فيما بعد وقد أصبح تاجر مخدرات, ثم مطرباً مشهوراً قبل أن يعود إلى حوض الجاموس داعية دينياً تقوده مواريثه إلى حتفه فيما بعد..

أي كائنات تعيش في حوض الجاموس تتعامل مع الجنون عادة يومية، فتشتعل صابحة فـي عشتها لتموت حرقاً, فيما تنشغل نجوى بتفصيل السراويل للدجاجات لتبيض فيهـا ولا تأكـل البيض تاركة القشور فارغة. فيما دم مها يعود إلى النزف وتعود نجوى إلـى إزالتـه عـن

السطح, وتفاوض مها أحمد العتر على تغيير مزاجه، لتصدح مسجلته بأغاني أم كلثوم مع إصرارها في نفس الوقت على تغطية المرايا بأوراق الجرائد حتى لا ترى صورتها " فهل في ذلك تعبيراً عن نفي الذات عن الذات أو هو القطيعة مع التاريخ الشخصي وربما الجمعي بكل مكوناته؟"

ربما كان ذلك سؤالاً آخر من الأسئلة التي تتناسل في دروب الرواية ؟

– 4 –

" يعرف الصيادون أن لحمها لذيذ له مذاق نادر، بالرغم من رائحة النشادر التي تفرزها. ولن يلتفتوا إلى شكلها الذي يشبه آلة موسيقية، وإلى سلالتها المتوحشة.. سيتندرون عليها وهي تدفن رأسها في الرمال ولن يوجعهم تهيؤها للغناء ".

ولأن الصياد لا يؤلمه نحيب الضحية، فإن انشراح البستاني تعترف بسرقة البطة لطرد تهمة الزنا عنها، ويذهب ابنها أحمد القط في تسويق تفاصيل عملية السرقة، صاعداً على هول الفجيعة ومكابراً على جرحه الذي سببه صلاح العايق ولأن انشراح البستاني بيضاء في سريرتها، فإنها تستثمر العملية الانتخابية وتقوم بشراء وبيع الأصوات للناخبين متخذة من الأمر عملية تجارية مشروعة، ورزق زحف إليها نصيباً مقدراً. وهي المرأة الغريبة في صراعها مع الخصوم, فإذا غضبت من امرأة من ساكنات العشش توسعها ضرباً وتنزع عنها سروالها وتعلقه على عصى أمام الجميع بعد أن تكون قد كشفت عضو المضروبة وجعلته فرجه مباحة لمن يرى.

"أي حقد في هذا أم أنه تفريغ ظلم كبير وقع عليها من الغير.."

هذه المرأة ذات الشعر الجميل التي تعيش مع زوجها حجازي القط ذو الجسد الفارع والطلة الجميلة, العاشق القديم الذي مازال يعيش مع جمال عبد الناصر وعبد الحليم حافظ وأم كلثوم بعد أن شارك في حرب الاستنزاف دفاعاً عن كرامة الوطن، والذي يحب زوجته حباً جما ويرثي لحاله التعس, ويلعن جده الساذج الطيب الذي عثر يوماً على كنز سلّمه للشرطة واكتفى بمكافأة قيراط من الأرض باعه في زمن الكوليرا ليعيش بعدها في فقر مدقع, يورثه لأولاده وأحفاده الذين يصارعون من أجل البقاء..

كيف يكون عشق الفقراء, وها هي وردة تقطع زوجها مائه قطعة تبعثرها ثم تعود لتجمعها من جديد، وتصر في اعترافها أنه لو عاد إلى الحياة ثانية ستقتله ثانية لأنه ربما يفكر بالزواج عليها بعد أن تحركت في كفه نقود الانتخابات..

ما الذي تراه مها السويفي وما الذي تسمعه في حوض الجاموس، لا يسعفها غير الشعر لوصف حالها وزوجها, لتصحو من غيبوبة التهويم على مفارقة جارحة تسأل زوجها:

لماذا كل رجال الأعمال الناجحين مثل أحمد الدالي كانوا شيوعيين سابقين.؟

وقبل أن تنتظر الإجابة التي لن تأتي، تعود إلى محطة بافلسكي في موسكو وتمثال بائعة الدجاج الفتاة **تانيا الطويلة** ذات الثوب الأسود، الشاهدة على التجربة السوفيتية الحافظة لتاريخ المدينة, والرقيبة على الطرقات والمسالك، التي ترحل مع حبيبها سلاف الطويل مثلها إلى مدينة توفر حاجات الآدميين طوال القامة..تانيا تلقي برأسها الجميل على صدر **سلاف** بعيداً عن مستوى الأرض، وتمارس معه وإياه بكاء العاشقين الذين يشهدون بعد غياب العدل كيف تحول تمثال تانيا الطويلة إلى معلم سياحي وكيف ينشغل المسؤلين بتغيير ملابسها إلى ملابس قصيرة تعري ساقيها وإظهار مساحة كبيرة من ثدييها، وزراعة النوافير الباذخة من حولها..

وها هي مها السويفي تكتب الحياة على جدران البيت في حوض الجاموس، وتستحضر سيرة أبيها الذي عشق أمها لدرجة الفراق وعذبها معه بعذابه فيها لا يفارقه طيفها، مثل على القزعة الذي يطارده طيف بطة، فيتأخر عن إصلاح سيارة المأمور فيلقي به في السجن، وعندما يطعن أحدهم المأمور على خلفية الانتخابات، لا يكون غيره ضحية جاهزة، ولكنه يستبق القرار بالتلاشي متحولاً من حقيقته الآدمية إلى وهم ليقبضوا على الريح، بعد أن تدورت روحه وسكنت روح بطة التي مارست شبعها حتى التمزق والموت.

– 5 –

مها السويفي تبحث في مدوناتها، تهرب منها الأقلام والأوراق، فهل تهرب منها جدران البيت أيضاً وهل تهرب المرآيا خلف ورق الجرائد. وهل ترى صورتها بالفك المكسور والعين المفقوءة، والوجه المشوه، اعتقادا منها أن في ذلك صورتها الحقيقية, والتي يصفها أحمد الدالي لزوجاته, أم أن ذلك نتيجة الاختلال في علاقة محمد السويفي وليلى الأصيل, أو الاختلال في العلاقات التي أثمرت أحمد الدالي منذ جده أحمد الدالي الكبير الذي أحب **عزيزة الفلاحة** الفقيرة المتعلمة فأخلصت له وسلمته نفسها، فسكنه الخوف من خيانتها له, فتزوج سوسن التي كانت تعامله كذبابة. فيما عزيزة تسقط في المرض مصدومة ينتشلها معلمها الفرنسي

ويتزوجها ويطير بها إلى باريس, وتظل طيفاً يطارد الدالي, فيبيع أملاكه ويسافر إلى فرنسا للبحث عنها دون جدوى.

قدر الدالي أنه لم يقابل امرأة في قوة انشراح السبتاني تقف له، كما وقفت **لمصطفى الرمرام** الذي غرر براويه بنت عنايات ورفض الزواج بها بحجة الدالي الأول..

أي خلل يسكن الرجل الشرقي لدرجة التدمير بين حبة للتملك وقدرته اللانهائية على الحب والعشق..

ماذا تكتب مها السويفي في مخطوطها الذي تمزقه وتهرب إليه من جديد، يستبد بها الشعور "**مثل قطرة ماء وسط ذلك الاتساع غير المحدود من** المياه **تخاطب نفسها. ماذا أساوي وأنا وسط هذا المحيط الهادئ، إنني لا شيء في هذه الحياة ذات الأعماق السحيقة**" وبينما هي تخاطب نفسها تلتقطها المحارة المفتوحة وتغلق عليها فتتحول المرأة/ السمكة من قطرة ماء إلى لؤلؤة ثمينة تختزن أغنيتها الطويلة.

أي أغنية تلك التي ستنظمها، ومن أي الحكايات تجمع كلماتها، ومن أي رؤى ستعثر على إيقاعها وحوض الجاموس غارق في العتمة يقدم الحياة عارية صاعقة في براءتها ووحشيتها، مذهلة في واقعها الذي يفوق الخيال **فأحمد أبو خطوة** يتزوج من جنية وينجب منها 26 ولداً أسماهم جميعاً على حرف الشين، وصار صاحب خطوة يظهر ويختفي في أكثر من مكان على هيئة درويش من أتباع الطريقة الأحمدية.. وكأنه طالع من ثنايا ألف ليلة وليلة ليقتفي آثار **فاديم ايفانوفتشي** الساخر الذي تتردد حكاياته في أكثر من مكان سارداً قصته عندما كان خادماً في الدير, وذهب يستحم في النهر تاركاً ملابسه على الشاطئ، فيتصادف مرور حسناوات برجوازيات يأخذن ملابسه ما عدا القبعة التي يستر بها عورته, فيساومنه أن يرفع يده اليسرى, فيستر عورته بالقبعة بيده اليمنى، ثم يطلبن أن يرفع يديه معاً فتظل القبعة مرفوعة ولا تسقط، فلا يملك غير توجيه الشكر لتلك القوى التي جعلت القبعة مرفوعة. ذات السخرية التي يوزعها حول سقوط جدار برلين مع أصدقاءه الذين يضرعون إلى الله أن يسقط الجدار بعد خيانة زوجاتهم لهم.

وعندما يسقط الجدار يدعو ايفانوفتشي إلى شرب أنخاب الزوجات اللواتي ينقذن أزواجهن وقت الشدة بالخيانة الزوجية.

فهل كان على معلمة اللغة الانجليزية الجميلة، التي تزوجت على غير رغبة أهلها وسكنت مع الشاب الفقير في حي الجاموس، أن تخون زوجها دفاعاً عنه. أم تظل أمينة لنشأتها وتقاليدها، وتعامل الأوباش بارستقراطية مترفعة حتى بعد أن تناوبوا عليها اغتصاباً. إلى أن جاء أهلها بعربتهم الفاخرة وأخذوها وكأن شيئاً لم يكن. لكن الزوج ماجد المقهور/ المطعون يهرب إلى بلد عربي يبحث عن رزقه..

من المنتصر ومن المهزوم في حوض الجاموس والحياة ماضية تقدم ضحاياها إلى المحرقة أو الجنون, كما حدث مع عدلات التي سقط زوجها في خلاطة مصنع الحلوى، وذاب مع العجينة، فعوضها صاحب المصنع بعض المال, وبعض الحلوى، وألحقها عاملة في المصنع، ولكنها وفي لحظة مراجعة ترى أطفالها يمضغون أبيهم مع حلوى المصنع فتذهب فراراً إلى الجنون..فكيف لمها السويفي أن تكتب هذا الجنون لا درب أمامها غير فضاء الشعر ولا وسيلة غير العزف على نبض مغاير، تبحث عن خيوط لا مرئية, تجدل منها عالماً مرئياً، تتجلى خيوطاً رهيفة مع نشع دمها النازف من روحها رافضاً حالات التناقض..فيسير السرد إلى مسارب متعددة والراوي يقع في اختبار الاختيار بين أن يكون راوياً عليماً أو محايداً أو ضمنياً أو حتى مصوراً فوتوغرافيا..فتنصهر سهير المصادفة/ الكاتبة ذاتا ومعرفة وشعراً في جبلة تقفز عن مألوف السرد، وتقدم ضفيرة مغايرة، لا تملك معها غير اللهاث المخبوء بحثاً عن سمكه الجيتار تلك التي تمارس الحياة بقدرية مسبقة، وتمارس الغباء بأقصى حالات الذكاء والمراوغة "**فتستدعي وفي الظرف المناسب ذلك العربي الجميل ربع القامة ذو اللحية المهذبة الأنيقة، الذي يقطع المدى...**"

– 6 –

هل يتخلصون من جلدها السميك، يستلون لحمها ويلقون بالهيكل بعيداً فتفقد شكلها ولا يبقى منها غير غناء خافت ينبعث من الشرائح يصعد فوق صياح الصيادين المبتهجين

فمن ينهش جلد مها السويفي ويتجشأ دبيب الغناء المترسب فيها ؟

أحمد الدالي سليل الهزيمة يقف أمام الخيارات متعلقاً بالمواريث المزروعة فيه كابراً عن كابر, يتفانى في حبها ولا يمل من الهروب إلى زوجات أخريا يبذر فيهن نسلاً يقفز عن موت الشهوات.

أم أحمد منصور الذي رجمه قدره بها، فزوده بطاقة الانبهار التي أخذته إلى أقصى رجفات الشوق, يشف حتى يصبح كائناً أسطورياً من خلال تهويماته وهو الباحث عن العدل في مواد القانون, يتساءل عن السبب في اختيارها العيش مع نفايات الناس في حوض الجاموس وزوجها قادر وميسور, وعندما لا يجد الإجابة تحط على أذنيه حبات المشمش وتكبر حتى تصبح بحجم بيت أمه سكينة العمياء. فيعود إلى سيرة جده الأول الذي خرج حياً من رحم أم ميتة حملته تسعة أشهر, يكبر ويتزوج امرأة غنية تبني له بيتاً من طابقين, وتنجب منه منصور الذي تزوج جنية غاب معها وعاد ليتزوج سكينة العمياء التي تراه ببصيرتها..وتنجب منه أحمد منصور.

ليكون الآدمي الخارج من رحم الأسطورة أو الأسطورة الساكنة في الآدمي, يدرب حشراته على الذهاب إلى بيت مها السويفي لتحتل الأرض والجدران ومسامات الهواء في الحجرات, فيما هو لا يفارق الشرفة يعيش معها حياةً أخرى تضج فيه بؤساً وعذاباً. يقص عليها أخبار عويضة ابن كفاية السباح الماهر، كيف قفز من فوق كوبري قصر النيل ولم يصعد, لأن باخرة نهرية هشمت رأسه فترسب في القاع, وكيف أحست أمه بالفجيعة وتساقطت عضواً عضواً دون ألم، وكانت تحتفظ بالأعضاء المتساقطة في حقيبة صغيرة، وعندما ماتت لم يجدوا شيئاً منها, فأخذوا يغسلون الأعضاء ويكفنوها عضواً عضواَ ويعيدون ترتيبها حتى اكتملت وهي ميتة بعد أن تشظت حية..

أي فنتازيا سوداء حاقدة يقدمها أحمد منصور، وتأخذك إلى تصديق اللامعقول ليصبح معقولاً بمصداقية القص ويصبح التأويل مقبولاً..

وما الذي سيحمله الغناء الصادر عن شرائح لحمها المسلوخ، **وعاصم البلتاجي** الشيوعي السابق ورئيس تحرير مجلة معروفة، عندما تعرت أمامه قذف سمة على الأرض، وافرغ فحولته وبقي مع حسرته، تأخذه شهواته المحتبسة إلى تناقض القول والفعل، ما جعل أحمد منصور بحدسه الموروث من بصيرة أمه سكينة العمياء يتعامى عن مقابلته بعد وساطة أحمد الدالي له ليعمل في الجريدة..

فهل ما أحدثته مها السويفي بأحمد منصور هو ما حدث مع البلغاري **فينسي سلاف**, الذي ثقب حبها قلبه فهرب إلى بلاده حاملاً معه وجه أجمل امرأة في العالم

– 7 –

أربعة أشهر استمر النزف الأخير، طرحت مها السويفي جنينها بين يدي انشراح السبتاني التي أُخذت تردد مذهولة من غدر القدر "**كل النساء القبيحات ينجبن وأنت لا يستقر حمل في جوفك..**" فيما مها عيناها ممتلئتان بالدموع مفتوحتان وشفتاها مضمومتان، وخلاصها أن يعزف جسدها أغنيته، وأن تسمع على الرغم من ارتطام الأمواج كما لو كانت تقرأ في البردية القديمة "**لا تجعل الشمس تغرب وفي عينيك وقلبك دمعة حتى لا يحاسبك الإله في منامك..**"

والظلام في حوض الجاموس دامس والحروب مستمرة، وانشراح السبتاني تنقل السوق إلى سور المدرسة بعد أن نفذت النقود وأصبح التبادل مقايضة.أحمد منصور يذوب وجداً في مها السويفي وينتهي إلى حرق نفسه مع وابور الكيروسين فيتوهج فتخلع سكينة العمياء ملابسها وتنكش شعرها وتهيم على وجهها، حتى وجدت ميتة مطبوع عليها شعار الكف الأزرق.

ولأن الحياة لابد أن تستمر، فإن حجازي القط يموت أيضاً، وتحلق انشراح شعرها الجميل التي احتفظت به من أجله، وتندب حظها ولكنها سرعان ما تعود لمواصلة رسالتها, وتطلب من مها استحضار ثلاثين اسماً منها سبعة عشر للإناث, وثلاثة عشر للذكور بعدد مواليد نساء الحي.حتى إذا مر مترو الأنفاق بالضاحية وفتحت المدارس الأجنبية يجلسون على مقاعد الدراسة. ومرحلة الانفتاح ظهرت تباشيرها بتحول أحمد القط من تجارة المخدرات إلى الغناء ويصبح مطرباً مشهوراً.

لكن الفجيعة تطل برأسها فيموت ثلاثة أطفال دفعة واحدة، وتقرر انشراح إعادة ترميم مسجد القاضي وفرشه ليستقبل صلوات الناس, تساعدها على ذلك مها السويفي التي تخصص أرباح أموالها المودعة في البنك للنهوض بالمسجد ودعم مشاريع انشراح البستاني.

أحمد القط يعود إلى الحوض تائباً, ويصبح داعية ديني، يعلم الناس ويلقي عليهم الخطب، ويحكم على أمه بالموت رجماً ويهدم عليها الجدار.فيترك الناس المدرسة ويعودون إلى العشش بعد انتهاء تجربة انشراح الاشتراكية، وكأن كل من يفكر بالاشتراكية مصيره الرجم.ما يجعل مها السويفي تعود إلى حادثة انتحار كمال اللبناني، المخرج السينمائي الفذ الذي حصل على عدة جوائز, والذي يتهيأ للعودة إلى بلاده حاملاً اكتشافه الذي يجعل المشاهد يشم رائحة الوردة التي تظهر في الفيلم, فيقوم بتنفيذ الفكرة بالقفز من النافذة عند درجة 30 تحت الصفر, ويموت مرتطماً بالجليد.فهل ستنظف فالنتينا جليد شوارع موسكو وتشم رائحة وردة كمال اللبناني، وهي من آمن بالاشتراكية وأخلص لها فعملت ممرضة في الحرب العالمية الثانية، ووقفت أمام تنور المخبز في الكلوخوز، وساقت الترام، وتبرعت براتبها للشعب. فالنتينا تموت في يوم الاحتفال بعيد الثورة، وكل ما فعلته السلطات، أن كرمتها بالدفن السريع، في الوقت الذي تكتظ فيه الثلاجات بالجثث بانتظار دورها للدفن..لكن الناس في موسكو ما زالوا ينتظرون فالنتينا ليطرحوا عليها من جديد سؤال لينين الخالد.

ما العمل؟

والعمل ما أقدم عليه أحمد القط على نهج مغاير..

فلمن تغني الصافرات (عرائس البحر) وهل ستسحر الملاحين وهل ينجو منها اديسيوس وهل ستغلق سمكة الجيتار أذنيها وتستمر في الغناء كما فعل بتهوفن بعد أن فقد سمعة..

يسافر أحمد الدالي وتدرك مها السويفي أنها سفرته الأخيرة (الغياب = المـــوت) فتـــصاب بالفجيعة, وتيقن في لحظة كشف أن "**الحب والموت حالة واحدة وأن التجاذب بـــين جـــسمين يجعل منهما جسماً واحداً له خصوصية مميزة.. وان أي توحد بـــين كيـــانين يتكـــاملان ولا يجتمعان, فأحمد الدالي رجل يجيد الفعل ويعيش الحياة, وهي امرأة تجيد البوح وتتفرج على الحياة, فأي تكامل بينهما وعلى أي الخصائص يجتمعان؟**"

هذا السؤال الذي تنطلق منه الرواية لتعود إليه.

وفي عودتها تترك أجنتها في المياه الضحلة خارج الشبكة, لأن هذه الأجنة مازالت تحتاج إلى فترة حضانة، ستكون هادئة لا تحاول المقاومة.

لن تحاول الخروج مرة أخرى.لذا تتخبط ولن تشكو الأسر ولن تغني أبداً للخلاص.ستتمنى فقط أن تسرد وبصوتها الحكاية حتى النهاية .

وها هو أحمد القط يبعد الناس عن مسجد القاضي, بدعوى أن المرأة التي بنته سافلة ولا يعرف من أين جاءت بالنقود..

يعتصم الناس في بيوتهم ولا يخرجون إلى الصلاة في ظل زعامة القط الذي أخـــذ يكفـــرهم.

فتخرج مها السويفي من حالة الفرجة على الحياة إلى الفعل فتتصدى لأحمد القط. وتجذب إليه وتشعر نحوه بمودة ويعبرها شيء كالحب.تحاول رده عن أفعاله وتقع مغشياً عليها فيحملها إلى المستشفى.فتنبض بين يديه وتسرب إليه بذرة عشق.

وفي غيبوبة النهاية تتجلى أمامها لعنتها الأولى, ويطل عليها جدها وهو يخبئ أمها عند مرور موكب الملك فاروق. وينكرها عندما يسأله صديقه عنها يدعي أنها ابنة الجيران, وعندما يعود للسؤال يخبره أنها وأهلها غادروا إلى الإسكندرية..

وها هي بناءً على رغبتها أو رغبة زوجها، تعيش منفية في حوض الجاموس, مـــع نفايـــات البشر تبحث في جحيمهم عن لؤلؤات مضيئة, تتعرف فيها على لؤلؤة روحها الساكنة في أحد البشر.فهل سكنت روحها في أحمد منصور الذي أحبها فاحترق, أو في أحمد القط الـــذي لـــم يفارقها فدفع حياته ثمناً لذلك, وتقبل ظلم أخيه الأصغر وتلميذه محمد القط الذي أوسعه ضـــرباً ونادى في حوض الجاموس ناطقاً بالحكم الجائر:

- لقد صبأ أحمد القط ابن العاهرة.

من الذي صبأ وكيف؟.لا يعصمها من عذاب الأسئلة غير وجه صديق طفولتها الأسود الجميل ذو الشعر الاجعد, الفنان نور الذي أحبها بصمت ولم يعلن عن حبه, وهي التي أعلنت لكل من في المدرسة الإعدادية عن حبها له.غاب نور لم يترك غير فرشاة وألوان وذكريات تحفظ الحقيقة الأولى.

هل تهيأت مها السويفي للرحيل أم ذهبت إلى غيبوبة التجلي للانطلاق في رحلة أخرى "**فها هو العربي الأصيل قادم ليواصل ما انقطع من حديث, وها هو أحمد الدالي يطل عليها بوجه ديستوفسكي يرتل وبصوت ليس صوته مقاطع من كتاب الموتى**".

" قم لخبزك هذا الذي لا يمكن أن يجف، وجعتك التي لا يمكن أن تصير فاسدة إذ بها تصبح روحا "

- 9 -

هكذا تكون النهايات أو ربما تطل البدايات.

ينتهي النزف طارداً أمامه آخر النبض، مشرعاً البوابات لرجفات نبض جديد. تخرج مها السويفي من مسجد القاضي محمولة على الخشبة المعبقة بالرماد, تطير بها المحفة إلى مقابر الصدقات. ويكتشف أحمد الدالي أنه نسى وبشكل مطلق ملامحها التي كان يحفظها طوال حياته فأخذ يصيح:

طيري يا مها.. أمامك البحر وخلفك هذا الخراب العظيم.. طيري وحددي لي مصيري.

وفي البيت يفتح الدرج المحرم عليه، ويواجه مخطوطها الضخم.يحرق جميع اللوحات الساكنة فيها, ينثر الرماد على البلاط يوزعه في صورة امرأة فاردة ذراعيها وفاتحة ساقيها, يضع المخطوط بين ذراعيها تارة وبين ساقيها تارة أخرى..

أما نجوى الساكنة الأزلية في البيت المهجور لم تخرج من الصمت أو عنه واكتفت بمطالب محدودة لم تلتفت إلى تورم يديها والرائحة المنبعثة منها, والتي يؤكد الناس أنها ليست بالرائحة المكروهة ولا المحببة, هي الرائحة التي شمها أحمد الدالي قبل موته بساعات, وكشف عن نجوي السواد ليرى أتعس وأرق جسد شاهده لامرأة عذراء معطرة بدمع ندي..

فهل رأى في نجوى الوجه الحقيقي والبهي لمها وهل كانت نجوى آخر انفجاراته تقول مها:

" **فقد نامت يومين كاملين عارية على بلاط الغرفة المجاورة لانتحاره المفاجئ ولملمت حينما استيقظت ملابسها السوداء المبعثرة في جميع الأركان، ولملمت آخر مذاق لشفتيه وأماكن أسنانه على جسدها المنهك. وعلى الرغم من قرصها المتكرر لأذنيه وتكبيرها فيها, وعلى الرغم من هزها المتواصل ليديه وقدميه، وعلى الرغم من قراءتها العميقة لتوسل وذعر**

عينيه المفتوحتين، فإنها لم تجد وسيلة تتحقق بها من موته إلا حك رغبتها الأخيرة في رخاوة ذبول اسمر ينام على جمال آسر لمن هيأ نفسه أخيراً لي "

أي انفجار هذا الذي يسدل الستار على حيوات انصهرت في حياة، وأي تشظي يرافق ما بعد الانفجار ويتوزع في المساحات، كلما ابتعد عن مركز الفعل زاد تألقاً وتأثيراً ضارباً قوانين العلاقة بين المركز والمحيط في لعبة الدائرة التي تحدد نقطة بدايتها موئل نهايتها..

فهل أودعت سهير المصادفة أسرارها في سمكة الجيتار التي/ تستطيع الرؤية من ثقوب الشبكة الضيقة، لأن أجنتها الآن في أمان، ولا يخيفها الذهاب إلى المياه الضحلة لتدفن ذيلها في الرمل وتغني, فربما ينفتح أمامها بحر مختلف عما كانوا يعرفون.

– 10 –

وأخيرا فإن اعترافات سهير المصادفة أخذتني كقارئ إلى مدوناتها حتى السطر الأخير، وقدمت لي زاداً شهياً يليق بشهوات ورغبات مها السويفي، وعذبتني بعذاب نجوى السويفي وأحمد الدالي وأحمد منصور, فامتلأت حتى الجوع, ومازلت مع الأسئلة التي انبثقت من رحم الرواية, ومازالت تتناسل مثل شياطين تمارس العبث حتى الجنون.

وأقر بأن ما قدمته قراءة خاصة جداً، تعلمت من خلالها كيف أعايش اللذة في عمق الأسئلة، الأمر الذي يجعل من العودة للرواية مغامرة مغايرة كل مرة، فالرواية بقدر ما تحقق راحة الشبع عند المتلقي, بقدر ما تثير الرغبة في جوع جديد..

*** رواية لهو الأبالسة الطبعة الثانية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب 2005**

*** سهير المصادفة شاعرة وروائية مصرية تقيم في القاهرة**

الجياد تقفز عن الحواجز

قراءة في ثنائية فوزيه مهران الروائية

أما قبل

تأخذك فوزية مهران إلى دواخلها, بدون مواربة أو تخفي, أو خشية من رؤية نقيصة أو كشف عورة, فهي مطمئنة على مساحاتها البيضاء بالرغم من جروحها وآلامها, شأن أي فنان لا يأخذ الحياة على عواهنها, وهو المؤرق بعذاب وعذوبة الاكتشاف .

فقد تميزت هذه الكاتبة الرائدة ومنذ ما يزيد عن نصف قرن بقصصها القصيرة. التي تعتمد على الانديا‌حات الشفيفة, وقدرة الكشف عن كوامن النفس في انتصاراتها وانهياراتها, فهي تعيش تجاربها بعمق بهدف الوصول إلى ذروة الحقيقة,.ذلك ما يظهر جليا في روايتيها القصيرتين جياد البحر(1987) وحاجز أمواج (1988) اللتين يمكن اعتبارهما جزأين لرواية واحدة, تقوم على تفاعل الهم الذاتي مع الهم العام بحيث يصعب الفصل بينهما ,كما هو الحال في صعوبة الفصل بين الفن والحياة عندما يحمل المنجز الابداعي قدرة الكشف أو النبوءة .

<u>جياد البحر مفردة من قاموس البحار</u>

والزمن ما قبل حزيران 1967, والأشخاص فريق مسرحي في رحلة على ظهر سفينة إمداد "تزود الفنارات المعزولة في البحر الأحمر, والقائمة على الجزر المرجانية, بالطعام والماء والأخبار والرسائل" والفريق يضم مثقفين ومناضلين سياسيين تعرضوا للسجن والاعتقال. مثل **الدكتور زهران** ومهندس الديكور الذي رافق زهران في الزنازين وخرج من السجن صامتا يرسم فقط والممثلة **أمل** .بالإضافة إلى الممثلة الشابة الواعدة **منى**, والممثل المحترف **عادل عبد الحميد** الذي يشكل نشازا عن هارموني المجموعة ,ويقوم على إخراج المسرحية الفلسطيني **بلال** المؤرق بوطنه,ويرافق الفرقة ضيفا الأستاذ **الابراهيمي الجزائري**, مسئول المسرح في وطنه, وهو مناضل ومقاتل ملتزم, وصديق للكاتب المعروف مولود فرعون .

نور, الراوية ومؤلفة المسرحية وتلميذة الدكتور زهران, تطمح أن تجد في البحر متنفسا للخروج من ضغط الحياة في العاصمة وفرصة للمراجعة والتأمل والخشوع, يأتيها من بعيد صوت أبيها بتلاوته العذبة "**وإذا فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون البقرة 50**" وتستعيد حديث الدكتور عن رجال الفنارات بين رجل عاشق أو رجل هارب من زواج وانتماء

وفي عرض البحر تلتقي برجل خيّل إليها أنها التقت به من قبل, "ربما في بحور كونراد أو في رقص إيزا دورا أوفي أزقة نجيب محفوظ أو ربما في كبرياء ناظم حكمت" يغزوها الشعور بالانتماء إليه وأن أباهما واحد, فهو يركب البحر, وهي ولدت وأمضت طفولتها بجانب البحر تنظر إلى مداه.

تسأله عن رغاوي بيضاء تطفو على سطح الماء, فيخبرها أن هذه الرغاوي تظهر في مواعيد معينة, وتسمى جياد الماء.وفي ومضة مثل خطف البرق يصرّح وبثقة من أمتلك الحقيقة "**أحسست بكِ قريبة, تنتمين إلى عالمي بلا شك**"

صوته يعبرها رجفة لذيذة ,وهي المعبأة بالتجارب, لكنّه البحر بساطا للتأمل والصفاء والاقتراب من الذات والاقتراب من الله بعيدا عن عالم المدينة المغلف بالأقنعة, ولأنه البحر فلا حجاب بين الحق والحقيقة ,وها هو الربان يطلق مكنون نفسه دون عناء "**أتعامل معكِ مثل نجمة الميناء ,في اتجاهكِ دوما** "

أي عصف يصيب الهدف مباشرة, يجعل الدكتور زهران بإبوته يحدس الأمر, فتعترف بين يديه, تتخفف من لهاثها " **للبحر فعل السحر .كأني عدت في العشرين** "

في مقالها الأسبوعي, وبعد فترة من التيه والتخبط وفشل في السيطرة على تجارب فاشلة, عادت تكتب عن صيغة المستقبل في كلام الله , تتحدث عن الأمل الممتد, والوعد القائم بالحق والعدل, وها هو صوت الربان ينبههم إلى مشهد مثير "الليل.والبحارة يهبطون إلى الزوارق يجدفون في قلب اليم ,باتجاه الفنارات"..منظر أسطوري يخلب اللب, لعبور الرجال إلى المستحيل وكأن في ذلك نبوءة ستتحقق فيما بعد .

بين السماء والماء يأخذ التأمل مداه, تتجلى العلاقة بين المجودات خلال التدريبات والمناقشات الحميمة والعميقة, يعزز الإحساس بالأمان لأنهم في ظل قياد ربان يعطي بصمت, ويتكلم عند اللزوم, يختزن معرفة كبيرة وحدس لا يخطئ, وقد أصبح حاضرا فيهم, لاسيما نور التي اكتشفت تكاملا وتطابقا مع سجاياها فحملته في جوانيتها مناجاة أشبه بالصلاة " **تشعر أحيانا في ظلمة غرفتكَ, أنكَ لم يجدف إنسان إلى مياهكَ الداخلية العميقة. ويصل إلى تلك المناطق الوعرة. ويعرف مخبأ اللؤلؤ والمرجان. يغمره النور الكامن للعزف معكَ** "

على ظهر السفينة تتفجر الطاقات بعيدا عن تشابكات الأرض. فالممثلة أمل تجسد نظرية ستانسلافسكي "إنسان جيد,هو ممثل جيد " فأمل تجد حياتها في المسرح, تطلق أفكارها, تعلن عن رفض كل أسباب الإحباط والتدمير والمطاردة, وتتعلق بالفلسطيني بلال الذي يحمل وطنه معه, ويتخذ المسرح منبره الذي يبدأ منه رحلة الوصول إلى الوطن, وقد وجد في المرأة أمل وطن الإخلاص للفن والحياة .

وعلى الجانب الآخر يخوض الإبراهيمي حوارا معمقا مع الدكتور زهران حول مفهوم الثواب والعقاب تناصر نور أستاذها الذي يؤمن بوجود العقاب والثواب في الدنيا والآخـــرة, معـــززا رأيه بالآيات فهو يرى أن "الأمم كما الأفراد تحل عليها اللعنة, إذا عتمت وبعدت عن أمر ربها وخرجت عن شريعة الحق والعدل .يكتب عليها الله المذلة والمسكنة " وكأنه يستشرف مستقبل الأمة العربية" ,فالحرية والعدل كل لا يتجزأ, وهذا ما تعالجه نور في المسرحية التي تقوم على حادثة حقيقية نشرتها إحدى الصحف, عن بحار يسكن في قرية ويغيب طويلا , فيتعرض بيته للسطو اثنتى عشرة مرة فيكتب البحار تحذيرا عن وجود قنبلة تنفجر إذا دوهم البيـــت, لكـــن اللصوص لا يكترثون وتنفجر القنبلة وتقتل أحدهم وتصيب الآخر بالعمى, فيرفع الأعمى على البحار قضية مطالبا بالتعويض.

تقوم أمل بدور المحامية يؤرقها سؤال الحياة " من ينشد العدل لا يدافع عـــن اللـــصوص ,ولا يقف ضد أمن المجتمع " وهى بذلك تطرح السؤال القائم بين الأنظمة الحاكمة والجماهير, ما يجعل البحث عن علاقات بديلة الشغل الشاغل لطلاب الحرية.

كيف يكون الأمر والبحر مفتوح على كل الفضاءات .يشعل في النفوس والعقول القدرة علـــى النفاذ إلى عميق المعاني والحقائق.

وها هو الربان يقدم مشاعر نور وعلى طريقته الخاصة :

- في فنار الأخوين أفضل شاي في العالم

إنه يقرر حقيقة لا خلاف عليها :

- أنتِ تحبين الشاي مثلي .

" أشياء كثيرة تجمع بيننا..أكاد أصدق أنه رآني من قبل "

وفي فنار الأخوين تلتقي بمأمور الفنار, الذي يخاصم زميليه, وينشغل بالكتابة إلـــى زوجتـــه, مؤجلا الأشياء الهامة لآخر الرسالة, يبثها أشواقه وعذابه بعيدا عنها, وعندما يرجع إلى البيت سرعان ما ينشب الخلاف بينهما , وتطرده صارخة "أنتَ لا تصلح لشيء" فيعود للفنار يذرف الدموع على ابنه الذي هرب من البيت ولم يعد.

رجل الفنار الصامت يعترف أمام نور :

- عرفتُ أن صمتي هو ذنبي..خطيئتي..

نور تنفذ إليه مثل سهم :

- أنتَ تحب الكتابة .

- هي الوسيلة التي أشعر معها أنني ما زلت أعيش وأعامل نفسي كبشر..

ونور على يقين أن في الإنسان قوى مبدعة, إذا ما دربها على السمو تصل به عنان الـــسماء, وأن كل ما اخترعه من معدات هو انعكاس لما لديه من قدرات, .فها هـــو البحـــر فـــي روح

المأمور الشفافة وإخلاص البحار اليتيم طارق, وحكاية الإعرابي الذي يظهر فجأة حاملا سمكة استاكوزا هدية للربان ثم يختفي في جزيرة منسية مع بناته يرفع الراية إذا بلغت إحداهن سن الزواج..تسأل نور عن الحقيقة في الرواية, يجيبها الربان:

- نسمعها كنوع من الأساطير

ولأن جزيرة الأعرابي ليست كالأسطورة غير مرسومة على الخرائط, يأخذ الربان نور إليها فلا يجدان عريشة ولا رايات ولا بشر كل ما وجداه ضريح لابن بناس, وبقايا نذور,ومقبرة **,والخلخل** وهو نوع من القواقع يتكاثر بالتلاصق, يصبح جسدا واحدا من أصداف ذات مصراعين, تتنفس معا تنفتح المصاريع وتظهر الكائنات الرخوة كأنها الهواء..

أي حياة في تلك البقعة المنسية في صحراء الماء, أي خلخل يحفظ كيانه, بالتوحد الجمعي, فيما البشر على الأرض يخوضون الفرقة والصراع والقتل ,لا فرق بين القاتل والضحية, ولا بين السجان والسجين فالكل فاقد لحريته تائه عن منطق العدل.

لكنها الرحلة تمضي, والربان يعلن عن أجمل شواطئ الدنيا في جزيرة برنيس وها هو الدكتور زهران َتعمره شهوات الحياة .وعندما يعود وبينما إحدى قدميه على الأرض والأخرى في القارب تهزمه اللحظة الفارقة ..فجأة يموت..

غاب في موعده !؟ بعد أن تناسخ في تلاميذه ,ليكملوا المشوار..ينعق بوم الحزن لحن الفراق, تحمل الطائرة جثمان شهيد ولا معركة, يصرخ بلال :

- نعود في حزيران مهزومين !!؟

تشرب الفرقة كأس الموت..تمتثل لقرار ربان السفينة, وتعود لمواصلة العمل في المسرحية..ولأن الربان ابن البحر ينفذ الأمر فالحال على الأرض طوارئ والقادم حرب فاصلة. إشارة تقصم ظهر الوقت فجأة..على السفينة العودة إلى خليج السويس.

كان ذلك في بداية حزيران من العام السابع والستين..لم تعرض المسرحية على جمهور المشاهدين في القاهرة الغني, ولا عرضت في الهواء الطلق في المناطق البعيدة.

هي الحرب والإنسان فارسها والضحية

***

حاجز أمواج

ليل النكسة طويل وثقيل..الربان محظور عليه البحر, والرهبان غادروا الفنارات, وجياد البحر طفو لزج والشواطئ هدير ونذير بالفراق..الربان يبحث عن حاجز يمتص فورة الأمواج العاتية, يغرق في بحر الكتب..يلوذ بقريته سندبيس وأمه خالدة نبع الحنان وعصارة

المواريث,لا تتوانى عن خلع جلبابها الجديد الوحيد لستر لحم امرأة فقيرة تسعى على رزق عيالها.."كان الأولى أن تعطيها ثوبا قديما " ترد بعفوية جارحة :

- يا سلام هو في وقت للتفكير! محتاجه تلبسه وتروح على شغلها..أنا ضيوفي حبايبي يحضرون من أجلي..يريدوني أنا مش الجلابيه .

خالدة حاجز الأمواج الحقيقي والحافز على البناء وعبور الانسان إلى مرحلة جديدة .من خالدة تتجلى لنور بديهية غائبة "البناء العام هو في المحصلة بناء خاص لكل فرد يعيش على هذه الأرض "

ولأن البناء ضرورة ملحة, فلا بد من شحذ كافة القدرات والأدوات للمساهمة الفعالة, ولا بد أن يأخذ الفن موقعه ودوره فتعود أمل التي أخذوها من حضن عريسها بلال إلى المعتقل, ويعود بلال الذي التحق مقاتلا في الثورة الفلسطينية مع أخيه معين الشاعر خريج معهد السينما, ويعود كل أعضاء الفرقة لتكتب نور قصة الفيلم, عن شاب مصدوم بالواقع يعتصم بصمته ويعتزل أهل القرية فيما زوجته تحاول الخروج به من الحالة..الربان يقدم فيلا قريب له لتصوير الفيلم, وينجح بلال في إقناع الممثلة القديرة ماما سكينة بالمشاركة وأداء دورها الحقيقي في الفيلم "سكينة فقدت وحيدها الذي اغتيل بعد الهزيمة ولم يدخل الحرب, فأخذها الحزن عليه إلى الصمت وفقدت القدرة على النطق, وأقامت مدرسة لتعليم أطفال القرية "

الروح تعود, وها هو رجل الماء يقضي النهار يرش الماء بصمت جليل يقتل غبار الأرض أمام المارة والسيارات, ويثير إعجاب الجميع كما يثير استخفاف عادل عبد اللطيف الذي ينظر للواقع بتعال أجوف, على العكس من أمل التي تلعب الدور في المسرحية أمامه حتى أعمق خلية فيها, ما يثير السؤال عند نور, "كيف تروض أمل عواطفها نحو رجل ترفضه فكريا وتعارض سلوكه ومواقفه " لكنه الالتزام ضرورة والممثل القدير يخرج من التقمص بعد أداء الدور.

في القرية يتعمق التواصل, وتأخذ الأم خالدة موقعها كقاعدة أساس, فهي التي باعت يوما مصاغها "وهو كثير" ووقفت مع زوجها ولم يتبق لها غير صندوق من خشب الورد فارغ إلا من الحكايات والذكريات "لا خسارة ..المهم أن لا تحدث الخسارة في النفس مهما حصل " وهى بذلك تقدم مفاتيح شخصية الربان, وتفسر تفاني أخته فريدة التي فقدت زوجها والتزمت بأولادها..فريدة تصنع شايا مميزا أطلقت عليه نور شاي الأصدقاء وعندما سألتها عن سره أجابت بعفوية عاشقة:

- عندما سألت زوجي عن عدد ملاعق السكر في الشاي أريده مضبوط..سكر مضبوط..

ورحل عنها الزوج وقد أودعها عشق أصيل تلخصه الأم نور "**في ناس بتحب تعطي, وفريده من النوع ده ..تموت واقفه, تسقط من طولها ..**"

أي طاقة يحملها هذا النوع من الأمهات ,ومن يستطيع إخضاع شعبا فيه الأمهات يفكرن على هذا النحو ..

الحياة تسير, تتعارض فيها الأهداف والوسائل ,وتتباين الطموحات والرغبات, فها هو عادل عبد اللطيف يستغل نجوميته وعلاقاته, يستدرج فريقا تلفزيونيا لتصوير برنامجا حول الفيلم, بهدف الاعلان عن دوره فيه, ما يثير قرف أمل ولا مبالاة بلال وسخرية معين, فيؤلب عليه الممثلة الشابة منى الموهومة بحبه لها, ويوقعها في حيرة التساؤل حول انجذابها إليه مع نقائضه وانفصاله عن الفريق, وعدم التزامه بالمواعيد, وموقفه الهازئ من إدخال عمل رجل الماء ضمن مشاهد الفيلم, وكذا اعتراضه على دور ماما سكينه, واعتماده مفاجآت غير مقدرة, مثل دعوة الأستاذ **عزمي خميس** الذي تقاعس عن نصرة أمل وحمايتها من الاعتقال خوفا على منصبه الوظيفي, وهو الذي ما زال يحبها ولا يوفق في التعبير عن ذلك فيبثها شوقا مستفزا:

- يبدو أن تجربة السجن زادتكِ بهاءً.

تصده أمل المقاتلة واضعة النقاط على الحروف :

- من أجل هذا توسعتم في المعتقلات ليشع البهاء على مستوى القاعدة ..

في الريف تعكس الطبيعة نفسها فتكتشف منى تناقض شخصية عزمي "المصيبة في الأستاذ عزمي أنه يقول عن نفسه ضحية وهو محارب متوحش "..وتغير الأم خالده رأيها في السينما بعد أن رأت الجهد المبذول في الفيلم لتوصيل فكرة نبيلة, ونرى كيف يقتنص معين ماما سكينه وهى مندمجة في همها فيأخذ الكاميرا موثقا دورها وهي تحمل ثياب طفل مؤكدة أن ابنها لم يمت..

لكنه القدر المترصد يأتي على غير ميعاد حاملا خبر استشهاد الأخ الاصغر للربان, وتتحول الدار إلى بيت عزاء وتصبح الرواية حقيقة تضع الجميع في بؤرة الاختبار..

يتوقف العمل..كيف يكون الحال في بيت يتبارك الناس بماء بئره يعتقدون أن سرا يسكنه..لا عجب فالناس في سندبيس يتداخل لديهم البشري مع المقدس تكريسا لمعنى "الدين المعاملة" فالقرية تحتضن المئذنة وقبة الكنيسة في تآخي سرمديّ وتقيم ضريحا لنجار صالح كان يعطي ولا يأخذ..

الناس في خشوع, أمام لوعة الأم التي أخذتها رجفة الصدمة, ورأت عرسا في السماء.." السماء إزينت لك يا حبيبي.. كده مره واحده.. وبعد الناس ما تكبر وتنضج وتبقى في عز عزها تتخطف كده..طيب تتمتع بحياتها الأول..تنتصر وتفرح بعملها وتعطي أكثر.. "

وحتى يعطي الشهيد أكثر, تتبنى أمل إقامة مدرسة تحمل اسمه وتنذر نفسها لتنفيذ الفكرة, وهذا معين يمتص حزن عايده بنت فريده, فيحدثها عن صديقه عيسى الذي كان يجالسه بجوار

الأماكن المقدسة, يعلم الواحد منهما صديقه تعاليم دينه, وكيف قضى عيسى تحت أنقاض بيته الذي نسفه اليهود, وكيف أخذه القسيس في عباءته وطلب منه أن يغمض عينيه وأن يفتحهما, فيخبره القس أن روح عيسى صعدت إلى السماء ولكنه باق معه ولذلك خلق الله الذاكرة..

وحتى يظل الشهيد في الذاكرة يقرر معين البقاء مع عايدة يعملان في مدرسة الشهيد..وليسمعا رجل الماء ينطق بعد طول صمت :

- **أمر الله نفذ..وله الأمر..**

وعندما يسأله معين عن العمل يجيب:

- **الشغل الحقيقي عمره ما ينتهي.**

ولأن الفكرة الأصيلة لا تموت, فإنها مع الصبر تبقى حاجز أمواج يحمي الشواطئ من شرور الأمواج العاتية لذا تنطق ماما سكينه بعد طول غياب:

- **كيف حال جدتكِ يا عايده..**

<u>أما بعد</u>

فهل أرهصت الكاتبة فوزيه مهران أن الجياد تقفز عن الحواجز في المواعيد الحاسمة كما حدث في ملحمة العبور..؟

*** صدرت رواية جياد البحر عن مؤسسة روز اليوسف–سلسلة الكتاب الذهبي عام 1977 وصدرت رواية حاجز أمواج عن مؤسسة روز اليوسف عام 1988, ويظهر الكثير من تفاصيل عالم البحر في قصص الكاتبة في مجموعة فنار الأخوين ومجموعة أغنية للبحر**

أعواد ثقاب تتوهج في ليل حالك

قراءة في براءة الدهشة الأولى عند بشرى أبو شرار

بشرى أبو شرار امرأة معبأة بالوطن، بعيدة عنه بفعل أكثر من فاعل، قريبة منه قرب الرئتين من هواء الشهيق. تعاني الغربة على مدار الوقت وتحاول ما استطاعت القفز عن أشجانها إلى التوثب والحضور حتى لا تأخذها الغربة إلى الغياب. ذلك ما أرهصت به بداياتها الأدبية من خلال دفقات القصص القصيرة في مجموعاتها أنين المأسورين 2001 والقلادة 2002 وجبل النار 2003, وفي روايتها الأولى أعواد ثقاب 2003 تعود إلى طفولتها وصباها المبكر في الوطن، بين أهلها ورفاق أيامها, قبل أن تغادر وتأخذها الغربة في رحلة غير مقدرة للدراسة والعمل في المدن القريبة والبعيدة، ثم الزواج والأسرة لتحط بها الرحال على ذراع البحر في الإسكندرية, **شنارة مهاجرة** تبحث عن ملاذ. تتأمل رحلة النوارس البيضاء، عشق روحها الأزلي في مدينتها الأم غزة، حيث أيامها البيضاء هناك، تستعيد الحكايات وتفتح الجراح طازجة/ حارقة/ مؤلمة تؤكد اللحمة والتواصل، وتستشرف الرؤى, تتجاوز عسف الفقد والاستلاب فتأخذنا في مشوار العودة إلى الوطن بعد طول غياب والشعب الفلسطيني في أوج تجليات الانتفاضة في نهاية الثمانيات.

مزحومة بالصور تقلها سيارة تقطع الحدود بعد معاناة المعابر المعروفة. فتطالعها يافطة تشير إلى المحكمة العسكرية في رفح. فيحضر أبوها حاملاً ملفاته وأضابيره مدافعاً عن المعتقلين السياسيين، يحيط به ذويهم يعلقون عليه الآمال لعله يأتي بالبراءة المستحيلة, أو حكم مخفف هو بالبراءة أشبه, وكأن الكاتبة تؤكد أن المقاومة هي البداية والمنتهى فتمضي مع خفقات قلبها حتى تصبح وجهاً لوجه مع باب الدار.تعبرها الألفة وكأنها مازالت هناك لم تغادر المكان, ولم تحرر خصلات شعرها من شبراتها الجميلة.

" **أقف بالباب أنا وحقيبتي التي خلتها غريبة عني وهي القادمة معي من البلاد البعيدة** "

الاغتراب عن الحقائب, القطيعة مع السفر أمنية بعيدة وهي المرصودة للعسف والاضطهاد والملاحقة. فقبل أن يحضنها دفء المكان يسوطها صوت فظ يخبرها أن ساق ابنها قد كسرت. صوت خشن آت من البعيد، يعلقها بين حدين قاتلين, الحسرة على شوق لم يبدأ بعد، واللوعة على جزء منها في أمس الحاجة إليها. لا تملك غير العودة مع ظلها/حقيبتها قبل انبلاج الفجر

تتلحف بكوفية مرقطة تقيها برد الطريق، لا تمد يدها إلى وجبة السمك التي حضرته أمها عشاء أو غداء يذكرنا بالعشاء الأخير للسيد المسيح، قبل صعوده إلى صليبه وكأني ببشرى أبو شرار قد أجلت العشاء الأخير لتقطع طريق الآلام يفقأ عين قلبها رغبة ابنها في التخلص من أبيه:

- أمي متى يرحل أبي لقد تعبت منه كثيراً..

الرعب/القتل ما سمعت ابنها ينفي أباه، وهي المعبأة بأبيها لدرجة الفيض وهي التي طالما اختنقت بدموعها من مجرد التفكير في غيابه، يركبها جنون العودة إلى الدار تقاتل خاطراً أسود حول الغياب.خاصة بعد رحيل بعض مجايليه من الجيران والمعارف..

الكاتبة في الرواية تعود إلى حكاياتها بوعي طفلة شفافة، مبهورة بما ترى وما تسمع، مملوءة بأشواق الحياة، تبحث في العادي اليومي عن وشائجها الأولى بين الأهل والجيران وأصدقاء الجيرة والمدرسة، والمطارح التي درجت عليها وتركت آثار قدميها فيها, وسيلتها أعواد ثقاب رهيفة تضيء فضاء صغير يسبح في العتمة, والحكايات تنداح محطات تملك مواصفات القصة القصيرة وتشي بسيولة ومرونة العبور إلى عين الهدف تتجاور الحكايات فصولاً في الأزمنة والأمكنة حول خط ناظم محمول على سيرة ذاتية تقدم يومياتها دون رتوش، تشكل نموذجاً طازجاً حارقاً لمعاناة الإنسان الفلسطيني، وتؤكد بما لا يقبل الجدل صعوبة الانفصام بين الذاتي والجمعي عندما يتعلق الأمر بالوطن والهوية,. يتجلى ذلك مع لغة عفوية شفافة بريئة براءة الدهشة، مضمخة بثراء عاطفي يلّون القص بنبض إنساني رائق يتشرب الأبيض بكامل البهاء، ويطرد الأسود بكل جفاء، يتعذب في الرمادي التباساً يسكن الغموض، يشوه المشهد ويلونه بالقتامة تحت نير الاحتلال الذي يغتال كل يوم نوارة الذكريات قبل الميلاد فأين يكون الملاذ..

***

الأب ملاذها.يفاجئها بالحكايات تارة، بالحب العميق الصامت دوماً، يتألق حضوراً عندما يصطحبها مشياً على رمل الشاطئ. حافيان يتسرب ماء الموج تحت قدميهما.حيث يأتيه الكلام وحيث تستمع إليه بشغف, وفي البيت تأخذ مكانها تحت شباك غرفة الضيوف، تلتقط الحكايات عن معارك القسطل وصحبته لعبد القادر الحسيني، وصداقته الحميمة مع محمود رياض، يحدث ضيوفه في كل مرة عن رفيق كفاحه الأسطوري إبراهيم أبو ديه. يسكنها ذلك البطل، تفتش عنه عندما تصبح امرأة، وتأخذ بعضاً من سيرته عن أختها لأبيها يسري المقيمة في القاهرة. فهو الذي باع أرضه ومصاغ زوجته واشترى سلاحاً, جسده المطرز بالإصابات وكيف كانت يسرى وجدتها لأبيها تنزع الرصاص من لحمه, وكيف هرّبت زوجته معزوزة

السلاح عندما حاصر جنود الاحتلال البلدة, وكيف شاركت يسرى وماجد في تنظيف المدفع بالكيروسين لإزالة ما علق به من صدأ. فالأب الصامت نبع الحكايات كان يعمل ضابط إشارة مع الثوار، يفك رموز الإشارات ويعرف زمان ومكان المعارك ما جعل إبراهيم أبو دية يفاجئ الأعداء في معظم الحالات.

هذا الأب مثل جبل الخليل الذي انبثق منه، عاش يعذبه الشوق كلما وقعت عينه على الفلاحات بثيابهن المطرزة, فهو العاشق المقاتل الذي ثار على ضم الضفة الغربية إلى شرق الأردن, فطورد وطرد منها إلى مصر ثم إلى غزة لاجئاً إلى الوطن يعاني خذلاناً مزدوجاً، تاركاً خلفه زوجة صابرة وأولاداً صاروا رجالاً، وبنات أصبحن نساء بالغات, يلحق به إلى غزة ماجد ويسرى ولكنهما سرعان ما يذهبا لملاحقة طموحات الحياة..أي حكايات تسمع وعند أي الأحداث تتوقف، وصغيرها يلوذ في حضنها، يأنس لدقاته ويتمنى غياب أبيه

***

والراوية طفلة كبرت مع الحكاية, ورأت كيف يلوذ الأب الصامت بحضن أمها شريفة، وشريفة شابة متفتحة مثل وردة الصباح، واثقة متباهية على دلال بأنوثتها، شامخة بزوجها "رغم فارق العمر" بذرت في بيته سبع بنات. شنارات جميلات ملأن الدار زقزقة وانتظاراً لقدوم الصبي سندها وبناتها في قوادم الأيام, وشريفة معبأة بالعادات والمواريث تنهل من فيض كتب وروايات تركها ماجد. تقف طويلاً عند العجوز والبحر لارنست همنجواي، وتحتفظ في حجرة نومها بصورة مبروّزة له، ما كان يثير امتعاض الزوج من ذلك الكاتب المغامر.فهل أدرك إصرارها على بناء بيت صيفي يواجه البحر على قطعة أرض ورثتها عن أبيها. وكيف تصدت بلحمها الأبيض الحار لجرافات الاحتلال عندما هدموه. يومها أخذها من بين أنياب الهدم، صفعها على صدغها وحملها على صدره، وعاد بها إلى الدار قلبها يدق على قلبه يتوحدان في قرار المواجهة كل على طريقته، يعود هو إلى ساحات المحاكم يدافع عن المعتقلين، فيما تعود هي إلى عاداتها تطبخ عنب الدالية دبساً ومربي، وتشرف على ترتيب حجرة التخزين بما جادت به الأرض من زيت وزيتون وبقول ودقيق وقمح, وبطنها البستان عامر تتربع عند القدر الموضوع على نار الحطب، تحدث بناتها عن عادات الوحام أثناء الحمل، كيف توحمت على دخان الحطب الصادر عن مواقد مضارب البدو الذين حطوا في الجوار, وكيف قرشت الحصى في حمل آخر, تضحك حتى يسيل لعابها من زاوية فمها عندما تتحدث عن اختلاف القابلتين على من تولدها. حتى إذا جاء المولود بنتاً فُض الخلاف،

وانسحبتا بصمت خجول. أما بشرى فقد جاءت على يدي القابلة السوداء أم سرور التي خففت حرج الموقف بالمزاح:

- بنت سمراء خرطت صبغة يدي عليها. ما العمل؟!

والصبي لم يأت بعد. يشتد المخاض، ويتصادف مجيء أم حسن، ما جعل شريفة تتطير من مقدمها نذيراً بمجيء بنت أخرى، وتركب عنادها وتذهب إلى المستشفى المعمداني, فيأتي الصبي على يد الطبيب مور، وتسميه بشرى عمر على اسم صديقها في المدرسة عمر المقعد على كرسي متحرك، ابن الضابط المصري الذي غادر مع أهله قبل الحرب

عمر يغيب..عمر يأتي وتتغير العادات في الدار.

لكنها الحرب تأتي، بالاحتلال والشنارة بشرى طيرت ريشها واكتحلت عيناها ببياض وسواد.

صارت صبية شقية تضج بما يسكن فيها من أسئلة.تلوذ بابيها فهو من يقرأ رفة قلبها دون عناء.

***

مثل صرخة جائع دخل طقس الاحتضار

مثل رفة قلب دخل إلى الصمت.

سقطت غزة في الحرب. صار الاحتلال، طارت في الشوارع لغة عرجاء تعلن عن منع التجول في الأزقة والطرقات. التجول موت تصدره بنادق من كسب الحرب,يطلع الصبح كسيف، لم تذهب البنات إلى مدرسة القاهرة، لم يلوحن مع معلمتهن للجنود في ساحة التدريب، يرسلن مع الصبح تحيات الانتصار. الشنارات تركن فراشهن إلى حديقة الدار، يجمعن ما تناثر من شظايا القصف، ورؤوس مقذوفات نحاس حمصه البارود فيما الأب يقطع وقته وجعاً، يدق على سيقان حديد فوق صدر السندان، يمدد الأسياخ على العريشة تتسلق عليها الدالية، تتدلى من الفرجات عناقيد العنب. هل ترضع الدالية ماء هذا الصيف هل ينضج حصرمها الأخضر عنب بطعم المانجو، حبيبات حمراء مثل حلمات صبايا يتفجرن شهوة..عنب بطعم المانجو..سره سر الرجل الذي عشق الصمت. وصام على أسرار الأصول. يحضن شناراته والصيف حارق..تقف الدمعة عند عين القلب, الصبي نام على صدر شريفة يرضع بعد جوع هل شبع الرضيع.والأب بعد مرور الوقت تحت نير الاحتلال يصدر أمراً بعودة البنات إلى المدرسة على عكس ما قرر صديقه بتحريم التعليم تحت سقف اليهود.

في المدرسة كتبت المعلمة حكمة اليوم من أعماق كمال ناصر.

يا فلسطين لا تراعي ففينا همة تصفع الزمان القاهر

يومها لم تمتد يد بشرى وباقي التلميذات إلى هدايا الملبس التي جلبها مسئول التعليم اليهـــودي أبراهام. ويومها شقت الحناجر الصغيرة أجواز الفضاء.

أعلناها عل المكشوف يهودي ما بدنا نشوف

للمدرسة في الاحتلال مهام أخرى، وللجنود مهمة قتل العصافير ومداهمة البيوت والمحـــلات والمدارس. والسخرية من معلمهم القعيد على كرسيه محمد عدوان أخو الشهيد كمال عـــدوان. قائد الجنود يستفزه.

– أنت مازلت هنا!؟

كمن يذكره باغتيال البطل لكنها الحناجر الطفلة تستدعي مارش الوداع.

يا كمال يا عدوان علمنا حب الأوطان.

وكمال عدوان رفيق ماجد، وصديق دربه، قضى شهيداً، وماجد غادر البيت قبل أن ترى بشرى النور, صارت صبية ولم تره بعد.

***

الفصول تصطف في الرواية. تتجاور، تشرئب للضوء طامحة للحياة، والخال سعيد يحمل البنات في صندوق على كرسي دراجته يغوص في الرمل باتجاه البيت " **يشق الرمال فيترك خطاً فاصلاً غائراً.ننظر إليه ونمني النفس بان نعود يوماً لبيت جدتي ونمشي وراء الخط المحفور في الرمال فنصل إليها دون دليل** ".

جدتها أخذتها إلى المجبر فعاد كتفها المخلوع إلى مكانه, وعادت يدها المشلولة إلى الحركـــة. في غمضة عين حدث ذلك وهي مبهورة وما زالت من يد رجل فعله اقـــرب إلـــى الـــسحر, وجِدَّتها تسافر إلى عمان خلف الخال كاظم الذي غاب بعد الحرب تاركاً زوجته فايزه حـــاملاً تضع طفلتها ابتسام في غيابه, وعندما يعود تكون ابتسام قد رحلت بفعل استعمال خاطيء لمبيد قتل القمل، وكذلك فايزه التي قررت اللحاق بالطفلة فغاب عقلها وبصرها. ولم يتبقى لكـــاظم غير ورشته ومخرطته وهوايته في تصنيع السلاح.

الحكايات تقفز على صفحات الرواية بدون تخطيط مسبق، من صانع الفخار خلـــف دولابـــه وعتمة المكان في حارة الفواخير، إلى تغير العادات في يوم العيد حيث يذهب الأب بـــصحبة الشيخ عواد إلى السجون حاملين التهاني والحلويات لمن يعيشوا خلف القضبان دفاعـــاً عنـــا, وبشرى تطلق قنفذها من درج الخزانة إلى فضاء الحديقة يسعى كما يريد. وحكاية الجـــارة أم العبد ذات الفستان الأزرق الجميل وأحمر الشفاه الشهي التي انقطعت خطواتها عن زيارة الدار

وجلسات الضيافة بعد اغتيال زوجها الذي عاد للعمل مع الشرطة في زمن الاحتلال. والرجل الذي غسله وكفنه يقدم الاعتذار عن فعل مشروع.

- **لا حول ولا قوة إلا بالله. لقد تم الغسل. أعانني الله عليه لأجل الثواب.**

***

انه زمن عجيب، يتوحد فيه الوطن تحت ظل الاحتلال، مفارقة سوداء. والطريق من غـزة إلى رأس الخليل ساعة أو بضع الساعة لكنها تزيد لضرورات الحواجز وفي الطريق يـرقص الماء سراباً على سواد الإسفلت، يفضي وهم وحقيقة لا ماء في الصحراء. الماء عنـد بطـن البئر في راس الجبل. تقطع السيارة، درباً إثر درب يسحبها صوت تردد :

- اخويا محمد

إنها عمتها ممشوقة عيناها مطعمتان بخضرة الجبال، ترتدي العراقية (طاقية) مغزولـة مـن صوف الماعز، بألوان حمراء وسوداء، متداخلة، رصت على جوانبها جنيهات ذهبية تبدأ من الحواف مدلاة، جنيهات كبيرة تنتهي على شكل هرم، من أنصاف وأرباع الجنيهات، يتدلى من جانبيها خيوط سميكة مغزولة، تشدها لتعقدها أسفل دفتها، تنتهي بجنيه كتب عليـه بالكوفيـة (قسطنطينية) والعمة إذا خلعت العراقية يصيبها وجع الرأس وتدرك الراوية بشرى عشق الأب لثياب الفلاحات، وهيامه بالمطرزات على حوافها.

وها هي في الجبل ترافق ابنة عمتها إلى البئر، تنصت لكركعة الدلو في القاع العميق، وتعرف معنى أن تغطي أم ياسر ذهبيات عراقيتها بقماشة سوداء، حداداً على غياب ابنها ياسر. تأخذها المرأة الثكلى إلى حضنها تحدق فيها تسترجع نبض الفروع من الأصول.

الراوية امرأة صغيرة تقفز مع ابنة عمتها في دروب الجبل، تحفظ خاصرة الـسفح، وتنظـر للوادي العميق، يأخذها الخشوع كما يأخذها الولع، مع نار الطوابين، والخبز على الحـصى، وكركعة الدلاء في قاع البئر.وخطواتها على الصخر, ونظرة طلت من عين العجوز الثكلـى ربطت الفروع بالأصول خضتها هتفت أم ياسر:

- **العيون شرارية عاد محمد وسيعود الخير معه.**

أبوها الصامت فأل خير عاد.

وفي دار العمة عادت القناديل المدلاة من السقف مثل عناقيد الدالية. ترضع الوهج من زيت عتيق. تومض الحكايات.يحضر من غابوا ومن رحلوا.تقف السيرة خشوعاً عند مبروك المغارة ابن الحاجة غصون الذي، يظهر مع سقوط الثلج عارياً مثل الحقيقة...تحدثوا عن ليلة

قارصة انكسر فيها القمر، ناح المبروك نواحاً موجعاً واختفى في بطن الجبل فأخذت الرجفة الناس على فأل سيئ..

في الصباح حملت الأخبار نعي جمال عبد الناصر.

هل رأى المبروك وجه عبد الناصر وبكي مثلما فعلت أنديرا غاندي يوم أخذها سحر عينيه فأجهشت بالبكاء.

قال الذين تحدثوا في تلك الليلة انكسر القمر ومضى شاحباً نحو الخسوف.

***

صارت الطفلة في الحكاية امرأة تعي معنى الغياب والحضور,أختها أسماء تعاني الموت في أمريكا، مثل قمر في الخسوف، تحضر منها سيرة طالبة مثالية تعشق العلم، وأنثى تضج بشهوات الحياة، عشقها لسحر الفساتين مع الأساور، ودندشات الغجريات الراغبات, أسماء مثل قوس قزح يأكلها المرض، تزحف نحو الموت، تصرخ **جسدي هنا من يحمله.** والراوية يأكلها الحنين إلى رغوة الصابون في الحمام على مرمر لحم أختها الفائزة بالحياة فيما أخوها مقذوف خارج بوابة السفارة مرفوض فلا تأشيرة تأخذها إليها.

انه زمن الغياب.

ماجد يتشظى، تنثر لحمه المتفجرة غيلة.

ماجد يحضر من جديد، يتسلل في مسامات الوقت، مقالاً في مجلة الدوحة تصدر على ارض خليج العرب.تصدح بعنوان جليل:

ماجد أبو شرار أنشودة العزم والتحرير

يخبر المانشيت عن قصة كتبها الراحل ولم تنشر بعنوان الرحيل, فهل تبدأ القصة من الفصل الأخير, وهل تصطف الفصول مرة أخرى عند رحيل الأب محمد أبو شرار, مصطحباً معه في ذات اليوم المهندس الشهيد يحيى عياش ليعانقا الأصيل إبراهيم أبو دية.

وأنا الذي قرأ الرواية فتشت ما بين السطور لاح لي المبروك عند باب المغارة.وجهه مثل تمثال تيبس عند شهقة الموت. رأيت الثلج أسود حط على قلبه جمد فيه الصراخ.أني سمعت المبروك المأخوذ إلى الصمت يصيح:

لم يعد يجدي النواح.. لم يعد يجدي النواح.

وبعد:

وعلى مساحات ضوء صغيرة حول الأعواد الهشة المشعلة، يرى القارئ وجوهاً تقدم نفسها بعفوية وبدون استعداد مسبق. لا تتخفى وراء جهامة مفتعلة، أو سعادة غائبة. تأتي بلحمها وعظمها ودمها وعذاباتها الصغيرة والكبيرة، تأخذ مكانها في مرايا الأمكنة حاضرة في أزمنة

تأخذ الماضي من الحاضر. تاركة فضاءً للتأمل والمشاركة. وهذا في تقديري من أهم عوامل نجاح العمل الأدبي. وهذا ما فعلته الروائية الواعدة بشرى أبو شرار التي تشرنقت في أرديـــة سيرتها الذاتية فانطلقت فراشة عفيّة قادرة على الطيران.

*** بشرى أبو شرار قاصة وروائية فلسطينية تقيم في الإسكندرية, اصدرت عدة مجموعات قصصية وعــدة روايات**

أشلاء بؤرة العشاق للكاتب أحمد حميده

نبض الأماني والشهوات في حياة الهامش

في روايته الثالثة.أشلاء بؤرة العشاق وبعد مشاوير عديدة مع القصة القصيرة، يواصل الكاتب السكندري **أحمد حميدة** النبش المعمق في كوامن النفوس الصائمة على أشواقها، والقابعة في النطاق البعيد عن سكان البحر، أسياد المدينة اللاهية العابثة السادرة في غيها، والتي ترى في كائنات المدارات البعيدة عبيداً يقومون على خدمتها، فلا بأس من ابتزازهم حتى تأخذ الرفاهية أبعادها المنشودة،لا يتوقفون ولو للحظة عند ما يمور في صدور العبيد من أشواق وعواطف ساكنة في أصدافها تتوهج في عتمة بعيدة، وتضيء عند الاحكتاك بوهج صاعق لا يرعوي، ولا يأخذ بالمعايير، طاقته في براءته وتوحشه البكر المعبأ بالرغبة العارمة في حياة حقيقية، يتصيد فرصة شبع مفقودة في بيئتهم الجافة، وكأن قدرهم أن يعيشوا الحياة بوجهين.وجه يملك الفرجة وما تولده من حسرة وردود أفعال غاضبة حاقدة، ووجه آخر يتعامل مع المناخ الذي يحفظ البقاء والتناسل والتأكيد على صيرورة الوجود على الأرض..

ولأن الحياة في الهوامش مبرأة من عوامل الترف، وفاقدة لشروط الحد الأدنى للكفاية, فإن الإمكانية الوحيدة المتاحة هي اندفاع الغرائز بدءاً من جنون ضربة النبوت على أم الرأس, وانتهاءً بالغوص في بئر الغرائز الجنسية المدفونة في شغاف الحلم, الذي يأتي في هدأة ليل أو يعبر خاطفاً في حلم يقظة، ولأن الليل غطاءً رحيماً للأجساد المكدودة من تعب النهار فلا يأتي بغير رحمة الشخير تخلص الأبدان من لعنة البحث عن الرزق فلا يتبقى غير أحلام اليقظة, وكأن الحياة في تلك الهوامش حلم يقظة على مدار الوقت..

هكذا يأخذنا الراوي/ المؤلف إلى كوابيس الحياة, لاعباً ماهراً، يقبض على خيط رهيف يجعل من الواقع حلماً ومن المتخيل واقعاً. تندمج لديه الرؤية بالواقع، في حكاية لاهثة كما هي الحياة في **حي الفولي** المحصور بين خط السكة الحديد، وفضاء أرض الفولي الشاسع الذي أهم معالمه مكب النفايات وكوم الزبالة الذي ينمو باضطراد يفوق معدل زيادة السكان، فهو يجمع بالإضافة إلى زبالة الحي فضلات الأحياء البعيدة في ظل غياب الرقابة التي جعلت من كوم الزبالة كياناً خارجاً عن القانون, يسوغ هواية صبيان الحي في النبش أملاً في العثور على لُقية بعد أن عثر أحدهم على خاتم ذهب بات حلم الصبيان..

وفي حي الفولي تلعب الصفات الشخصية العامل الأبرز في الحضور وفرض الذات في مجتمع يتشكل أساساً من أصحاب المهن الدنيا، وصغار الموظفين، والعمال السريحة، وصغار التجار، والخادمات في بيوت الأسياد، والنواطير والحراس والعاطلين والمدمنين..وأم ريدة الجميلة الممتلئة المغناج ذات البشرة الرخامية والعيون الواسعة المكحولة على سحر خاص يبعث الشهوات من مراقدها, لها قدرة إطلاق سهامها إلى الرجل ولا ترضى بأقل من إصابة في مقتل, على مرأى وسمع زوجها سيد البخلاء بخيت الكواء/ السمسار أول ضحاياها إذ يتحول إلى قواد متواطئ بعد أن زرعت فيه وهم العجز عن ري جسدها المتطلب دفقاً استثنائياً لا توفره مياهه الغائضة في قرار سحيق..

وبخيت المكابر، يدرك شهوات الآخرين نحو زوجته، ولا يبالي ظناً منه أنها في النهاية ملكه "**هي لي وحدي..دعهم يقذفون سمومهم في ملابسهم..اتركها تشعل فيهم الفقر والجنون والحقد المرتد إليهم..كل ما يقال عنها كذب رجال مشتهون، ونساء قبيحات..**" لا يقبل عقله أن تقوم زوجته بفعل مشين مبرراً لنفسه وعلى غير قناعة فعل الخيانة. لكن عيون أهل الحي مراقبة نافذة، ترصد قدها الريان عند الذهاب إلى السوق، وترى كم هي مجهدة مدعوكة عند العودة، ما يؤكد حدسهم وتصديقهم لما رواه أحد أولاد الغجر عن ضبطها بصحبة صاحب التاكسي، الشاب الحليوة ماجد الذي يسكن كليوباترا، ما يدفع بخيت إلى إعلان صداقته لماجد بدعوى أنه يبحث عن شقة ويفتح له بيته نكاية بمن يتقولون..ويضحك في سره لأن ما تجلبه أم ريدة من السوق يفوق مصروف البيت.."**من يضحك على من..؟!**"

أم ريدة تختفي فجأة.

تخرج إلى السوق ولا تعود. تاركة خمسة أولاد.يحملون ملامحها ولا يشبهون بخيت..وتصبح المرأة اللعوب حكاية شغلت الحي فترة, وترسبت في صدور أولادها الذين مازالوا ينتظرون عودتها..لكنها تعود بالتقسيط..وتعود معها فصول الحكاية من جديد، وقد فتحت الترابيس التي طالما أغلقتها لتعزل غرفة النوم عن الصالة، وتعزل الصالة عن حجرة الأولاد، وتعزل حتى دورة المياه عن الشقة إذا دعت الضرورة، بعد أن تقتل الطاقة الدافقة في بخيت مع كوب اللبن المحلى بقرص المخدر الذي يأخذه إلى ذروة النوم، مع صياح ديك الفجر ليصحو بعد العاشرة صباحاً خجلاً من ضياع قوته وقصوره عن عبورها،وإطفاء جسدها الغائر الراغب هارباً من تقريعها ووصفها له كصرصار انقلب على قفاه بعد جرعة مخدر..لا يعرف أن جسدها الريان قد ارتوى من غيره حتى الشبع والامتلاء، فالعشاق يعرفون الدرب إليها تلصصاً قبل أن تدب الحياة في أزقة الحي.فيما يختلط لهاثها وصياح جسدها بصوت الغسالة وصرير صنبور الماء المفتوح على مداه..

"**مفارقة سوداء يلعب فيها صوت الغسالة والماء دور المتواطئ على رجس الشهوات النجسة**"

في كوم الزبالة نبش الأطفال فعثروا على ساق امرأة زحف إليها العفن ولكن لم يخف بياضها ونعومتها..انطلقوا بالخبر فهرول أهل الحي كل يحمل هواجسه, فهذا هو **إبراهيم هريدي** مشغول الدماغ بقلب مبهم، **وفرغل العجوز** متوجس القلب بأسى الخائف, **ومحمد دواجن** مطلوق البدن كمن تحرر من خطر مؤرق طالما أفزعه.أما بخيت فيتقدم بوجل يداري وجعاً انتابه.يتراجع مبهوت الرأس وقد لمح ندبه ببطن الساق ألجمت لسانه.فيما الناس يواصلون النبش على أمل العثور على بقية الجسد، لكن هريدي يتحسس عبث المحاولة ينبه الناس:

"**لا فائدة من تقليب الزبالة..العفن موجود بالداخل**"

أي داخل يا ترى..داخل المجتمع الذي لا يرحم، أم داخل النفوس التي شوهتها الشهوات المحرمة، أم داخل كوم الزبالة الذي يرمز بصورة مقلوبة لشرائح الناس في المدينة، وما القمامة إلا الوجه المقزز لأفعال البشر..؟!

وها هو برعي يستنكر غياب الرقابة, ويفزع من عودة أم ريدة بهذه الطريقة "**منذ رحيل فتوح حلي لها المشاوير البعيدة واصطياد البشر**" وأم ريدة لم تخش رجلاً مثل خوفها من **فتوح** الذي قيد خطواتها، ورصد عليها خطواتها وإشارات ضحكاتها..وهو الفتوة العاطل المدمن المسطول يفرغ شبقه فيها عنوة أو رغبة فيشبعها..لا تحبه ولكنه يعطيها الأمان، يسافر إلى الخليج وراء حلم العودة بالنقود حتى تضحك له ولها الحياة.غيابه فتح لها عتبات الانطلاق خارج الحي لتطل على نوافذ الحياة، عابثة صائدة.ترى ما لم تره في ظل فتوح..تصطاد الشاب ماجد الجميل العفي وحيد أمه وأبيه الموظف المحترم الذي ترك له معاشاً يصرف منه واشترى سيارة يأكل من خيرها بدلاً من انتظار خطاب القوى العاملة. سيارته بيته الطائر المتنقل، وإرثه سيرة أبيه العطرة، وتقاليد الأسرة المستورة المحترمة المشهود لها بالإخلاص والأخلاق الحميدة..

أم ريدة مازالت ساكنة في رجال ونساء حي الفولي، النساء مقهورات على الجفاف وذهاب العافية، والالتزام بالأولاد، والهلع من تقويض دعائم البيت الذي بعده الجحيم..والجحيم على بعد خطوات قد يقطعها الرجال إلى حضن أم ريدة..فلا تملك الواحدة منهن غير الحسرة والغل ومضغ الحكايات والمكائد، ومراوغة الأزواج ببقايا عافية تارة، وشواظ نظرات الشك والريبة تارة أخرى، والاستقواء بالأولاد تارة ثالثة.

أما الرجال فما زالوا لعبة أم ريدة، تتسلى بهم على هواها وتلعب معهم في الوقت الضائع، تشعل فيهم دبيب الرغبة حتى انفجار الشبق، وتنمي لديهم حاسة الشم البوهيمية التي تحول أجسادهم إلى خرق مبلولة بعرق الرجفة، والقذف على ذواتهم المهزومة، حتى يرفعون رايات

الاستسلام، تأخذ منهم الرايات وتخبئها في صندوقها الصغير الذي تحتفظ به تحت سرير نومها مع بقايا الأحذية والخرق البالية، والأتربة الزاحفة والروائح المحرمة.وفي أوقات راحتها تركب رعونتها..تتجمل وتتفقد جسدها البديع شبه عارية، تستعرض لذائذها. تزحف على أربع، تخرج الصندوق من عتمته، تنفض ما علق عليه من غبار.وتستعيد عشاقها باستمتاع المنتقم على إيقاعات نبض ساقيها العامرين، ورجرجة ثديان يجيدا لعبة الانفلات من حضن السوتيان العاجز عن حصارهما.في الصندوق شال فرغل المطرز مهترئ الحواف وعقد زوجة برعي الكريستال، ورسائل الشاب الشاعر الهيمان الذي ينتظر في حضن أمه وظيفة القوى العاملة، وصورة لإبراهيم هريدي وأخرى لشلبي الغجري خلف كبائن شاطئ جليم، وثالثة لأخته سمر لاهثة فاتحة ساقيها تدعو من يريد العبور، وعقد دكان محمد دواجن موثقاً باسم زوجته رتيبة عوض سليمان، وعندما تطل عليها صورة فتوح المسطول تشهق وكأنها الخائفة، وتستنيم للذكرى بثني الساق واضعة كف قدمها بين الفخذين بشرود وخنق شفة، تضع فتوح فوق الثديين وراء السوتيان وتدخل معه رحلة عبور.. وتستحضر اللحظة في ذروة تجلياتها، كما يرصدها أحمد حميدة برهافة "**أم ريدة تحبس عشاقها الذين نالوها والذين عجزوا عنها، الحاضر منهم والغائب**"

تغيب المرأة لتعود مع ساق أخرى ذات أظافر مطلية بطلاء أحمر محشورة في كيس وضع خفية في ميكروباص، كان من بين ركابه برعي العجوز المتصابي الذي طالما قارن جسد زوجته "**عود القصب العجوز الذي نخره السوس مع جسد أم ريدة مثل الخص الطري الذي يريح الروح** " تلك أم ريدة التي سحبته إلى بيتها ولاوعته حتى راوغ لسانه نصفها السفلي فأبعدته بدلال المرأة التي تضبط التوقيت:

- **غداً أعد نفسي لك..ليس الآن.**

فلا يجد سبيلاً غير إخماد لهيبه في زوجته المتصابية، والتي قامت عن غسيلها فرحة بطلبه المفاجئ متمثلة لأمره..

- **الآن وقبل صلاة الظهر..**

***

لم يثر اهتمام الزبال الذراع النافرة من كوم الزبالة، ولا طلاء الأظافر الأحمر الذي مازال عالقاً، انصب اهتمامه بسحب الدبلة الذهب من الأصبع المتورم حولها، فراح يعالج اللحم بموس صغير فصل عقلة الإصبع، ونسل اللحم من حول الدبلة، لفها بورقة دسها في جيبه تاركاً صبي يبول على كوم الزبالة يرش الذراع بماء مثانته..ويهرب مولولاً ليعود والناس في إثره. ما يثير عجب محمد دواجن الذي قذف مخلفات دكانه على الزبالة، ولم يشاهد الذراع

التي كانت يوماً سبباً لمقاطعة زوجته له ومنعها أولاده من مساعدته في الدكان، بعد أن أشعلت أم ريدة شبقه وجعلته لا يذوق الارتواء مع لحمة الحلال..ولكن الزوجة تأخذ مباهاة بخيت بزوجته التي تطبخ الدجاج يومياً، فتربط الأمر ببخل الكواء وخسائر محل زوجها، معللاً ذلك بموت الدجاج، فضربت حوله حصاراً حتى ضبطته خارجاً من عند أم ريدة..ولم تصدق أنه لم ينلها وخرج مهزوماً وقد فقد عقد الدكان، وقذف سموم شبقة اثر ملامسة لحم ذراعها البض.. "**كم كان غريراً لم يتحمل مع اللعوب غلوة سقط أثرها بالضربة القاضية**"..وها هو يعود من كوم الزبالة وقد شعر ببعض راحة كعصفور فتح عليه باب القفص فأخذ يختبر فضاء الحرية والقدرة على الطيران..

أين شالك يا زوجي العزيز؟

أين شالك يا أبي؟

ويعرف فرغل أن شاله مأسور في صندوق أم ريدة، شاهد على رجولة دخلت الاختبار وسقطت سقوطاً مريعاً في حبائل امرأة جردته عارياً، فيما ابنه يختبئ تحت سريرها.

كابوس ما حدث أو زلزال..

أن تُهرِّب الملعونة الابن في العتمة، ثم تحبس الأب في دورة المياه..سقطة لم يقم بعدها حاملاً نبوته متصدراً المعارك، لم يشد وجهه الجاف على جهامه الجنوبي الأصيل المرهوب الذي لا يساوم..ها هو يلوذ ببيته وزوجته وأولاده، يراقب الحقد الذي يمور في صدر ولده المطرود من دنياه، والمهزوم حتى في حلمه.

وها هو اللص بيوض ينشغل عن جيوب الناس في القطار، أملاً في سرقة الكيس الموجود على الرف، الذي ربما غفل عنه صاحبه ونزل في أحد المحطات, وفي المحطة الأخيرة يحمله مدعياً أنه يخصه، فيجد ذراعاً ذات أظافر مطلية بالأحمر مفصولة عن جسدها..

ها هي ذراع أم ريدة الثانية..فهل يتنفس فرغل الصعداء ويقترب أكثر من يقين غياب من مرغته يوماً، وسلبته شاله المطرز الذي عاد به من الخليج وأصبح علامة وقار تميزه.

***

كلما غابت تعود..

فتوح لم يقدر على الغربة يعود.ليجد زوجته قد هجرته ورحلت مع أولادها إلى الفلاحين تاركة إياه مع الفقر والوحدة، يشم الجاز والغراء ورائحة الجوارب والبول ولا يصل رأسه إلى توهج المسطول, بعد أن رأى بأم عينيه الشاب الوسيم ماجد يتسلل من الباب الحديدي الموارب، ما يفجر فيه الحنين والإفاقة المرة بعد فوات الأوان..ففي غيابه دخلت المرأة طور العشق وأخذت

تعلم عشيقها الشاب فنون امرأة مجربة، ترتوي لدرجة التوبة والامتثال فتهجر سلوك الغواني الصائدات، وتستر لحمها الثمين العزيز بثوب أبيض فضفاض، تهجر زينتها الرخيصة الصارخة، تأنف من معاشرة أمثال فتوح الغائب والذي كان في محطة القطار الذي تأخر عن ميعاده الصباحي تاركاً الناس في وساوسهم يتكاثرون وكأنهم شهود حالة على صرخة ماسح الأحذية عنترة.الفتوة التائب اللائذ مثل جرو في المحطة بعد أن ذاق ذل السجون..يطلق الصيحة بعد أن رأى الكيس معلقاً بحديدة الجرار في العربة الأخيرة

- **حفيظ يارب..**

جسد امرأة بلا ساقين ولا ذراعين..

هل اكتملت الحكاية..؟!

لم يظهر الرأس ولم يطل وجه أم ريدة الساحر الساخر، لم ير أحد ضوء عينيها ولا رصد أي من الناس حالة خوف أو ذعر أو أسف أو حتى استغاثة أو موجة عشق تطلب الحياة..

***

ما الذي يريده أحمد حميدة؟ وما السؤال الكامن خلف الرواية؟

بالقطع هو لم يفكر بتقديم جريمة قتل، فالرواية تشير بما لا يدع مجالاً للشك أو التأويل أن القتيلة هي أم ريدة، وأن القاتل ليس بعيداً عن مدار الحي..والكاتب لم يتوقف طويلاً عند بشاعة الموت..فقط عاد بالمرأة ليأخذ القص خطوة للأمام وخطوات للوراء في نسيج لولبي متداخل كما هي الحياة..

في تقديري أن الكاتب أراد استبطان عواطف ومشاعر وغرائز الناس الذي ينتمي إليهم في الأحياء الفقيرة والهامشية، فكان ابن التجربة بامتياز يحسد عليه، وصل إلى أعماق الحياة كما سبر أغوار الأماني والأحلام في ظل الفقد والحرمان والعسف، الذي يحاصر الناس في الهامش, مؤكداً إن هؤلاء هم الناس الأجدر بالحياة، بما يمتلكون من طاقات حقيقية وأن في دواخلهم كائنات متوثبة لاقتناص كل ما يترجم أشواقهم والخروج من دائرة الحصار بالذهاب إلى الحلم طالما هم لا يمتلكون الواقع, حتى وان دفعوا الثمن باهظاً أقله ارتباك الحياة عند الصحوة من غيبوبة الحلم, حتى وإن كان حلم يقظة

*** أحمد حميدة: كاتب مصري يعيش في الإسكندرية, أصدر عدد من المجموعات القصصية, وثلاث روايات.**

البراءة في عالم متوحش

"قراءة في رواية "وشوشات الودع" للكاتبة السكندرية منى عارف"

عتبة الدخول

في روايتها الأولى "وشوشات الودع", تضعنا الكاتبة السكندرية الرقيقة منى عارف أمام الكثير من الأسئلة حول آفاق التجريب في الرواية الحديثة, من خلال بنية روائية مركبة متعددة المستويات, على مستوى الشكل والمضمون وتقنيات السرد, تنطلق من الواقع المعاش لتعود اليه, وقد أخذته من الواقعي شديد البساطة والوضوح, إلى العميق شديد الغموض بفعل ركام المعاناة والألم, تزهو به على انديا‌حات وتداعيات تجعله واقعا سحريا متداولا لاحتفاظه بمفرداته اليومية, يراوح بين الأنا السارد الذي يقدم الاعترافات بشفافية الصوفي العاشق, والأنا الراصد الذي يحاول رصد رجفة الروح وارتجاجات البدن عند لحظة المواجهة أو درء الخطر, وكذا الراوي العليم, الذي يجمع مفردات المشهد في فسيفساء فنية تحوز القبول وتسعى إلى نيل المصادقة عليه, فنراه يأخذ من غريب الأفعال ما يسحب العمل إلى الفنتازيا, ويمتطي التداعيات, فيسحب العمل إلى الحلم المتواصل بين تجليات الروح وكوابيس الفقد والانكسار, عاكسا أحوال الفقد على ترديدات انتصارات وهزائم المجموع/ المجتمع.. وكذلك يهرب إلى التهويم الصوفي الرائق الراصد لمفردات الجمال في كون الله, بلذة الانبهار بعظمة الخالق ليرتد إلى الذهول من بشاعة الشهوات والغرائز التي تحرك بني البشر, خاصة في شريحة المتنفذين الذين يقامرون بأقدار ومصائر الناس محرضهم الأساس سطوة المال الخاص والعام, ومفجر شهواتهم الجنس ولذة الإشباع من لحم الآخرين, لا يرون في الحياة غير "مارثون" الوصول إلى أهدافهم, وكل من يسقط في السباق يترك لأقداره, أو عند حسن التصرف, يطلقون عليه رصاصة الرحمة كما الخيول الهرمة أو المصابة التي تلفظها ساحات السباق..

أصل الحكاية

وأصل الحكاية أن منى عارف, منذ كتاباتها الأولى والتي تبلورت في كتابها ما قبل الأخير روائح الزمن الجميل, هي امرأة تكتب بأصابع قلبها ومداد روحها, ترقص على إيقاعات

هامسة, وتنصت طويلا إلى لهاث صدرها المؤرق بعذاب الذين فقدوا الأمس وخسروا اليوم, ويعيشون الذهول أمام غد مصادر.. لذا نراها تلوذ بالحلم, تلونه مساحة للاختبار واستفتاء الرغبات غير المعلنة, تعبر عن حالها وحال من حولها بأناقة فراشة تتلفع بالحلم غلالة من سحر رهيف يحميها من موبقات عالم متوحش.. نراها تطل علينا من خلال أميرة بطلة الرواية تحملها رسائلها وشفراتها, لكن أميرة اختارت البوح على بساط آخر, وقد لملمت خواطر الاسترجاع والبوح الذاتي ومكابدات الأشواق والإيمان الفطري العميق, والقدر التي يترصد المخلوقات, ترتكز على ثقافة وخبرة ووعي يسحبها بعيدا عن ضفاف السذاجة, ولا يلوث فيها البراءة, فأميرة هنا امرأة عصرية ممتلئة بالحياة والتجربة, ترصدها القدر واخذ توأم الروح حبيب الدراسة بعيدا إلى مسارات الطموح, ورسم لها نصيبا مع وكيل النيابة ابن المحامي الكبير, الذي ضيق زوم عدسة رؤيته في حدود مهنته ووضعه الوظيفي ومكانته الاجتماعية, ضاربا عرض الحائط بطموحاتها وأحلامها وقدراتها, ربما عن قصور في الاستيعاب, أو لغرور وصلف الشرقي القابع فيه.. ما جعل المسافة بينهما تتسع, وما جعلها تبحث عن جسر هوة الوقت بالعمل, فتسوقها الأقدار إلى عالم ظاهرة البراءة وباطنه الافتراس, لا يفارقها طيف توأم روحها, كما لا تتوقف تحذيرات زوجها وحرصه الدائم على نقاء صورته, وكأنها هي مصدر التلويث المحتمل, لتقدم لنا اعترافاتها بعد أن قررت الانسحاب في الوقت المناسب من عش الدبابير, الذي طالما حاولت عدم التلوث بخطاياه وأدرانه, وكأن أميرة /منى عارف قررت الخروج من الحلم والكتابة بحبر آخر فهل كان حبر المواجهة؟!!

زمن القص وزمن الحياة

في تداعيات المصالحة مع الذات, تخرج البطلة أميرة من ساحة الصراع إلى ساحة التأمل ليلة 2008/2/16 من ساعة آذان المغرب وحتى ما بعد شروق الشمس بحسب الساعة المرسومة عند بدايات فصول الرواية العشرة.. تستدعي الراوية الزمن الواقعي الذي يعود إلى عشرات السنين, منذ أن كانت صبية "تروم القمر" تتوحد مع توأمها, حبيبها, زميل الجامعة التي فرقتهما الأقدار أجساداً, يحمل الواحد منهما روح صاحبه, يعيشان معا, ويتوحدان في لوحة خلود سرمدي مع الكائنات ويأخذان, دورهما الذي أراده لهما الخالق في عالم الروح الخالد" وحتى خروجها من أتون المكابدة مع الباطل مبرأة من الانكسار, مخذولة بعدم تحقيق الانتصار, تبدأ من جديد برؤية جديدة..

تقنية التداعيات يعززها زمنيا المقولات المختلفة التي تشكل عتبات الفصول, والتي تشكل اللحمة بين الأزمان المرصودة في بوتقة البوح في مستوياته المختلفة..

وما يعطي الزمن تلك الصور التي تسبق الفصول, والتي خرجت من المألوف هذه المرة فأصبحت جزءً من نسيج البنية الروائية, بعرض "كولاج" من صور الأحداث المحلية والعالمية, تعكس, بشكل أو بآخر, ما يمر من أحداث في الرواية, وكأنها كتابة بصرية تكمل الكتابة المقروءة.

هذه التقنيات تبدأ من سكون التاريخ المحدد إلى حركة داخلية تسببها الصراعات الداخلية في الرواية وكأنها أصداء لما يدور في العالم خارج المساحة الروائية..

مستويات القص داخل الرواية

يمضي السرد في الرواية على ثلاثة محاور متداخلة ومتكاملة, تساهم جميعها في بلورة بنية فنية متراكبة, تتيح استخدام أكبر قدر من تجريب تقنيات السرد, فالمحور الأساس يقدم متواليات الأحدث والأفعال من خلال تآلف أو تصادم المصالح والرغبات والشهوات, وما يتمخض عنها من انكسارات وانتصارات.. أما محور البوح فهو تنبؤات المستقبل من خلال حكايات وشوشات الودع وحكايات البصارة "ستوتة", في تأويل الأحداث, وإسقاط العالم الداخلي للراوية على ما يجري في الواقع, وهناك محور الإسقاط البصري, الذي توفره مشاهد من فيلم "همس الجياد" الذي يقوم على فكرة التراسل بين الأرواح والتوحد مع مفردات الطبيعة..

1 – مذبح المال والشهوات

في ساحة صراع الدببة, يدور الصراع في عالم رجال المال والأعمال الجدد, الطارئين مع مرحلة الانفتاح, التي شهدت, وما زالت تشهد انفلات المعايير والقيم, محرضها الأساس جمع اكبر ثروة بأقصر وقت وبأيسر السبل, وسيلتهم التمويه من خلال شركات الدعاية والإعلان وتجارة السلع الاستهلاكية التي تتداولها الطبقات الراقية, والتي تفرخ مجموعات الشركات المتضامنة التي تنهب الأراضي بأبخس الأسعار, وتغسل الأموال بتهريبها خارج مصر, جواز مرورهم إلى ذلك شهوات الجنس, ومنجزات عالم الشبق.. فنرى الرواية ترصد حياة لاعبين من نوع آخر, فنرى من الرجال:

المستشار الدكتور عبد العظيم النشرتي,الموظف السابق في وزارة المالية, الذي يعمل مستشارا لعدد من الشركات الكبرى, ذلك الستيني الأسمر ذو العينين الفاحمتين شديدتي اللمعان,

وصاحب الصوت الأجش الذي لا يتناسب مع بنيته الضفدعية الصغيرة, ولكنه الماهر في كل فنون اللعب, تستهويه الكعوب العالية..

والمليونير سيف سليمان الذي تبدو عليه هيبة الأصول التركية, بأناقته التي تثير الدهشة وبعينيه الزرقاوتين اللتين تفيضان سحرا ورقة, والذي يظهر دائما محاطا بشرذمة من مشاهير المجتمع!!

وحسام الزيان, صاحب شركة المقاولات الكبرى, الذي بدأ حياته في الخليج, ورجع إلى مصر وكيلا لعدد من الشركات, وهو الطويل الوسيم بصورة لافتة, يظهر دائما محاطا بعدد من الممثلات وفتيات الإعلانات..

والمهندس صفوت الناصري الثورجي, الذي تربى على فكرة المؤامرة, نراه يدخل الحلبة, ويخرج في اللحظة المناسبة, قبل أن تأخذه اللعبة إلى الغرق, ويفوز بقلب "جميلة" الرقيقة النقية ابنة سيف سليمان

وعلى الجانب الموازي تحتل النساء مساحات الفعل بأدواتهن, فنرى, بالإضافة إلى أميرة الراوية مجموعة متنوعة المنابت والمشارب والطموحات مثل:

ليلى فكري "لوله" تلك الشقراء المتسلقة المتسلطة,المبادرة التي تجيد الحجة والإقناع, تستبد بها شهوة القيادة والتملك, ويحاصرها هاجس الفقد..

مدام ثناء, التي انفصلت عن زوجين وتعيش, مع زوج مشغول عنها خارج مصر ولا يجتمعان أكثر من شهرين في العام, وهي تستبدل الأزواج, وتخرج في كل مرة بفيلا أو برصيد مالي أو بمجموعة من المجوهرات.. وهي المشغولة بمحاصرة الدكتور النشرتي صيدا دائما

نشوى المتعلمة, خفيفة الظل الضاحكة التي تخفي تحت جلدها عقرب سام, تداري وضاعة منيتها الاجتماعي, تجيد لعبة تحريض الأزواج, تمهيدا لسرقتهم من زوجاتهم, أو تدمير حياتهم الزوجية.

نرفانا "نانا" القروية ذات الشعر الأكرت, وصولية فاجرة, تريد الوصول الى عالم الكبار بأي ثمن..

كيف يكون الصراع في لعبة تقوم على التوجس والخديعة والافتراس والهروب في الوقت المناسب, أو التنحي, لا أحد يرحم من تقصر خطواته في السباق, الكل يعتمد على قدراته الذاتية..

الدكتور النشرتي بعلمه وخبرته السابقة, يوجه عمل الشركات المتضامنة, ويكسب الصفقات. وسيف سليمان, بسطوة ماله على أصحاب القرار, ومساعدة النخب الاجتماعية والإعلامية التي تدور في فلكه..

وحسام الزيات, بماله وأناقته, والفنانات وفتيات الإعلان, اللواتي يشبعن رغباتـــه وشـــهواته.. والمهندس صفوت الذي يخرج من السباق بمصاهرة سيف سليمان, ويحدد المسافة بينه وبـــين العالم الموبوء..

وعلى الجانب المقابل, تدور مكائد النساء وإغراءات الجنس وإشعال الـــشهوات فـــي الليـــالي الحمراء في الفنادق والمنتجعات والمخادع السرية, يأخذن أدوار الأميرات في عـــالم ســـاحر يفوق الخيال, أو يلعبن دور الساحرات المدمرات, يرتفعن بالعالم الروائي إلى ما بعد الخيـــال, في زمن الانفتاح, الذي يتجاور فيه الممكن والمتخيل, والحق والباطل, وتنحي القيم الراســـخة أمام القيم الطارئة, بسلاسة تظهر مع ترديدات الراوية أميرة, التي تأخذ دور السارد الأنا تارة فتقدم شهادتها واعترافاتها في خضم التجربة, وتنفصل عن ذاتها, لتأخذ دور الراوي الراصـــد المتأمل في تأويل ما يحدث من حوله, ومحاولة استقصاء ما تقدمة الحياة, وما تأخذه, تتنقل بين عتبات الذهول, والبهجة, والاستنكار, والتباس الرؤية, على أميرة التي تعيش بأخلاق أميـــرة التي تسمو عن من حولها, ولكنهم يضيقون الخناق عليها لدرجة الافتراس, فلا تجد سبيلا غير الانسحاب بأقل الخسائر, قبل أن تصبح ضحية مهدورة, فلا جدار تلوذ به غير حبيـــب يطـــل عليها من ثنايا الذاكرة, يؤكد لها، أنه مازال في الحياة ما يستحق أن نحيا من أجله, حتى ولـــو كان طيف ذكرى بيضاء, فتلوذ بكتاب "وشوشات الودع", واسترجاع قراءات الأقدار كما تراها البصارة "ستوته", في مقابل عدوان المحيط, زوجها المتشفي المتشكك بسهام نساء المجموعة, اللواتي أوغرن صدره, وعززن لديه أنانيته وضيق افقه..

هذا العالم المتصارع لا تتوقف تداعياته على اللاعبين فقط, بل تظهر بثوره دماراً يشوه جلـــد المجتمع, بسبب أضرار السحابة السوداء التي تغلف سماء القاهرة, وحرائق مخازن الحكومة, وعرض السندات المصرية في أسواق تل أبيب, والشراكة مع المستثمر الإسرائيلي المستتر في المشاريع السياحية والتوكيلات الأجنبية, وظهور شريحة تشكل مجتمعا خاصا يعـــيش علـــى ابتزاز المجتمع الكبير, حتى لو حرمت مصر من التكنولوجيا الذرية اللازمة للتحـــديث, ولـــو سقطت عمارة شطارة على ساكنيها, ولو انهارت الكتلة الصخرية من جبل المقطم على مئات البيوت في العشوائيات.. فالنتيجة في مساحة الصراع الخفية, بعض الضحايا وفضيحة تحبـــك خيوطها, ويتسلى بها الإعلام, وينشغل بها الرأي العام بعض الوقت.. والفضيحة هذه المـــرة يسقط فيها الدكتور عبد العظيم النشرتي متهما أول, يلوذ بـــسيف ســـليمان لتهريبـــه خـــارج مصر,فيتخلى عنه, ويتركه لقدره, فينتهي مقتولا في بدروم منزله!!

من كان وراء القتل؟!

هل كان أحد الضحايا الذين كان عددهم يساوي عدد سكان مصر؟

أم سيف سليمان, الذي شوهد طليقا في شوارع لندن, يحيط به الأعوان والحواريون ؟

أم ثناء, التي وصلتها ورقة طلاقها الثالثة, على حين غرة, قبل أن تتمكن شروط صفقة ابتزاز الزوج هذه المرة؟

أم نانا, التي ضربها زوجها في مكان عام, بعد أن طُلبت للتحقيق, وأصبحت تخرج بنقاب حتى لا يتعرف عليها الناس بعد نشر صورها!!

لا أحد يخرج من ساحة الصراع سليما معافى..

أما أميرة راوية القصة والشاهد عليها, تعيش التوجس من رذاذ الشبهات, والخوف من فتح ملف القضية الكبرى التي وقعت علية بطريق الخداع.. يتصل بها زوجها فرحا لخروجها من دائرة الشبهات, ونادما على مواقفه منها, وقبل أن يتبرعم الفرح في صدرها ويتحول إلى اعتقاد أنها وجدت الجدار الذي تستند إليه, يخذلها جموده على موقفه, الذي لا يتعدى أنانيته ومركزه الوظيفي والاجتماعي, فينهار الأمل إلى غير رجعة..

2 – فضاء البراءة الأولى

كيف اجتازت أميرة الدروب وخرجت من أتون المحرقة؟ وكيف كانت تصعد على جراحها وترصد ما يتفاعل حولها من حقد وتشويه وافتراس؟ لا حل غير البحث عن مساحات بيضاء, أوجدها خالق الكون في ذاتها المجبولة على الخير والصدق والجمال.. تتعامل مع أقدارها بعمق الإيمان, وعشق التكامل مع الموجودات, وكونها مفردة جميلة في منظومة مشهد رباني بديع.. فهل كانت أميرة في حال الراوي, تتحول بسلاسة سحرية إلى الراوي الراصد منى عارف؟ والى أي مدى يعكس عالم أميرة فضاء روح منى؟.. وهل تبدى ذلك في ترنيمات ستوته, التي تستمد أصالتها من أيمان فطري عميق وهضم متوارث لموروث الإنسان المصري منذ وجد على هذه الأرض؟ أم في بوح الحكايات التي يضمها كتاب وشوشات الودع, هدية توأم روحها, البعيد القريب الذي لم يبرح وجدانها؟ وهل هو امتداد لشفافية صوفية, لظهور فراشة الفجر بعد ليل بهيم, كما تجلى في محطتها ما قبل الأخيرة في كتاب "روائح الزمن الجميل"..

فهل كانت روائح الزمن الماضي الجميل, هي ما عصمها من نتن العفن في ساحة صراع الدببة, حيث تختلط روائح الجشع الإنساني بتكنولوجيا الروائح المصنعة في زمن الانفتاح؟!!

اعتقد أن أميرة شديدة الالتصاق بشخصية الكاتبة, تبتعد عنها كلما الحت ضرورات الرصد, فهي تعرف الكثير من التفاصيل الدقيقة وغير المتاحة للكثيرين.. وتعود لها عندما تطلق عصافير عذاباتها الملونة, وتغني أناشيد الحياة.. لذلك تنسحب وهي المنتصرة, وتنتحي ركنا لتذرف دمع الأسى, وتنزع عن جلدها ما علق به من أشواك الخبائث في مارثون الصراع..

تأتي بحكايات الكتاب الأزرق, تواصلا مع حبيب بعيد ما زال ساكن فيها.. كلما ابتعد اقترب, وتأتي تنبؤات ستوتة على هدى بوصلة داخلية لا تخطيء مدارها..

3 -انعكاس الصور على مرايا القلب

تتجاور التداعيات مع وشوشات الحكايات, وتنبؤات العرافة مع مشاهد من الفيلم الرومانسي "همس الجياد", فهل للعين رسائلها أيضا؟

وكأني بالكاتبة منى عارف, قد جدلت خيوط الواقع مع خيوط الحلم صورا على مرايا العين, لتسقط حالة التراسل بين المروض والحصان, وبين الحصان الذي كسرت رجله والفتاة التي فقدت ساقها وأصيبت بالاكتئاب, وبين أم الفتاة والمروض..
تقف الأمم أمام خيار إطلاق الرصاص على الحصان لإنهاء عذاباته, ولكنها تختار الذهاب به إلى مروض الخيول, الذي يتراسل مع الخيول, والذي يشترط موافقة الفتاة على معالجته..
في المزرعة البعيدة نعرف أن زوجة المروّض عازفة الكمان قد تركته إلى المدينة تبحث عن ذاتها, فيما هو بقي للعناية بأولاد أخيه.. ترافق المرأة الرجل الصامت على حبه وعذابه في الغابة والحقول, وترهف السمع لوجيب قلبها وموسيقى الطبيعة.. في مشاهد رومانسية صوفية حالمة, نسيجها الحقيقة البيضاء.. فتغفو على صدره, وتكتشف أن هناك نغمة ضائعة من أغنية الوجود..
فهل يمكن اعتبار مشاهد الفيلم نوعا من الكتابة البصرية, ترسم على مرايا الذات ما تعلنه لغة القلب, ويعجز اللسان عن البوح به؟
ربما!!..
وربما هي إشارة إلى لغة الجسد السرية التي تعبر عن كيمياء الروح, التي تترجم الأشواق والرغبات وحتى الغرائز, التي لا تعبر عنها اللغة المنطوقة, مثل ما تبدو في رجفة البدن, ونبض الجلد, ولهاث الصدر, وتغيرات الوجه, وبريق لمعة العين, وكل ما يحط على العين المستقبلة, فيحرك فيها كيمياء التواصل, والتراسل واستقبال الإشارات, ما يؤكد أن " من لا تحبه الروح لا يحبه الجسد" حتى وإن استوعبه العقل تساوقا مع ضرورات واقع الحال..
فهل في ذلك تأكيدا للتراسل بين أميرة و حبيب بعيد قريب, وانطفاء جذوة العلاقة مع زوج قريب بعيد..؟؟

مستويات اللغة

في الرواية رغبة واضحة للتجريب, يبدو ذلك جليا في التعاطي مع اللغة أيضا, فنرى عدة مستويات في لغة السرد على امتداد الروية, كما وتبدو اللغة مهرا أصيلاً, يستجيب لرغبات الفارس/ المؤلفة, فنحن إزاء لغة رصينة عند استكشاف الحالات والعوالم الخاصة والعامة, قادرة على حمل اجتهادات العقل وما يختزنه من معرفة وثقافة لطرح رؤى الكاتبة من ناحية, ويحرك الأحداث داخل الرواية من ناحية أخرى..

كما نرى اللغة الرومانسية الحالمة التي تعكس شفافية عاشق موله, وتستجيب لفيض المشاعر في حكايات وشوشات الودع.. تنقل القاري إلى بوح عصري شفاف, يستمد ظلاله من ألف ليلة وليلة, على ديباجة معاصرة..

أما عندما تتولى البصارة الكلام, نجد البسيط المسجوع المنغم, الطافح بفطرة تُقطر تجارب الإنسان منذ الخطيئة الأولى على وجه الأرض..

وفي خضم هذا التنوع تتقافز لغة الحوار بالمحكي العامي في الزمان والمكان المناسبين, مكملة لمستويات اللغة الأخرى, فالكاتبة مشغولة باللغة كفاعل أساس في بنية الرواية..

فهل كانت اللغة في الرواية أحد مجالات التجريب أيضا؟

اعتقد ذلك, واعتقد أنها تمكنت من لغتها إلى حد يحسب لها..

وبعد

فإننا مع هذه الرواية, نقف عند حيرة السؤال حول بنية هذا النص المراوغ, القابض باقتدار على روح الرواية, والذي يجمع في ثناياه نبض الخاطرة, والمقالة التأملية, والبوح المسترسل والصورة البصرية, وروح الشعر, في ضفيرة فنية مدهشة, تأخذنا إلى عالم فيه من العفوية رقة ماء الجداول, وفيه من العبق تفتح نوار ربيع النفوس وجمال بياض السجايا, وفيه من الظلم بشاعة القتل عن سبق إصرار وترصد, وفيه من الرحمة محبة صوفي متوحد مع الكون في ملكوت خالق الكون.. وهو في جميع حالته نص يغني للحياة ويطلب مغفرة خالق الكون..

وهو على مستوى تقنيات السرد الروائي, نص مشاغب يلج الرواية من عدة بوابات, ويسعى إلى التجريب الواعي ليضع بنية نصية ربما تفتح سؤال التأمل, أو التحدي أمام نقاد الرواية..

--

*** منى عارف كاتبة وصحافية مصرية تقيم في الإسكندرية, تكتب الخاطرة والقصة القصيرة, نشرت ليالي القمر 2001, أطواق الياسمين 2003, وروائح الزمن الجميل 2006**

*** وشوشات الودع رواية للكاتبة منى عارف, إصدار مركز الحضارة العربية- القاهرة 2009**

هواجس ما بعد الليلة الأخيرة

قراءة في الجنون الجميل لمحمد خيري حلمي

عبد الله يقرأ طول الليل، وبشرى تكتب طول الليل، عنوان طويل لرواية متحديـــة، تطـــرح الأسئلة ولا تنتظر الإجابات، وكأني بالكاتب **محمد خيري حلمي** ترك طوعاً العديد من الليالي للقراء يضيفون ما يطيب لهم خلالها وكل حسب معرفته وخبرته في الحياة والفن أيضاً، مـــن هوامش وحوادث وتأويلات قد تتفق مع صاحب النص أو تختلف معه، ولكن ما يحركهم جميعاً الدهشة أمام هذا المخلوق الروائي الغريب العجيب معنى ومبنى، فهو قد وضعنا أمام غوايـــة التجريب غير المحدود ولكنه المشروع والمطلوب من كاتب أرقته الحياة وعبأته المعرفة فضج بالرؤى ليأخذنا من المألوف إلى غير المألوف بمهارة يحسد عليها.

ومحمد خيري حكاء لاقط بحساسية لافتة يضفر رغباته وشهواته في نص مغاير، يحيلنا إلـــى الأسئلة، فلا نملك إلا أن نقيم العزاء في مأساة الكاتب/ الإنسان، ونكتشف من خـــلال الوجـــع كيف تتعامل الروح المبدعة مع الألم بنزف لا يصالح، فهو المدرك تماماً أن مصابة الخـــاص مرآة الفجيعة العامة، وشفرتها الدالة عليها، وما على القارئ إلا المزيد من التحديق في عدسة الخاص ليتسع أمامه حقل الرؤية.

فها هو **عمرو** يأتي الدنيا في حياة أبيه، ويمضي في ريعان الشباب وذروة الاندفاع نحو الحياة، وكأنه في موته الطارئ يكسر حلقات المألوف، حيث يصبح الابن الماضي فيما الحياة قد أعدته ليكون المستقبل. والأنكى من ذلك انه يموت في حضن عبد الناصر الذي شـــكل عمـــر أبيـــه الماضي، من خلال الأحلام والانتصارات والانكسارات.

ضربة الموت أصابت الأب بالرجفة وطيرته تائهاً في الطرقات يبحث عن ذاته وعن منطـــق جديد، فيلوذ بمجتمع الكتاب أدباء وشعراء ومفكرين وكل من يعيش الأحلام نوماً ويقظة، فهم من يستوعبونه ويدركون الحقيقي الخفي وراء جنونه الصارخ الظاهر، ويعيدون الأمور إلـــى قنواتها لأنهم يعرفون مبررات لجوء صاحبهم إلى الغرائبي الفنتازي، يشاكـــسهم فيرجمونـــه بالمحبة، وعندما يغادرهم يذرفون عليه دموعاً جافة لقصر ذات اليد حتى لا يبهظـــه الحـــزن ويثقله الهم ما يساعده على حبس دموعه, يتجمل بالضحك والسخرية مع صديقه الأثير **عبد الله هاشم** راعي الأدباء في الإسكندرية, وقارئ هموم المبدعين، يقرأهم طول الليل وخاصة مـــا

يتناثر من أوراق محمد خيري، الذي لم يرحمه الوقت فيخطف زوجته حبيبته **هناء**، الريفية الجميلة الملتزمة به وبأولاده، ما يجعل **نجيب محفوظ** يوصيه بها خيراً، وحفظها بعيداً عن ملوثات عوالم الكتاب والمتأدبين، هذه البريئة الرهيفة، لم تصمد بعد غياب بكرها عمرو فاستعجلت الذهاب إليه بعد تسعين يوماً, لم تصبر على فراقه فرقدت إلى جواره، هانئة راضية وقد سار خلفها من أحبوها وهم كثر، وبذلك عوضوها ألم الغربة في الحياة، ما جعلها تشف في أواخر أيامها روحاً ملائكية تفتح أمامه السؤال المريع على قصوره معها، وكأن الأقدار تفرض عليه تصفية الحسابات لدرجة الجنون "التي ربما أخذته الأيام وغبشت في عينيه رؤيتها.." هذه الشريكة التي عاشت على هامش حياته الابداعية، تطلق يده للعودة إلى كتبه غرامه أو جنونه الأزلي. هناء تحرره منها بالموت وهو الأحوج إليها في الحياة، فتعود أشد حضوراً ومعها عمرو البرئ يسكناه سوياً سؤالاً مقيماً يضربه لدرجة الزلزلة وانعدام الوزن, وانعدام القدرة على ترتيب العالم من حوله، فلا يرى غير الأسطورة تنتشله من واقعيته إلى ملاعب جديدة..تأخذه الغواية/ اللعبة فيشكل الأسطورة واقعاً من خلال لعبة البدائل الفنية، فلا الأزمنة دوال على الزمن ولا الأمكنة دوال على جغرافيا الفعل، لكنها السخرية من جيله بعد نصف قرن فرط من أعمارهم مراوحة بين تخيل المشروع ونكسات الانهيار، يأخذه الخاص بالعام الذي تبعثر إلى شظايا ونثار ما جعل فلسطين تسكن المنوفية، وأتى بأسامة بن لادن إلى زوايا أسواق الإسكندرية يبحث عن محامي دفاع..هل في ذلك هروب, أم أنه القبض على مفاتيح الهروب إلى واقع يعيد ترتيب المفردات في بانوراما تحقق التناغم حتى بين ركام الأنقاض، وهل غياب عمرو وهناء إشارة تغيير وتحذير لغياب الأحلام الكبرى، وهو ما جعل الراوي/ المؤلف يستدعي الأدب وأصحاب الرأي يناوشهم وينفث عليهم سموم مشاعره، محبة تارة وتشفيا في بعض الحالات، من خلال رؤية معقدة بين تشابكات الواقع وتجليات الموت والإيمان المؤسس على قدرية فطرية داخليه ترتوي من نبع الدين بوعي، وترضع ما يرشح من زيت التاريخ والموروث، ذلك ما يحيل الراوي إلى صوفية خاصة جذورها معقدة متشابكة وحضورها قدرية تراوح بين الاستسلام والنهوض من جديد..

في ظل هذا التيه كيف ينفذ إلى الرواية والخلل صار قاعدة والاتزان حالات استثناء، لا بأس إذن ولا مندوحة عن امتطاء الكذب/ الفشر/ الهلوسة بحسابات مدروسة فنياً، يتجاور عندها الواقعي بالمتخيل، والطبيعي بالسحري، والسير على الأقدام مع الطيران في الغمام، فيصبح الحديث مع هيكل وهما حقيقياً، وما كان بينه وبين نجيب محفوظ تخيلاً قابلاً للتحقق، وما ينسحب مع علاقته على البساط الأحمدي مع عبد الله هاشم يتشابه مع علاقته مع حورية البدري وما يجعل بشرى أبو شرار الحاضرة/ الغائبة صاعق رؤية على امتداد الرواية وبؤرة انفجار في مساحات القص. ولا بأس من امتطاء فروسية تحقق إشباعاً بعد طول جوع مع

الفنانات الحسناوات اللواتي يقتتلن من أجله أو عليه...الخ.من حالات الاستحضار المحسوب بدقة ما يجعله يعيد النظر في مهمة سناء أخت زوجته/ حبيبته هناء التي تكنس فناء الدار كل يوم عند سؤال ما الذي تكنسه سناء، ولأي غرض تجعل الفناء جاهزاً لاستقبال الجديد الذي يكتبه خيري ويحيله إلى بشرى المؤرقة طول الليل بأم القضايا وسبب ما وصلت إليه الأحوال في دنيا العرب الذي يسكن الكاتب أحد مفرداتها وتجعل مأساته الشخصية إحدى نتائجها.

بشرى ابنة المحامي المناضل رفيق سلاح عبد القادر الحسيني، وأخت الأديب المقاتل ماجد أبو شرار الذي غادر ساحة القصة القصيرة إلى ساحة الثورة فأخذته غيلة متفجرة نثرت شظاياه. وبشرى المؤرقة بقضيتها/ وطنها تبحث عن شظايا أخيها المبعثرة وأعادته إلى الحياة من جديد.هذه المحامية البهية الناضجة مازالت على إصرارها وسحرها تأخذ كاتبنا إلى لهاث متواصل بحثاً عن الحقيقة، فهل تكون الحقيقة مدخلاً فنياً إلى الجنون..وبشرى مازالت تقرع الأجراس فهل يفيق من وهم الكوابيس ويكنس ما تراكم على قلبه وعقله من غبار وسواد, وهنا يتبدل دور سناء من الكنس إلى مراقبة محمد خيري وهو يكتب طول الليل محيلاً أفكاره إلى بشرى التي تقرأ طول الليل، وكأن قدره أن ينزف حتى ليلته الأخيرة من ليالي الرواية التي جاءت سباحة في مياه جديدة بأدوات الفيض والألم الايجابي ومداد الانكسارات والهزائم، ما قاده إلى الإكسير الشافي للخروج من ضباب الأوهام..وقد نحج الكاتب في إدهاشنا وأخذنا إلى الغرائبي بسلاسة جعلته يمرر علينا ألعابه أثناء عملية تخليق كائنه الروائي الجديد، فلا أحداث تتنامى ولكنها مبعثرة والشخوص حاضرة جاهزة بكل أبعادها، وللعمل بنية محكمة تثير الإعجاب

والسؤال: هل ما قرأناه رواية؟

ولكن من منا يملك قرار الإدانة, وقد ترك لنا المجنون محمد خيري حلمي بقية الليالي فضاءً مفتوحاً نرسم عليه توقعاتنا وبذلك يكون قد ورطنا بالإقرار.بكونها رواية وهي كذلك.

وأنا كقارئ تهاجسني إضافة ليلة نقيم نحن الكتاب فيها سرادق العزاء من جديد، يتصدره المقرئ الشيخ عبد العاطي فليفل، وعلى يمينه شيخ الكتاب عبد الله هاشم وعن يساره محمد خيري حلمي، الساهم على ذهول، يخرجه من حالته حضور الأديبات متشحات بالبياض، وقد وقفت بلورات دموعهن على أطراف الرموش، تسقط مع حضور بشرى بثوبها المقدسي، حاملة بكرج قهوة الأقصى ترافقها الحاجة أم محمد، وتحمل صينية الفناجين الصبية الرائعة

نيفين وفجأة ترفرف في فضاء المكان هناء حمامة بيضاء أو فراشة تهبط على رأس محمد خيري وتنثر روح القرنفل..
ما الذي يهاجسني الليلة يا صديقي؟ الوهم أم الجنون؟ أم هي الرحلة إلى برزخ بين الحقيقة والحلم. أصحو أصرخ طالباً طوق نجاة من معلمنا عبد الله هاشم الذي يقرأ طول الليل ما قد كتبه محمد خيري على جناح نكتة هي أشبه بالقتل..
أقسم أن ما يشغلني الليلة هو الدخول إلى دمعه روح خيري قبل أن تسقط على الأرض

---

* محمد خيري حلمي قاص يقيم في الإسكندرية, نشر عدة روايات ومجموعات قصصية.

سمندل فؤاد الحلو

وخروج الوسنان نومه من عميق

عندما تصبح الأسئلة مؤرقة والإجابات جارحة دامية, يكون الحال ما بين السؤال والجواب معاناة واستبصار رؤية، فيأتي العمل الأدبي وعاءً للتداعيات، يتساوق مع عميق السؤال، وجراحات الأجوبة.

ولأن الرواية الوعاء الأكثر استجابة وتطوراً، يأخذ الشكل والمضمون شكل ضفيرة تعرف مقومات انسجامها، طيعة تمضي بين أنامل المبدع. تأتي في نهاية الأمر مشروع رؤية وأداة بحث مستمر في دروب السؤال القائم.

كيف حدث الانهيار وما زال يحدث، والتاريخ يمضي إلى الأمام، وبذور الأمس ما زالت على أوهامها، ترتع في تربة تقدم نباتات شوهاء أوراقها الإبر؟

هذا بعض ما تقوله **رواية السمندل للروائي الفنان فؤاد الحلو**، الذي ما زال يبحث عن زمن يصحو فيه الوسنان العربي من عميق نومه.

الرواية تأتي على سيرة الأمير العربي **زيدان الحسيني** "ابن الملك أحمد المنصور".الذي يغادر الأندلس، لا يحمل في مخلاته غير كتاب السحر الأول **أقراص الزمرد** الذي تطرز نبوءته أول صفحاته، وهي أن الكتاب يفقد سره إذا تمت طباعته في زمن لاحق، إلا إذا نسخه قارئه بيده، على ورق وبحبر وريشة من صنع يده، وأن يكون النسخ بين أفقر الناس وأرذلهم، ولأن الأمير الحسيني لا يملك مفاتيح الدخول إلى الكتاب، يقع منكفئاً في الغيبوبة، ويدخل المغارة، ينشد الرجوع فهل يرجع، وكيف تكون العودة؟ والمفتاح عند السمندل المنفية بقرار الإقامة الجبرية، الصادر من كل حكام مراكش، تنتظر منذ أزمان أن يأتي أحد في طلبها. لذلك يدفعها الشوق فتعود مع **الجفري** صاحب الأمير وكاتم سره. والذي بدوره يشهد تبدل حالاتها من عجوز عتيقة " مقرحة لحم الوجه على عفن مدمم " إلى حورية حسناء، لا يشوه خلقتها غير سيقانها المشعرة، وأظلافها التي أخذت صورة حوافر بغلتها **العيدهور**.

تنجح السمندل في اخراج الأمير من غيبوبته، وتخرج هي أيضاً من أوهامها إلى دنيا الحقائق، تخرج من عالم السحر إلى آدميتها، وتقع في هوى الأمير وتدرك أن سحر الحياة فوق سحر الخيال فتدخل معه في المجادلة، لتتكشف لها الحقيقة المنفية التي لا تتكشف للأمير الذي نشأ بعيداً غريباً عن دنيا البشر، وعندما يعود إلى كتابه أقراص الزمرد يخير، فيختار العودة إلى

مصر لأن الخصب فيها والذل فيها أيضاً. فتمضي به السمندل خارج المكان والزمان إلى كوبري التاريخ عند منطقة القباري في الإسكندرية وليس محض صدفة أن تكون أول العتبات في الوطن الجديد هي بناية الكارنتينا، بوابة عزل الوافدين المرجومين بالأمراض المعدية، حتى يشفون من أمراضهم قبل الدخول إلى المدينة, وهنا يبدأ الاشتباك مع الأسئلة من جديد.
من المريض الأمير الحسيني أم الفقراء الأرذال من سكان الموقع حيث يقدم الفقر والفاقة تجلياتهما التي تفوق السحر مع عوالم سمية الدكر التي هي الوجه الآخر للسمندل.
سمية المنفية تبحث عن نصيبها في خيرات مصر، وعلى طريقتها الخاصة، يساعدها على اجتياز عتبة الشقاء المهندس، الأفاق المحتال، الذي تفتح وعيه على افتراس أخته وفي فراشها، وتطورت معه الحالة حتى أصبح مرشحاً منافساً في انتخابات القمة.

عالم سكان الكارنتينا خلف كوبري التاريخ، يتعامل مع الواقع في أقسى بشاعته وينفذ من ثقب الإبرة مدفوعاً بطاقة حبه للحياة، يمارس انتصاراته وانكساراته بعفوية تصعد فوق المقبول والمعقول والمتخيل، لتصبح واقعية الواقع أكثر غرابة من قوة السحر لأن طاقات الإنسان لا تحد، ولأن فجيعته أيضاً تضرب القدرة عن الاحتمال.

فأي احتمال أن تخرج بهيرة بنت سمية الدكر من علب الصفيح لتحضر أطروحتها الجامعية عن سقوط دولة الأندلس، فيما ابنها **مشعل** مشغول بفحولته الفائرة يمضي إلى امتطاء النساء ويسجل أرقاماً قياسية في اختبارات الشبق, حتى يصبح شريط فيديو يتناقله البحارة، ورواد الموانئ والبواخر، وعاملات المطابخ في السفن، لدرجة أن تظهر إحداهن مع طفلها غير الشرعي من مشعل.

هذا الشقي تتفجر الرغبة المشتعلة في بدنه، يغيب عن وعيه إلى الخارج، يحمل في أجندته عناوين وأرقام هواتف، ويسمع في غفوته لهاث صبايا اللحم الأبيض.ما يجعله يتسلل إلى حاوية بضائع ستغادر الميناء على ظهر سفينة محطتها أسبانيا.
أي مفارقة تلك والأمير زيدان الحسيني قادم من هناك ينشد العودة على جناح الخيال أو على جناح طائر السحر.

السؤال مطرقة تهوي على قشرة الدماغ.
والدماغ مدمي يسقط في غيبوبة الألم.

والألم يأخذ السمندل إلى آدميتها، فتتشقق أظلافها/ أظلاف بغلتها، لتبقى على أرض الواقع امرأة عاشقة لأمير مازال سادراً في أحلامه، وقبل أن تدخل فيض الحب الذي انتظرته طويلاً، تكون نهايتها، على يد من أحبته حيث يقوم الأمير بطعنها بأسنان قصبات أعدها لنسخ الكتاب، بنسل لحمها، ويشق صدرها، يصعد من قلبها طائر يغيب في الأفق غياب دولة الأندلس، وكل أندلس لحقت بها فيما تلا من عصور من أندلس فلسطين إلى أندلس بغداد والآتي في انتظار.

لماذا السمندل، ولماذا السحر؟

ولماذا سميه الدكر، وكائنات عالم الهامش.

وماذا عن أندلس الأمس، أو أندلسات اليوم.

ما يؤرق كاتبنا, هو بنية العقل العربي الذي يخلبه الظاهر ويعميه عن الباطن، تأخذه العمائر والقصور وأسراب القيان والغلمان فيتوه عن قيمة وعلمه وميراثه ويكون الحصاد مراً علقماً، فيستسهل الركون إلى الوهم حتى لا يطأ الواقع.

كيف صار الأمر إبداعاً؟

والمنجز رواية ربانها فؤاد الحلو الذي تمكن من الإبحار بثقة واقتدار مؤسس على جهد كبير، وتقنين سردي محسوب، وثراء في المعلومات، على لغة أثيرية أخذت من ديباجة الماضي عبقها، ومن سلاسة الحاضر انسيابها، تتعامل مع وجد الصوفية بقدر ما تأخذ من هذر العوام وسفاسف خطابهم. تلعب لعبتها بين الوهم والواقع على امتداد الرحلة/الرواية لتقف عند مفترق الطرق.

فكيف الخروج من غيبوبة الماضي إلى آفاق المستقبل والوقت يمضي إلى الأمام يختزل الأمكنة في شاشة تلفزيون، وكيف يصبح الماضي عتبة خضراء للمستقبل لأن الحاضر أقصر من رفة رمش.

فهل قدمت الرواية الإجابات؟

يهتف فؤاد الحلو وبيقين العارف، أن الرواية تقدم العالم كما نراه، أو نشتهيه، وربما تنشر خمائر تشحذ العقل وتأخذه إلى سبل جديدة.

والسؤال إلى الصديق المبدع فؤاد الحلو.

كيف قبضت على سر البؤس في الكارنتينا/ القباري. فجاءت معك فوق الفنتازيا، وهل على الكاتب أن يتخيل عوالم خارج الواقع لتفسير الواقع أم أن الواقع يحمل قدراً من مفردات فوق

الواقع فإذا تجاورت الموروثات مع التاريخ والواقع وتداخلت وامتزجت ضمن رؤية الكاتب فإن الرواية قادرة على حملها دون خلل أو تصدع.

ربما يأخذك الحياء يا صديقي، فترسل بصرك نحو أمواج البحر ترصد الصيادين على صدر ماء الإسكندرية، وربما تسحبك المنارة من جديد فترى سمية الدكر تبكي على صدر ابنتها بهيرة بانتظار عودة مشعل الذي قضى خنقاً في حاوية بضائع متجهة إلى أسبانيا.

أراك تهمس يا فؤاد على لوعة ما زالت تلازمك.

"أخذت السمندل مني جهد أيام وليالٍ حتى طوعتها رؤية"

وأنت الصادق في تجلياتك لأنك شهدت مع الجفري كيف تشققت أظلاف قدمي السمندل، لتخرج من حوافر بغلتها المسحورة العيدهور فتعود إلى آدميتها امرأة بهية يقتلها زيدان الأمير الذي أحبته ليبكيها الجفري الذي أحبها.

أما أنت فشأنك شأن المؤرقين مازلت تلهث وراء ذات الأسئلة...

* فؤاد الحلو وروائي وقاص يقيم في الاسكندرية
* السمندل رواية منشورات ندوة الاثنين – الإسكندرية 2005

مكان السيرة وسيرة المكان

قراءة في رواية عبد الله والمدينة للروائي عبد الفتاح مرسي

في رواية **عبد الله والمدينة** يطرح الروائي **عبد الفتاح مرسي** الكثير من القضايا, بالقبض على سيرته الذاتية وسيرة مدينة الإسكندرية، حيث تتداخل السيرتان لدرجة التماهي، ما يجعل من الصعوبة فصل الكائن عن مكانه، وتتوازى السيرتان عند بعض المحطات، فلا يتم التقاطع بينهما إلا عند بعض المفترقات, مع قاطرة التاريخ الذي يمتطيها الراوي/ السارد العليم الذي يسلط الأضواء على تاريخ مصر الحديث منذ الحملة الفرنسية إلى ما بعد ثورة يوليو 1952 التي أدركت المؤلف/ الراوي صبياً في الثانية عشة من عمره، بما يضع المتابع على عتبة التأمل في فضاءات الأسئلة على الدوام.

والكاتب يقدم روايته بطموح الإضافة إلى فن الرواية، وقد تأهل بالمعرفة لاختبار ما يمر في مرجل المدينة. وهو أحد عناصرها.

بطل الرواية **عبد الله ابن الأسطى مرعي** ابن النجع في عزبة **شندويل** الساكنة صعيد مصر، أتى المدينة باحثاً عن رزقه, يقيم في حي **زعربانة** مع أقرانه من الوافدين يشكلون مجتمعاً آخر على هامش المدينة, يراقبون قلب المدينة ولا ينصهرون فيه، وقلب المدينة المكتظ بالعابرين من أتراك وأكراد وإغريق ويهود، وباشوات ووجهاء وأصحاب مصالح ونفوذ، والمدينة غانية لعوب "**يحمر وجهها خجلاً عند لقاء الغرباء،إذا لم ينصرفوا عنها على الفور.. تضاجعهم** ".ما يدفع إلى مفارقة مذهلة تدفع إلى دهشة التعرف لتبين المسافة بين خفر الخجل وحمأة الشبق الطارئ لدرجة المضاجعة, ولعل ذلك يفسر بدايات الالتباس والحيرة عند الصبي عبد الله بعد رحيل زميل دراسته **اليهودي شارلي**, وكذا اختفاء أبناء مناحم ليفي أصحاب المصانع والورش، وغياب **راشيل** ابنة الصائغ الجوال **ابراهيم شحاتة**. ليعرف أنهم غادروا إلى إسرائيل وأصبحوا من الأعداء. فيتخيل في موضوع التعبير اللقاء بينه وبين شارلي في ساحة المعركة، وأن لا أحد منهم يطلق النار على الآخر.وهذا ما يرفضه معلم اللغة العربية لأن الحرب لا تقبل المصالحة ولابد أن يقتل أحدهما الآخر وإلا اتهم بالعمالة والخيانة..ذلك أول دروس السياسة التي يتلقاها الصبي فيفتح عيونه على الملياردير اليهودي **روتشليد** الذي حقق حلم الصهيونية بإقامة دولة إسرائيل بسطوة المال على ميدان السياسة الدولية, وقد استشعر

اليهود تغير ميزان القوى، وتغير الولاء فقدموا الخدمات دونما شعور بالدونية. هذا ما فسره معلم التاريخ **رأفت شنودة** اليساري النزعة, الذي يقرأ التاريخ وفق جدليات توظف دور الاقتصاد في السياسة، وبلورة الشرائح والطبقات الاجتماعية والسياسية، وتفسير سقوط الوزارات وتبادل الأدوار بين الأحزاب. لكن عبد الله/ الراوي يقف مندهشاً من أستاذه الذي أصبح عضواً ناشطاً في هيئة التحرير, وتزيد دهشته عندما يعود المعلم بعد غياب طويل في السجن على خلفية قتل أخاه في نزاع على الميراث. ما جعل عبد الله يعيد التفكير في ذلك المفكر الذي ارتدى جلباب القرية وارتد إلى مواريثه الأولى وغيب منطقة واقترف الجريمة, هذا المفكر الذي يعود إلى المدينة ليفتح دفاتره من جديد..أي مفارقة تقود التلميذ إلى الرجفة؟! لكنها المدينة المأخوذة عنوة من العابرين حكاماً وأصحاب نفوذ وأبناء جاليات وأصحاب امتيازات غيروا وجهها وأخذوها إلى تطور غير متوازن يعكس تناقض المصالح والأمزجة والأهواء والطموحات, ما أوجد حرفة البغاء في شارع جنينه في كوم بكير إلى جانب البورصة ونوادي القمار والحلقات التي تحيط بالملك الشاب الذي يتسلى بحيازة ما في أيدي الآخرين، فيخسروا أمامه على طاولة القمار ليكسبوا أضعاف ذلك من امتيازات وألقاب ورتب ومراتب تمكنهم من الوصول إلى النخب المتحكمة في المجتمع, وتجعل من قصة ولاعة سجائر **مدام صيدناوي** التي صممت خصيصاً لاستدراج الملك حدثاً اجتماعياً مدهشاً..

المدينة تدهش العابر إذا لم يتعمق سر الحالة ويقف طويلاً عندها, كما بدا للروائي الانجليزي داريل عندما وصف نساء الإسكندرية في إحدى رسائله "**نساء الإسكندرية أجمل من نساء باريس وأثينا، أنهن امتزاج هائل من القبط واليهود والسوريين والمصريين والأسبان. فهن ذوات عيون كحيلة لماحة وبشرة زيتونية منمشة وأنوف حادة. ولهن مزاج يشبه البركان**"

هذا الانجليزي الذي خايله مزاج ألف ليلة وليلة، لم يدرك الجانب الآخر من الدهشة لدى بنات بحري سليلات الخلطة القوقازية والتركية العربية والمصرية الكردية, ذلك لأنهن معتصمات في بيوتهن يحافظن على بهاء الحياة وتقاليده, وهو ما أدركه مراقب نافذ مثل عبد الله (المؤلف) الذي تماهى مع مدينته واندمج فيها, وتوصل إلى عميق أسرارها على عكس أهل الهامش في زعربانة الذين مازالوا ينظرون إلى العالم خارج حياتهم بارتياب وحذر فبنات المدينة "**يتكلمن بالعين والحاجب ويحزقن ملاءاتهن على أردافهن وكأن الواحدة منهن دهنت جسمها بالأسود اللميع ومشت عارية..**" ارتياب حذر يخفي الإعجاب والرغبة في حيازة المحرم بدوافع شبق جنسي يصل بصاحبه لدرجة الصراخ، فيتحوصل في جلباب القرية يلوذ بالتقاليد الصارمة. ويقطع وشائج التواصل مع قلب المدينة المضيفة التي تعاشر المغامرين والأفاقين والفقراء والشواذ, يتجاور فيها الناس من كل المشارب ما حبب للشاعر اليوناني

كفافيس ممارسة جنونه وشذوذه فيها دون رقيب أو حسيب, لا يشاكسه أحد في موقعه الأثير في قهوة البلياردو يكتب على هواه ويتأمل..

"**أين يمكنني أن أعيش في مكان أفضل من هذا، الماخور في الطابق الأسفل يلبي عندي ضروباً من التسلية الجسدية، والكنيسة المجاورة تقوم بغفران الخطايا وهناك بالقرب مني المستشفى حيث سأموت حتماً...**"

أية خلطة عجيبة هذه الإسكندرية، قلبها مباح ومستباح فيما أطرافها تقبض على الأخلاق لدرجة التناقض والقطيعة، فأصحاب المدينة في أحياء بحري تربوا في حضن البحر، وعشقوا النوات والمواسم، وآمنوا بأقدارهم وحافظوا على بنيتهم وأقاموا أسوارهم في وجه الطارئين, وفي حي زعربانة الفقراء يتكلسون بأعراف التقاليد فيما صبيانهم يسرقون الأزهار من الحدائق التي هجرها الباشوات والأغنياء ويبيعوها بثمن بخس, ويسطون على ديوك من سكن القصور من الحراس بعد هروب أصحابها من تطبيقات التأميم والإصلاح الثوري, وظهور نخب جديدة. ما يجعل **رئيفة الأصيلة أم عبد الله** الراوي تتوزع بين المباح والمحرم عندما يأتيها أحد أولادها بديك مسروق. "**سامحنا يا رب..نحن لا نستطيع أن نفضح ابننا عند الناس الأكابر إذا استدلوا عليه وجرجرونا في أقسام الشرطة وحبسونا..سامحنا يا رب ونحن نأكل هذا الديك وربنا يكثر من ديوكهم..**"

أين عبد الله من مدينته وقد وقع في غواية الأدب والثقافة، وقطع أشواطاً من عمره قارئاً باحثاً عن المعرفة يشكل رأياً ويستمع لمعلمة رأفت شنودة, يحلم بالاشتراكية ويصمت على مضض عن مذبحة العمال غرقاً في ترعة المحمودية, ويتأكد من موت **خميس والبقري** في المعتقل وموت **شهدي عطية** فيما بعد. ما يفتح السؤال على مداه حول حرية الرأي ومحاصرة الرؤيا في ظل شرائح نبتت فجأة، وتربعت في غياب الأحزاب ومنابر الرأي الأمر الذي جعل وجه المدينة ينسحب إلى شحوب وصفرة تأكل طلعتها البهية, فلا يجد الشاب المعبأ بالهواجس غير الكتابة سبيلاً ولكن كيف يكون نشر ما يكتب ومن يقرأ، وهو المسفوح المشطور كما مدينته التي غيرت ملابسها وأساورها وأدوات زينتها، وأخذت تبكي خلسة أيام الصبابات، وتبتسم على خواء حتى جاءت النكسة جواباً بليغاً ومصطلحاً يسكن صداعا يقترب من صافرة الموت..

وعلى الجانب الآخر لابد أن يبحث عن شريكة عمره التي تتكامل معه أو على الأقل تستوعب حالاته. ولا بأس لو وقع على من تدهشه فذلك الفوز العظيم، فنراه وقد خدعته النشوة مع سلوى الفتاة الهجين لأب مصري وأم ألمانية رفيقته في رحلة الجامعة إلى البحر الأحمر التي قلبته فأدركه الحب، وعندما صارحها بعواطفه صدته مذكرة إياه أن ما حدث بينها كان لدواعي

التسلية واستثمار الرحلة بأقصى متعة ممكنة، وأظهرت امتعاضها من سذاجته وانسياقه وراء عواطفه.

ولم يطل به الوقت حتى تقاطع مع **مها الحاجولي** الشاعرة الواعدة, فعمل جاهداً على رعايتها، وعندما أقلعت في دنيا الشعر انحازت إلى معيد في الجامعة تاركة إياه يمزق ما كتبه فيها من قصائد، ويصرخ في وجه أبيه الأسطى مرعي الذي يزين له الارتباط بقريبته **عواطف** لأنها ابنة النجع ولأنها مثل مهرة وشعرها خيلي طويل

- **أبي أرجوك أنا لا أعيش في صحراء وأتمنى أن أقتني فرسه.**
-

الشاب المؤرق تصده المدينة الملاوعة, فيعود إلى زعربانة ليجد ضالته في **عواطف بنت المنجي عبد اللطيف** سائق القطارات وزوجته المنصورية اللذين يتعاليان عن الحارة ويقفان وسطا بين جمعية الصعايدة وجمعية المنابفة. يتجاوز المنجي عن خصومته مع الصعايده وضربة بتحريض من الأسطى مرعي, وتتم الخطبة ويُطلب عبد الله إلى الجيش ليكتشف الأسطى مرعي أن المنجي سبق وأن وشي بعبد الله المتهرب من العسكرية إثر الخصومة القديمة فينتج عن ذلك فسح الخطبة وزواج عواطف من محامي المنايفة بعد أن أصبح أبوها عضواً في جمعية المنايفة, فيكتشف عبد الله أن عواطف كانت تبحث عن الزواج ولا تبحث عن الحب وهو ما فعلته معه فريال المتعلمة المثقفة التي فردت له حبال المودة وسحرته بثقافتها وسعة أفقها ولكنها تزوجت من التاجر السوري **ممدوح الناعوري** محققة بذلك وحدة القطرين على حسابه.

ما الذي يفعله عبد الله بعد كل الصدمات والنكسات في هذه المدينة التي تسكنه، والتي تظلل كل ساكنيها لا تفتح ذراعيها إلا لمن يتخذها أماً دون غيرها وتخرج لسانها للعابرين بها وتنظر بعين الرحمة إلى من تسكن فيه روح الصبار فأقصى ما يتمناه الصبار أن يكون قادراً على تخطى قسوة الأجواء وقلة ما يصله من ماء، مع ندى الفجر..ليس غير.

***

هل أمسك عبد الفتاح مرسي بسيرته الذاتية (سيرة عبد الله) وسيرة المدينة التي يعشقها, وهل نفض عنه غبار النجع ودخل حالة الأرق الذي يعانيه المثقف في بلد تتقلب على شهوات الغير حتى كادت تغير جلدها، لم يعصمها من التلاشي غير أهل بحري ومن أقاموا السياج في زعربانة يحافظون على الأصول والمنابت الأولى.

في تقديري أن عبد الفتاح مرسي السارد الذكي أختار هذه المرة لغة تركب السخرية السوداء, وتأخذ إلى البكاء الصامت دون صراخ أو عويل، ما يكشف عن الوجع المزمن للإنسان العربي. وبذلك قدم رواية مكان جديرة بالتأمل لأن مدينته الخالدة كما العنقاء تخرج من تحت الرماد لتقلع من جديد، وفي ذات الوقت نثر في دروبها سيرته من خلال تبلور عشيرته التي أصبحت ساكناً أصيلاً قرر عدم الاندماج في المدينة ليحميها ويحمي نفسه، وذلك بامتطاء صهوة التاريخ بوعي حاضر وعميق ليفتش في دروب السياسة بأدوات مفكر له وجهة نظر, ولو أنني تمنيت لو لم يطل في السرد التاريخي لمرحلة ما قبل الثورة لأنه سحب القص إلى فضاء البحث.وهذا لا ينفي أن رواية عبد الله والمدينة مغامرة لافتة تطرح الكثير من القضايا الفكرية والسياسية, كما تطرح أسئلة جوهرية حول الآفاق التي يمكن للرواية أن تقتحمها في قوادم الأيام.

*** عبد الفتاح مرسى كاتب وصحفي يقيم في الإسكندرية, نشر العديد من الروايات والمجموعات القصصية**

محاولة للخروج من الكابوس

"قراءة في رواية الوجوه الباهتة للكاتب شريف محي الدين"

شريف محي الدين كاتب يُشعل جذوة الأسئلة القابعة فيكَ، والتي حتماً تؤرقكَ كما تؤرقه فلا تملك إلا الانحياز لآلامه..يبهظك مقدار الخوف والحذر الساكن فيه، ليس عن عجز أو ضعف، ولكن عن حيرة توجيه في الطاقة العارمة إلى غير مرماها، تلك الطاقة المنطلقة من روح مبدعة، تعيش الخلق وتتهيأ له على مدار الوقت، ما يجعل من اللعبة الفنية مجاهدة كما السير على نصل شعرة, يتحول فيه الحلم إلى ضفيرة امرأة حلت شعرها لفارس البهاء, أو قوس ربابة يعالج رجع لحن قديم يأتي بعبق اللوعة, أو نصل سكين باتر كما المفارقة تضرب كافة القوانين بطرفة عين..

لا غرابة والكاتب شاب يعيش واقعه بعيون مفتوحة، مغّرباً عن فاعليته فيه، مرصوداً ضحية مرتقبة في عصر رقمي يأخذ المعنوي/ العاطفي الروحي إلى هامش الهامش، ويتعاطى مع المادي بتقديس يصل إلى مرتبة العبودية له، يسفح القيم والمعايير والأعراف، ويمتص الرغبات والشهوات، ويحاصر الاشتباك مع معاني الوجود في هذا الوجود..والألفية الثالثة لا تترك مجالاً للتريث, فالاندفاع سيد الحالة, والوصول إلى الهدف لا يعترف بجدوى أو دور المحطات المنتشرة على خطوط الرحلة بين البدايات والنهايات, فالوقت آلة فضائيات ترصد اللحظة طازجة قبل أن تحدث..السرعة هائلة لا تنتظر الاختمار والتبلور والاكتمال وترك البصمات, قانونها الفاعل الشطب والتجاوز والإزاحة, ما يجعل النهايات مغرّبة غريبة عن البدايات، وما يجعل الحراك والتغير والتفاعل الطبيعي شاهداً أثرياً أو فلكلورياً وقف عند الدهشة, وتسمر وتصلب في الذهول أمام تقزم الإنسان الفرد وتلاشيه إلى صفر فقد خانته الرقمية فسكن في زاوية أو نتوء لديكور رسمت مواصفاته آليات لا ترحم.. ما يفرض الحصار والاستلاب والفقد والغربة سمات اساسية تلون قسمات الحياة.

في هذا الإطار وفي جغرافية هذه الرؤى أطلق كاتبنا الشاب أجنة قصصه القصيرة في مجموعته اللافتة أحذية وكلمات, محاولاً ما استطاع بلورة خصوصيته وشخصيته كمبدع يعكس عذابات إنسان عصره، ويطلق الأسئلة في فضاءات تجريبية تستوعب الموروث الفني وتتقافز عنه بالإضافة وليس بالمشاغبة، فنراه يطارد فكرته على جملة قصيرة متوترة، محملة بشحناتها راصدة التآلف والتحالف والتوازي والتقاطع في أقدار البشر، متأملاً الموت والحياة،

مقدما انفعالاته وذهوله من جحيم متجدد..يهرب من جحيم العقل إلى ضفاف الحلم, ويعيش في أجندات النفس والروح باحثاً عن معاني مبتكرة في الحياة..

فهل استوعبت قصصه القصيرة أسئلته وعذاباته؟ وهل حملت آفاق رؤاه وكوابيسه؟ وهل قدمت فضاءات الفنتازيا السوداء كما تعكسها مرايا العصر..؟

أم أنها الرواية كانت له بالمرصاد, تستدعيه إلى مائدتها، وتأخذه إلى مغامرة جديدة وهو الكاتب الواعي لشروط ومتطلبات الفن, الراصد للتحولات. فأخذته إلى مراياها المتقابلة والمتجاورة..ليطيل التحديق في الوجوه من حوله فكانت تجربته الروائية **أصحاب الملامح الباهتة**.حيث يصحو الراوي "**أنا**" على سرير تشاركه فيه الفراش فتاة فائقة الجمال فيما يقابله رجل يدخن لفافة فاخرة وقد فارق الحياة، يرعبه صوت آهات تتناهى إليه من كيان مغطى على سرير مجاور..يرفع الغطاء عنه فتداهمه نافورة دم نافرة من جسد مفصول الرأس..

أي عالم كابوسي يُحشر فيه مع جمع غفير من الناس توزعوا على عنابر، وقسموا إلى مجموعات تحت سيطرة وسطوة آخرين مدججين ذوي ملامح باهتة بقيادة الأصلع ذو الكرش البغيض..

ما الذي يراه أو يريده أنا شريف محي الدين, وعن أي الأسئلة يبحث، ومن هو الآخر الذي يقارع ويصارع. وهل يوجد خارج نطاق الإرادة ويتطلب جهداً استثنائياً لترويضه, أم هو الساكن في الذات يحتاج إلى فعل انقلابي للخروج من وطأته..!!

والكاتب/ **أنا** هو مجموعة الذوات التي ترفض حياة الهامش في عصر انفلتت فيه المعايير, تعمل فيه التغيرات باندفاع يصعب التحكم فيه حتى على من يسري فيهم دم المعرفة الذهبي، وينبض فيهم حلم المشاركة في صناعة الحياة..

الحياة كابوس..الرؤية فنتازيا سوداء..والخروج من الحالة هدف أول..وأنا يطلب العون من المحيطين به..لا شيء غير الذهول والإحباط..حوله من بترت أذرعهم أو فقدوا أعضاء أخرى وتم توزيعهم "**مجموعات بحسب ما فقدوه من أعضاء.**". لدرجة أنه يدوس على قطعة لحم صرخت تتألم وكانت لفتاة الحلم الذي قطع كل شيء فيها..

أي مجتمع هذا الذي يعيش فيه، وأي جماعة تلك التي تعاشره وتعيش معه الأزمة..فالكاتب غريب الذي طالما تسلح بقلمه يكتب ما يراه صواباً، له قراء وزوجه تحبة وتؤمن بأهميته وابنه ترى فيه أعظم رجل في الدنيا, ينكسر ويتسلح بالسخرية ويعتصم بالصمت ويرى في الوهم والحلم والحقيقة وجوه حالة واحدة، ما يجعله يفقد بوصلته ويوهم نفسه باعتقاد أن من يريد النعيم في الحياة عليه ألا يؤمن بشيء..فلا يقين في حال اختلاط المعايير..

ولأن **مسعد الرسام** يرى في الدنيا ضحكة كبيرة، وعبث يأخذ شكل الحقيقة يضخم أخطاء من حوله في رسوماته, ما يجعل من أصحاب الملامح الباهتة تأويل ما يرسم، فيعترف أنه يعبر

عن مفارقات الحياة، فيطلقوا سراحه بعد أن أخذوا عقلة, مثلما أخذوا من أمل عينيها وكلية وفص رئة, وأمل هذه راقصة تعشق جسدها البديع، تعبّر عن ذاتها بالرقص لذلك تعتبر نموذجاً خالص النقاء والشفافية..

الشاعر العجوز **سالم** لم يفقد أي عضو من أعضاءه, وصنف من أصحاب الدم الذهبي فهو لا يكف عن الدعوة للتأمل والتريث, يسكنه الجبن يخشى الفشل فيذهب إلى الهروب, ولكنه في ذات الوقت يأخذ الدنيا مأخذ الجد فيبكى نفسه ويبكي الناس ويحب أمه لدرجة البكاء..وكأن البكاء وسيلة نضالية(للمهزومين فقط)..

لكن صمت سالم يختلف عن صمت صاحب الناي عاكف، الذي يقبض على لحن حزين محبوس في أعماقه، ويرى أن الكلام من صفات الضعفاء والعمل من شيم الأقوياء..

لكن ما يفاجئ أنا (الراوي)الفتى طارق16 سنة الذي ينطق بالخبرة والحكمة والإرادة, والذي يحيره أنهم (أصحاب الملامح الباهتة) يضعون الواحد في غير مكانه, ويقسمون الأفراد بقدر ما يسلبونهم من أعضاء ويخبرته واعتزازه كونه ابن هذا الواقع, وعليه التأقلم معه وفهمه والحلم بتغيره..فالهروب منه يقود إلى غرفة التعذيب, فلا فكاك من أسر الواقع..

ما العمل والحياة كابوس فصوله القتل والدم والتعذيب ومصادرة الأعضاء وسحب الدم الذي ينبض بالرؤى الصادقة, فالافتراس سيد الحالة..لا قوانين أو نواميس في ظل الوهم, وفي محكمة يصبح المتهم فيها قاضياً, والمحامي متهما والتهمة هلامية مائعة للدرجة التي يتلذذ فيها الإنسان بقضم لحم أخيه الإنسان وجبة طازجة مقلية,أو مشوية على زيت وفحم غرفة التعذيب والاعتراف..أي اعتراف والتهمة باطلة من الأساس, لأن من يطلقها فاقد الملامح

كيف السبيل للخروج..الحرب أو المواجهة..

وطارق الفتى الحكيم (الجيل القادم) سيزيف العصر وابن الحقيقة العاريو يرفض السكون اتجاه واقع أنجبه, وكوّن جبلته من تفاعل إيجابياته وسلبياته.. فالهروب منه يقود إلى العدم والتلاشي..ويبدو أن طارق ينبه المتمرد في أنا المأخوذ بالفجيعة..

الراوية أنا مازال يبحث ويراقب..يرصد يستمع، لكن المعطيات من حوله تزداد تعقيداً وانفلاتاً وتشوهاً يصعب معها القبض على الحقائق, بالصراخ والتبرم والنقد, حتى يلتقي **بعلوان العجوز الصارم**، جامد الملامح قائد عمليات التنظيم السري الذي يعمل في السراديب..ينفذ الأوامر، ولا يقيم وزناً للمشاعر، يعتمد إحساسه الشخصي(مزاجه) عند الإدانة أو البراءة, ولا ينظر في أدلة..يتسلى في أوقات الفراغ مع أعوانه بلعبة أشبه بالشطرنج حجارتها صنعت من بقايا عظام آدمية..ولشد ما كانت دهشة أنا عندما عرف أن رئيس التنظيم هو الصامت صاحب الناي الحزين..وأن نائبه الأصلع صاحب الكرش البغيض..

أي اختلاط في المعايير والتقديرات والأحكام هذا الذي يحاصره ويضيق الخناق عليه ويضعه في دوائر توقع ما لا يمكن توقعه, ما يجعله في حالة توجس ودهشة من مفاجئات مثل مفاجأة الشاعر سالم الهارب الجبان الذي يقدم وبدون مقدمات معلنة أو حتى مستترة على قتل واحد من أصحاب الملامح الباهتة فيقاد إلى غرفة التعذيب مع طارق وأنا..

وفي غرفة التعذيب يسبح سالم مع صمته صائماً على سره رافضاً الاعتراف, فيما يجبر أنا على وضع لحم آدمي حي على جمرات فحم للشواء، وعندما يطلب منه وضع طارق في برميل الزيت المغلي يرفض، ولكن سلاح المنشار الكهربائي الزاحف إليه يجعله يمتثل للأمر.ويجعل سالم يعترف منقذاً طارق بعد أن جعل الزيت المقلي ملامح وجهه كتلة لحم مقلية. حتى الحقيقة المضيئة الوحيدة تم تشويهها وذلك إشارة إلى تشوهات الواقع وإفرازاته..

أين الملاذ وكيف يكون..وهل تشكل وصايا **الصوفي عابد** الذي يؤمن بالحب حقيقة وحيدة ومهمة في هذا العالم، وأن الخلاص من عناء الواقع يكون بالاندفاع إلى عالم الروح..

مازال أنا الراوية على بياض رؤيته لطارق ومازال مؤرقاً بالأسئلة، غائصاً في الكابوس للخروج منه, يرفض الانضمام إلى المجموعة الذهبية التي يُسحب دمها بشكل دوري دون مقاومة لا يجد بينهم الخلاص والحرية المنشودة..ويكتشف عبث التنظيم السري الذي لا يملك مشروعاً أو برنامجاً فيه الخلاص، لأنه يتبنى ذات الأساليب التي يمارسها من يقبضون على مقاليد الحياة ويتحكمون في الأقدار, وكأنما يعيشون تواطئاً من نوع مريب مع أصحاب السلطة، وكأن في ذلك توصيفاً يدين الأطر والكيانات الحزبية والفكرية والسياسية العاملة خارج السلطة، فهي لا تعدو أن تكون وجهاً آخر لقصور وعيوب الأنظمة, ونتاج ردود أفعال سلبية لأفعال واقع سلبي، حيث تتبنى الأطر المعارضة أساليب الفردية والتسلط وتغليب الأهواء الشخصية ما يقود إلى كوارث محققة..

والأسئلة مازالت تتفاعل في ذات أنا مع إجابتها، والوعي مرجل يغلي بالتمرد والثورة لدى من يمتلكون الحلم بحياة أفضل ويعيشون في دواخلهم بهاء الحقائق رغم تكاثف الدخان الأسود..

متى يحدث الانفجار؟

رب توقيت يفرضه الآخر يقصم حال الوقت..

يختفي غريب الذي يكتب ما يؤمن به, ويشعر بقيمته بين قراءه وعند زوجته وابنته الذين يرون فيما يكتب طريقاً للخلاص. فيدرك أنا أن بعضاً منه قد يذهب إلى الموت فيندفع لغرفة التعذيب لإنقاذه من براثن التنظيم السري.. ويخوض معركته مع علوان بعدد قليل من الأنصار يزداد مع استمرار المعركة. وينكشف أمر التنظيم ويعيش غريب نشوة الانتصار لحظة قبل أن يفارق الحياة نتيجة إصابته بطعنة لا ترحم..

قضى غريب المبدع في الدفاع عما يعتقده الصواب..
وفي لحظة لا تتأخر يعود الوعي, ولكن بعد فوات الأوان لصاحب الناي عاكف ويدرك خطأه في إدارة التنظيم ويستسلم لقدره مع أصحاب الملامح الباهتة ولا يشي بـــ أنـــا الـــذي يُبـــايع زعيماً, والذي يكتشف أنهم أخذوا عقله وتركوا فراغاً في جمجمته..
هل يسير على ذات الطريق الذي سلكه عاكف؟أم أنه سيتبع ضوء الحقيقـــة الخالـــصة التـــي تعترف بالحب حقيقة وحيدة لتحقيق معنى الوجود، والتي تبدت تباشيرها في زواج سعد وأمل رغم ما طالهما من تشوهات..
تلك الأسئلة المطروحة أمام أبناء الواقع الذين يطلبون الغد. وذلك الاختبار وبعد.
فقد خاض شريف محي الدين تجربة ذهنية/ نفسية مرهقة ومعقدة، كما هو حال العصر الذي يعيشه، وقدم رواية تحمل طموح تقديم الإجابات أو الإرهاص بما يساعد على الخـــروج مـــن دوامة لا ترحم، في بنية فنية تقوم على إيقاع سريع متوتر لاهث..فالمكان لا يخضع لتـــأطير الأماكن الواقعية، ولا جهد مبذول في الوصف أو التصوير وتحديد الأبعاد. والزمان يتقافز بين لحظات المعاناة والحضور عند مواجهة الأفعال, أو مع الآلام عند ردود الأفعال..زمن القص متداخل يقفز عن الحالة/ اللحظة ليعود إليها، يندغم الحاضر بالمستقبل ولا يلتفـــت للماضـــي كثيراً, والشخصيات تحمل من مواصفات أفكارها أكثر من مواصـــفات أجـــسادها وأبعادهـــا الاجتماعية والاقتصادية ما يجعلها رموز أفكار وشفرات, الأمر الذي جعل التشابه في بعـــض الحالات يطغى على الاختلاف خاصة لدى المسكونين بالإبداع..والحوار قصير مقنن يحمـــل موحياته ما جعله يقترب أكثر من لغة المسرح والفنتازيا سوداء في إطارها الكلي تجنح فـــي بعض النفاصل إلى العبث..فهل يرى كاتبنا في ذلك مداخل للرواية الحديثة التي يطمح إليهـــا, في زمن تسبه سرعة التغيراتإلى اللهاث بعد اللهاث؟
أعتقد أن شريف محي الدين، كاتب لن يغادره الأرق، لأنه مسكون بمبدع حقيقي يبحث عـــن موطئ قدمه على خريطة الأدب, وهذا حقه الخالص وأن ما قدمه محاولة جادة تستحق الوقوف عندها بالتأمل العميق..

*** شريف محي الدين كاتب شاب يقيم بالاسكندريه , يكتب القصة والرواية والمسر** حية

كائنات خالد السروجي في ليل سرمدي

عن دور الحكاية في الرواية

يحيل عنوان رواية خالد السروجي "**كائنات ليل سرمدي**" إلى عالم فنتازي يوغل في البدايات، ليندفع إلى الآتي الممتد إلى غير المحدود, والكائنات تتحرك مدفوعة إلى أقدارها والحال ليل (حلكة/ أسرار/ ظلم/ حلم/ سكينة/ هجعة عشق/ رجفة لذة/ ونصل قتل..) والمفاجأة تمط لسانها منذ الصفحة الأولى كالصفعة، فالرواية تبسط الواقعي الطازج المجرد من رتوشه/الجانح/لجامح/ المتوحش/الصارم لدرجة حبس النبض والاستثنائي القافز عن المنطقي المتوقع..فالموت حضور على ذمة لحظة عابثة لا تساوم.

شاب يُقتل دهساً، وقاتل يهرب من ثأر سريع، وليل يفتح على مداه لكائنات تقفز من أجندات أزمانها تتأمل الصراع بعد غفوة طارئة.

لعبة قدر، امتطت ظهر الصدفة في حادث سير غير مدبر لا يسوّغ الثأر في منطق الأعراف الأولى, لكنه يعلن لكل من يهمهم الأمر عن نتائج مقدمات صراع قبل حضور الكائنات على الأرض، ومنذ تمايز الأبيض عن الأسود وحضور النهار ضوء حقيقة والليل خيمة سرمدية حالكة تومض فيها بعض نجمات بعيدة.

القاص هنا لا يريد تكريس حكاية مكررة, ولكنه يأخذنا إلى محصلات الأفعال وتداعياتها عبر سرد روائي مقنن ومحسوب/ لاهث, يفترض القارئ شريكاً فاعلاً له التفاصيل، فاتحاً أمامه نوافذ التوقعات والمخيلة، له أن يضيف ما يشاء من التفاصيل، وله التأويل أيضاً، فيرى نفسه في الحالين غارقاً في تأمل التفاعلات المتصارعة تحت السطح في نسيج المجتمع المصري الذي يعيش في أكنافه، والوقت متواليات عتمة تركض فيها أشباح الأرواح صائمة على رغباتها لدرجة التلاشي أو السكون،أو الانفجار مع شبق الطاقة المدمرة.

الموت قدر والأسباب مطايا والذاهب نفس غادرت الجسد..انه هذه المرة الحارث **صديق بكير**،المحامي الشاب وحيد أبويه على خمس بنات، سليل العائلة الصعيدية،التي تتبوأ زعامة الصعايدة في الإسكندرية، والذي يعده جده للانتخابات والزعامة ليعيد سيرة شيخ البلد الحارث أبو سلمان جد أبيه لأمه.والد الجدة **ترجى** عمود العائلة ومرجعية مشورتها..

أما القاتل فهو **مراد محمد شاكر** سليل الأسرة الجانحة عن الأعراف والقوانين، والتي وصلت إلى ثراء مشبوه لا يعبأ بالضحايا..

القتل يفرض المواجهة، وعائلة الضحية تقبل الكفن مكرهة تحت وطأة الضغط العام الـــذي لا يسوغ الثأر، ولكنه يسوغ ابتداع صدفة حادث سير معروف ضحيته.

الحارث صديق فضاء النور

نبتة أُعدت جيداً، وقفت عند عتبة النضج لتطرح ثمارها، تتهيأ للسعادة في بيت زوجية يتـــوج قصة عشق رائقة مع حبيبة روحه **صفية**، لم لا وهو حفيد الحاج بكير الذي بدأ حياتـــه علـــى رصيف الفحم مقاولاً من الباطن مع جان عازوري المقاول الذي يعمل لصالح الخواجا رينيه، يختلف بكير مع عازوري على قضية أمانة وشرف، يترك على أثرها العمل ما يعطل أعمال الخواجا رينيه الذي يدرك الأمر ويعتمد بكير مقاولاً أصيلاً.

تتوسع أعمال بكير ويستقدم بلدياته ويكون ثروة ويتزوج ابنة شيخ البلد ترجي القابضة علـــى الأصول والمواريث، وتنجب له بنات وولدين هما **الحاج صديق** والد الحارث مقاول الأوناش **والحاج عبد الوارث** مقاول السيارات.

عندما وصل خبر الحارث لجده الحاج بكير أخذ يعوي بصوت مكتوم ثم خضلت الدموع لحيته البيضاء، وصام عن الكلام، حتى إذا اقتربت الذكرى السنوية للحادث، دخـــل علـــى الحاجـــة ترجي يخبرها بقيام العزاء، ويسألها طلباتها فتحصر رغبتها بسرادق كبير يقرأ فيه الشيخ عبد الباسط عبد الصمد..

والحاجة الجدة رشحت حفيدها الشمندي عبد الوارث لأخذ الثأر حسب الأصول العرفية طالما لا يوجد أخوة للقتيل, فأكبر أولاد العم يتولى الأخذ بالثأر، وعليه تأخذ خضرة أم الحارث(وابنة أختها) التي وقعت في الغيبوبة لمدة أسبوع, وعندما أفاقت لاذت بحـــضن الحاجـــة صـــائحة صارخة:

- نار في قلبي يا خالة.

- لن يحول العام حتى تبرد نارك.

وحتى تختبر مدى التزام الشمندي بالثأر، سألت زوجته زينب إذا مازالت ترقد فـــي حـــضن زوجها، فتدق الزوجة صدرها نافية تهمة اقتراف ذنب لا يغتفر، مؤكدة عمق سطوة الموروث في النفوس..

وهل أخذ الثأر يا أم الرجال..

وتزور الحاجة قبر الفقيد مصطحبة خضرة الثكلى، وزينب المرشحة للفقد، وتزرع عند القبر شجرة تحمل خضرتها روحه الساكنة.

في هذه الأجواء القاتمة الصارمة الصائمة على قرارها، تعيش أسرة بكير بأصولها وفروعها, فالحاج صديق لا يخرج عن طبعه فهو يعتمد الحق والعدل، كلامه قاطع، أوامره غير قابلة للنقاش، صلب صلد يمنع النساء من الصراخ ويأكل حسرته حتى ينتهي العزاء يدخل حجرة الأستاذ الفقيد ويطلق لدموعه العنان، مبهوظاً لدرجة الانفجار، لأن الذي قتل وحيده كلب.. يحمل غله وحسرته هائماً في الشوارع المظلمة يتبعه أخوه عبد الوارث مثل ظله, وعبد الوارث لا يساوم على دم ابن أخيه، وهو المؤمن أن الذي قتل الحارث من أعطى النقود والسيارات لأرذال الناس، لذلك يتعلل بدخول المستشفى يوم تقديم الكفن ما يجعل الحاج عبد المعبود حجة القوانين العرفية يدرك المدفون في النفوس، وأن ما حدث لا يعدو مسايرة للأمور بعد ضغط الرأي العام ضد عملية الثأر..أما الشمندي فيحمل الأمانة مؤمناً بقدره ويرفض أن يقوم أحد بالمهمة نيابة عنه، وعندما يعلم أن **عزت عبد الرحيم** ينوي قتل مراد شاكر انتقاماً لشرفه يحذره بصرامة ويعده بدور في العملية :

- **الجتة لنا..أبعد عن مراد.**

"الشمندي يتعامل مع مراد جثة تنتظر موعد التنفيذ".

مراد محمد شاكر "فضاء العتمة"

نبتة شيطانية لشريحة شيطانية غارقة في ملذاتها، تشبع نزواتها فوق منطق العلاقات، تبيح.كل شئ حتى عبور لحم زوجة العم فتنه في النهار, ومرافقتها على موائد القمار في الليل ليعود مخموراً مفلساً يأخذ الحارث في لحظة غياب عن الوعي، وعندما يصحو على هول ما فعل يهرب إلى صديقة أمه في بور سعيد، يتزود بالنقود ليواصل إلى شريك أمه وعشيقها **عادل باشا,** الذي ينجح في تهريبه إلى الفيوم عند أخواله حتى تهدأ الأحوال وتسوي الأمور مع عائلة بكير..

وفي سياقات الهجوم المضاد يمول **سراج الدين شاكر** عميد العائلة حملة إعلامية، يقودها الصحفي الشهير **حسن صبري،** ضد المواريث البالية وأخذ الثأر، ينجح من خلالها في استقطاب الرأي العام، وهو الصحفي الذي تطال سطوته الوزراء، ما يجعل عائلة بكير تقبل الكفن وتفيء للصلح، وينتصر سراج الدين الذي بدا حياته لصاً في معسكرات الانجليز ثم صاحب مقهى دخل السجن أكثر من مرة، حتى يتعرف على أصغر زوجاته توحه اللعوب، ليصبح من ملوك تجارة العملة المعتمدين في الداخل والخارج, ولم يتوقف الأمر عند حدود قبول الكفن وعودة مراد إلى الإسكندرية، بل تعداه إلى حفظ التحقيق مع مراد بعد اعتراف

إبراهيم برغوث أحد مستخدمي أبيه بأنه الذي كان يسوق السيارة, وان مراد كان في المقعد الخلفي عند وقوع الحادث.

تكسب عائلة شاكر الجولة بعلاقاتها وسطوة مالها، لا تعبأ بالضحايا التي تقذفهم الحياة على أرصفة مجونهم وفجورهم، حتى وإن كانت الضحية من صلبهم. فسراج الدين يمتد فساداً في ابنه محمد الذي عاش حياة ماجنة، وفشل في التعليم ينشئ مؤسسة مالية بعد أن تقمص دور التائب فأطلق لحيته وتردد على المساجد..ولكنه يفشل في إقناع الحارث أن يبقى مستشاراً مالياً له بعد أن كشف نصبه واحتياله وسرقة أموال الناس, كما يفشل في جذب قلب **صفية** التي انحازت للحارث والتزمت به، مما أوغر صدره عليه..ولعل محمد سراج الدين صورة أخرى لعمه حسن شاكر الذي يدير ظهره لزوجته الوفية أم الخير التي أسست معه الثروة الحلال، فيشارك **قدوره** تاجر الحشيش الذي ينجح وزوجته بهية أرملة المعلم محروس الخطير في تزويجه من فتنة اللعوب، بعد أن دمرا حبيبها **كمال عبده** نكاية بأمه وأبيه اللذان رفضا مصاهرتها، بأن دسا عليه يوسف العجمي الذي يأخذه إلى الإدمان ويدمر مستقبله كمحام متدرب في مكتب الحارث، حتى يصبح طيف مشرد يهيم في الطرقات، فيما **فتنه** تسيطر على حسن شاكر وتمارس غواياتها كما يحلو لها، ما جعل إنصاف أم مراد تصفها بالزوجة المزيفة، أما **أم الخير** الزوجة الأصيلة فقد ماتت كمداً بعد أن فقدت الزوج والحبيب والشريك، وصديق رحلة العمر..

جبله آل شاكر تبدو واضحة في محمد شاكر والد مراد الذي بدأ موظفاً صغيراً في محلات هانو, والذي طالما وقفت له زوجته بهية بالمرصاد ضد الكسب الحرام, يقهرها ويتزوج من ابنة خالتها أنصاف التي تسومها ألوان العذاب مع بناتها وابنها عادل، خاصة بعد أن أنجبت مراد لكن بهية وأمام الفقر والعازة تبقى في البيت زوجة مهجورة، تعتمد على كسب أبنها عادل الذي يعتصم بقيم أمه ويعمل ويدرس ويقع في هوى ليلى أخت الحارث ويتقدم لخطبتها ويوافق الجد بكير منحازاً لدينه وخلقه غاضاً النظر عن حسبه ونسبه فيتهيأ للزواج بعد انتهاء فترة التجنيد لكنه يعود شهيداً في حرب أكتوبر، فيما أبوه سادر في غيّه من خلال علاقات زوجته أنصاف مع شبكة المشبوهات، وشريكها (عشيقها) عادل باشا الذي يظللها بالسلطة والسطوة..

أي نباتات يمكن أن تخرج من تربة ملوثة، قوامها المال والجنس والقوادة وانتهاك المعايير، تأخذ في طريقها الأخضر واليابس، وتلقي بالضحايا على أرصفة الشهوات، وأي معاناة تأكل الناس من حولهم وتحدد مصائرهم على مذبح أفعالهم مثل **لواحظ** تذهب لخدمة أنصاف عند مرض أمها، فيفتضها مراد وتهرب من خطيبها ابن عمها عزت عبد الرحيم، وتذهب إلى الانتحار لكنه يغفر لها ويصمم على الثأر لشرفه، وزكية بنت وديدة بائعة الخضا, اللعوب

حبيبة عطوة الذي تتوزع حياته بين التشرد والسجن، تشاغل مراد وتتسلى به، فيعبرها ويتركها وعندما تشكو الأم الأمر للحاج بكير، تضطر انصاف إلى تزويجها من إبراهيم برغوت، ليصبح زوجاً احتياطياً، ولتصبح سلوع عشيقة عطوة الذي يأتيها إلى بيت أمها، التي أصيبت بالعمى، حتى إذا وصل الخبر إلى أخيها الغائب وراء رزقه في البحر يعود ليقتلها لكن الأم المسكينة تسبقه وتغرس نصل السكين في قلبها حتى لا يرتكب الابن الجريمة "**أي قسوة تفرضها الحياة وتضع الإنسان بين خيارين كلاهما القتل..**"ربما هو الإحساس بالدونية والتلاشي أمام العجز, ما دفع إبراهيم برغوت الذي عاش عاشقاً لأنصاف لوضع حداً لحياته بالاعتراف عن جريمة لم يرتكبها ليذوب في السجن بعيداً عن الحياة, فهل مات إبراهيم برغوث قبل الموت، كما مات كمال عبده قبل أن يتحول إلى مسخ هائم في الطرقات، حتى صافيناز **كاظم** التركية الأصل، الباريسية النشأة سليلة كاظم باشا الذي رشح للوزارة قبل ثورة يوليو، تنجر إلى عالم آل شاكر في صفقة يعقدها أبوها طمعاً في المال فيقدمها فاكهة نادرة خطيبة لمراد الذي دخل نادي اسبورتنج ليعيش حياة الطبقة الارستقراطية، لكن صافيناز تتمرد على الحالة بالإيغال في السقوط وكأنها تعيد سيرة فتنة أخرى مشروع زوجة مزيفة، لكن القدر سبقها إلى القتل..

***

أي ليل سرمدي، يغلف الكائنات على غيها، وغيظها، وانكساراتها، وأي عتمة تتفشى حضوراً مرعباً في نسيج المجتمع المصري، القابض على جذوة القهر حتى الفزع، الغائص في الحيرة حتى التيه، المشدود إلى الفاقة والفقر واضمحلال القدرة على التغيير.لا يملك غير القفز عن الواقع إلى واقع أكثر غرائبية وعجائبية، مؤكداً ان الفنتازيا خارج معطيات الواقع وحدوده تدهش ولا تفزع، تؤلم ولا تدمي، تقدم فرجة لا تستمر بعد نهاية العرض، أما الفنتازيا الخارجة من رحم الواقع تكشف الوجه الآخر للحياة، وهي الفاعلة في التفجير والتشظي وقذف الأسئلة التي تنهش اللحم حتى عميق النخاع, وهذا في تقديري ما حاولته الرواية في رصدها الصراع بين البراءة والجريمة, وبين الموروث المؤسس على الصدق والأمانة والشرف والتجاوز المسوغ لكل أشكال السطو، واستبعاد الآخر لإرضاء النوازع الفردية التي لا ترى العالم خارج حدود الذات..وربما ذلك، قاد السروجي في ظل الفزع وشلل القدرة إلى تبني حتميات الحلول الفاصلة بقتل مراد شاكر بسيف الموروث، وكأنه يقول أن الصيرورة أقوى من الانفلات وانه في غياب قوانين العدل لابد من تطبيق شريعة العدل، حتى يتم تحرير القانون من سطوة التجاوز، ووضع حداً لسقوط الضحايا مثل لواحظ وسلوع وصافيناز، وكمال عبده وإبراهيم برغوت والحارث بكير.وحتى تخلع صفية ثوب الحداد وتكمل دراستها..

وفي تقديري أن خالد السروجي قدم بكفاءة الحذر حكاية واقعية تحدث كل يوم، للدخول إلى ما بعد الحدث، في بناء محكم ومسيطر عليه، لاهث في تداعياته، مقنن وفي وصفه، مقطر في معانيه، يعتمد الخلاصة تاركاً للقارئ تداعي التفاصيل، وهو بذلك يفتح السؤال المؤرق حول دور الحكاية في الرواية، محذراً أن الحكاية وحدها وعلى أهميتها لا تستطيع حمل مشروع الرواية، لأنها لا تستطيع وحدها الإجابة على الأسئلة، فلابد من تجاوز الحكاية بشروط الفن الذي يأخذ من معطيات الحياة عتبة أولى لدخول عملية الخلق على الورق.

*** خالد السروجي كاتب شاب يقيم في الإسكندرية, ويعمل في المحاماة ويكتب القصة والرواية**

إستنساخ الشر

في رواية مشمش الرابع عشر للكاتب محمود عرفات

في مجموعته القصصية على شاطئ الجبل يلج محمود عرفات عالم يعرفه جيداً، ويقبض على أسراره.يذهب إلى ممراته ودهاليزه، برغبة المحب المنتمي، لا تخذله التفاصيل، ولا تغيم أمامه الرؤى، مع ناس القرى والمراكز والمدن الصغيرة الذين يعيشون أحلامهم، ويتعايشون مع ظروفهم ينشدون الطمأنينة والسلام يتبادلون حكايات تمتح من ذاكرة جمعية تأسست على مواريثها وتقاليدها وثقافتها الفطرية التي تلعب الطبيعة دوراً فاعلاً فيها، يعرضها محمود عرفات في قصص واقعية، تلجأ إلى الخيال بقدر محسوب, فالواقع يقدم مادة غنية للقص لكاتب يمتلك المعرفة اللازمة لإطلاق الكتابة.. ولعل ذلك ما يتجلي في **روايته مشمش الرابع عشر**, الصادرة عن منشورات إبداعات الحريه 2005, التي تخوض في الهم العام وما آلت إليه أحوال مصر، مستقصياً إرهاصات الخلل الذي طال البنية الاقتصادية في القطاع الصناعي نتيجة الفساد الإداري الذي أدى إلى ما عرف بظاهرة **القطط السمان** التي تبتلع الأخضر واليابس في سبيل تحقيق مصالحها وإشباع رغباتها وشهواتها. هذه الشريحة التي تكرست بعد ثورة يوليو 1952, وبعد قوانين الإصلاح الزراعي والتأميم وتشكيل القطاع العام كإجراءات ثورية، ولكنها فشلت في إدارة المؤسسات والوحدات الاقتصادية, حيث نصبت كوادر غير مؤهلة تنقصها الخبرة, ولا تملك غير الولاء لمراكز القوى والتمسح بشعارات الثورة مما أدى إلى تدمير الاقتصاد القومي والحد من التنمية ومهد لنكسة 1967 وما تداعي عنها من حروب ومعاهدات سلام وقوانين انفتاح اقتصادي غير وجه الحياة في مصر.

ولأن الكاتب ابن مرحلته, فإنه يقوم بدور الراوي العليم ويسرد ما جرى في شركة الشربيني التي تضم خمسة مصانع تتوزع على ثلاث محافظات ودمجها في شركة السيوف الأصغر منها حجماً والأحدث منها وجوداً..

وفي سياق الحكاية يعود الراوي إلى ما قبل نكسة حزيران ليصل الوقت الحالي حيث ترصد الأجندة أحداث وقعت في العام 2004 تاركاً الأسئلة مفتوحة على كافة الاحتمالات..

***

تتصاعد الأحداث إثر خسائر كبيرة تمني بها شركة الشربيني بسبب السياسات الخاطئة لرئيس مجلس إدارتها **السمادوني** "وهو ضابط سبق اتهامه بسرقة وقود الطائرات، وبتدخل أحد أقرباءه أفلت من المساءلة وكوفئ بتعينه رئيساً لمجلس إدارة الشركة" ما شجع المتربصين للانقضاض، على استصدار قراراً من الاتحاد الاشتراكي بضم الشركة إلى شركة السيوف التي يتولى رئاسة مجلس إدارتها **سعد البيلي**, ضاربين صفحاً عن تقرير الوحدة الأساسية للاتحاد في الشركة الذي يشخص أسباب الخسائر ويحصرها بالسياسة الإدارية الخاطئة، ويضع تصوراً ايجابياً للنهوض بالشركة والحفاظ عليها وعلى سمعة منتجاتها في السوق.

يحدث الضم وتبدأ معركة حفية لتصفية رموز المعارضة وعلى رأسهم الدكتور كامل عبد الدايم,ويعين البيلي أتباعه وحواريه في مناصب قيادية ويصبح المهندس عزبز الذي كان على رأس لجنة جرد عند الاستلام والتسليم مديراً عاماً لمصنع النوري فتأخذه المفاجأة لدرجة الذهول, فيطلق على ولي نعمته لقب الدكتور، الذي يصاحب البيلي بعد ذلك، ويصبح حتى في المكاتبات الرسمية الدكتور سعد البيلي, أما عزيز "الملقب بمشمش" فإنه يترسم خطي سيدة ليصبح **الدكتور عزيز** ويمتد طموحه حتى يصبح رئيس مجلس إدارة الشركة الرابع عشر..وكأن غياب المنطق سياقاً منطقياً في زمن ضاعت فيه المعايير والقيم.

<u>شخصيات محورية</u>

تركز السيرة على شخصيتين مركزتين في خطين متناقصين متصادمتين لدرجة الإقصاء التي تصل إلى حد الافتراس والتصفية.

الدكتور كامل عبد الدايم

ولعل الاسم يحمل دلالته، فهو المهندس الذي يواصل رحلته الأكاديمية حتى درجة الدكتوراه, ويواصل بحوثه العملية حتى يصبح خبيراً في الصناعات الغذائية، يفضل العمل الميداني عن العمل الأكاديمي لتطبيق علمه وخبرته في تطوير الصناعة الوطنية. لذلك يقف بصلابة أمام تبديد الشركة وخلخلة بنيتها واثقاً من إمكانية النهوض بها، ولكن بعد الضم يعمل سعد البيلي على تهميشه تمهيداً لإبعاده والتخلص منه، فيصرف له نصف مكافأة مشككاً في كفاءته ثم يرشحه للعمل خبيراً للصناعات الغذائية في الأردن, ليعود بعد ثلاثة أشهر إلى السجن بتهمة التحريض السياسي، ويحكم عليه بالسجن سنتين بعيداً عن زوجته وابنته الطالبة الجامعية وابنه المجند في الجبهة والذي يستشهد خلال مدة حبسه..يصاب بالانهيار العصبي، لتأتي الصدفة بالطبيب المعالج الدكتور محجوب صديق صباه.فيقوم على علاجه ورعايته ثم يعمل على خروجه من السجن بواسطة قريب له على صلة بمراكز القوى، فيخرج من السجن على خلفية قضاء نصف المدة وشفاعة ابنه الشهيد..

يعاد الاعتبار للدكتور كامل، ويعمل مستشاراً لوزير قطاع الأعمال، فيجد سعد البيلي ضمن هيئة المستشارين بعد انتهاء عمله مع منظمة الزراعة والأغذية الدولية, ويسند الوزير للبيلي رئاسة لجنة تطوير الأعلاف، لكن الصدفة تلعب دورها فيتعرض البيلي لحادث سيارة ويصاب بكسور ولا يتمكن من مواصلة العمل, فيسند الوزير مهمة رئاسة لجنة الأعلاف للدكتور مهدي الذي تربطه بالدكتور كامل صداقة مؤسسه على الثقة..فيبلغ الدكتور كامل صديقه بأن البيلي ليس دكتوراً, وعند مراجعة ملفات شركة السيوف يتم اكتشاف المخالفات التي تؤدي في النهاية إلى عزل الدكتورعزيز (مشمش) وتعيين طاقم إدارة جديد يتولى شئون الشركة..

المهندس عزيز (مشمش)

الطفل اليتيم انتقل مع أمه من كفر الدوار إلى الأنفوشي في الإسكندرية بعد موت أبيه (العامل) ليعيش في كنف جده, ومن عرق أمه التي تفتح دكان بقاله بعد موت الجد يتعلم ويتخرج من الجامعة ويعفي من الخدمة العسكرية لأنه وحيد أمه,ويعين مهندساً في شركة السيوف، فتقع عليه عين سعد البيلي الفاحصة ويلقبه بمشمش, ويكلفه بأعمال السباكة في منزلة, ثم يوكل إليه مهام خاصة فيثبت حسن الولاء حتى يعينه مديراً عاماً لمصنع النوري، ويصعد نجم عزيز حتى يصبح مديراً لشركة السيوف بعد ماهر عسران ويرث مع المنصب السكرتيرة نجاح التي يضاجعها في المكتب متحملاً مثل سلفة مصاريف علاج زوجها ونفقات تعليم أولادها, ولأنه التلميذ الأصيل لسعد البيلي فإنه يصبح وبدون مقدمات الدكتور عزيز ويرتقي بطموحة إلى تولي رئاسة مجلس ادارة الشركة, لذلك يدخل صراعاً خفياً مع تلاميذ البيلي الآخرين لكن الأمور تسير على غير ما يشتهي وينتهي الأمر إلى عزلة ويخرج من اللعبة قط سمين يفكر في الدخول إلى أفق جديد من خلال مجلس نادي الشراع.

<u>ضحايا لعبة الصراع</u>

الزوجة صفاء،

الطفلة الخجولة التي تتأخر في ضبط مخارج الحروف, ابنة العامل الذي يؤمن بالديمقراطية، ويشارك في حركة عمال مصانع كفر الدوار في الخمسينات التي أعدم على أثرها خميس والبقري وكان من نصيبه الاعتقال، وعندما يخرج من السجن يصوم عن الكلام والطعام, ويدخل مستشفى كرموز ليموت بعد ثلاثة أيام، فتنتقل صفاء مع أمها لتعيش مع خالها في حي القباري ، حيث تعمل الأم خادمة في المستشفى، وتتخرج البنت ممرضة تعمل في المستشفى وتقع في حبائل الدكتور صفوت الذي يتزوجها, تكتشف أنه على علاقة بنساء أخريات فتصمم على الانفصال..وفي ظل محنتها تأتي الصدف بالمهندس عزيز صديق طفولتها مريضاً تجري له عملية الزائدة الدودية ليقع في هواها وكأن حباً غافياً كامناً إنداح فجأة كالطوفان, ومع تصاعد نجم عزيز تكتشف خيانته الزوجية، فتخرج من حياته دون ضجيج, وتعيش مستقلة في

جحره خاصة بها حفاظاً على تماسك الأسرة, صابرة منكفئة على أحزانها شأن بنات البلد الأصيلات الصابرات.

السكرتيرة نجاح

الموظفة في الشركة، وزوجة الموظف المعارض الذي لم يصمد أمام ماهر عسران فيصاب بالانهيار ويقعده المرض، وإمعاناً في إذلاله يفترس ماهر عسران زوجته عشيقة مرغمة أمام نفقات العلاج ومصاريف الأولاد، وتتحول نجاح بجسدها الريان جسداً احتياطياً لمن يجلس على كرسي الإدارة، فيرثها عزيز عن ماهر مع المنصب والمكتب، ويغرق في لحمها، وتصل بشاعة الافتراس مداها بعد عود عزيز من الحج00أي لعنة وأي فجور وأي ثمن غير مبرر تقدمه هذه المرأة وكأنها المصابة سلفاً بجرثومة التطلعات الوهمية الزائفة, فلا تحصد غير السقوط..

<u>لعبة القص وبنية الرواية</u>

يلجأ الكاتب إلى بنية تعتمد على أجندة محددة فيها الأحداث والواقع والشخوص والتواريخ أيضاً ما يوحي بالواقعية، موهماً القارئ انه يعود إلى محاضر ومدونات لا تقبل الشك واللبس، الأمر الذي يؤكد مصداقية الرواية, ويزود الأشخاص بطاقة الفعل التلقائي دون تكلف أو التفاف إلا فيما ندر, حيث يعلو صوت الكاتب على صوت الأشخاص.

وعلى جانب آخر يقوم الكاتب بلعبة ذكية وموفقة, يبعثر أوراق الأجندة فلا يتقيد بالتسلل الزمني ما يساعده على فتح نوافذ الإيهام والغموض والتشويق. ولكن إذا أعاد المتلقي قراءة الرواية حسب تسلسلها الزمني فإن الأمور تنتظم في سياقاتها المنطقية, ويغيب اللبس ويكتشف أن بدايات الفصول هي نهايات السيرة, وأن خلط الأوراق ربما فتح مسرباً لإعادة القراءة وهذا في كل الأحوال لصالح الرواية, فهو يطرح سؤالاً حول صلاحية البنية التقليدية في موجه التجريب, وإذا اعتبرنا أن ما مارسه محمود عرفات نوعاً من التجريب فإنه تجريباً محموداً في إطار بنية تقليدية مازالت تستوعب مغامرات الإضافة..

وأخيرا

فان الكاتب يحمل الهم العام، ويعيشه بوعي، استطاع أن يسرب أفكاره على لسان بعض الشخصيات وخاصة الدكتور كامل عبد الدايم "ضحكوا علينا وقالوا الصناعات الثقيلة من الإبرة للصاروخ والتحديث، والقلاع الصناعية في المحلة الكبرى وكفر الزيات وحلوان، بدأت

قلاعاً حقيقية فأعطوها لأهل الثقة فأفسدوها وتركوا اللصوص ينهبوها، فأصبحت قلاعاً من ورق عندما سادت قيم الفهلوة وادعاء العلم واللعب بالبيضة والحجر.."

وكذلك تداعيات الدكتور أمام ضريح ابنه الشهيد "**كيف تستطيع أن تصنع نصراً حضارياً مساوياً للانتصار العسكري.**".

وعلى جانب آخر نرى مشمش في لحظة انكساره يعود إلى أمه الصابرة المكافحة يستعيد حكمة الحياة عندما كان يسألها عن موت الكتاكيت الجديدة, ترد عليه بعفوية "**مات لأنه شرب من نفس المسقاة..**"

وكأني بالراوي/الكاتب يحذر من العودة إلى ذات الأخطاء حتى لا نشرب ماءً ملوثاً من مسقاة ملوثة لا تأتي بغير المرض/ الموت.

*** محمود عرفات روائي وقاص يقيم في كفر الزيات**

سحر التركواز والقراءة الموازية

" قراءة في رواية سحر التركواز للروائية مي خالد "

في رواية سحر التركواز, تأخذنا مي خالد إلى رحلة البحث عن الذات, واختبار الرغبات, من خلال علاقات قص تبادلية بين ليلى المصري الراوي الظل لبطلة الرواية الأساس نيرفانا والتي تراوح بين الحضور والغياب, أثر محاولة انتحار غرقا في البحر..

وتقوم الرواية على تفكيك الأزمنة والأمكنة وتداخل الأحداث, وبعثرتها بالتهويم والتداعي والحلم والتأمل الواعي المدروس, لحياة عائلة جنوبية تعيش الصراع بين التمسك بقيمها وعاداتها ومواريثها وتقاليدها والاندفاع إلى فضاءات جديدة..

تتجلى في فضاء النص قدرات مبدعة محصنة بمعرفة واسعة, تقبض على شروط القص باقتدار, وتتعامل من الرواية مشروعا معرفيا, ومساحة للكشف وإطلاق الأسئلة, يساعدها على ذلك مخيلة رحبة, ولغة متمكنة هامسة حاملة شفراتها ورموزها, تقف بين البوح والاعتراف, وتتأمل تفاعل المادي مع الروحي في تشكيل شخصية ووعي الأفراد والجماعات..

ما قبل الدخول

في استدراك ما قبل العتبة الأولى, نقف عند رباعية صلاح جاهين:

غمست سنك في السواد يا قلم

علشان ما تكتب شعر بقطر ألم

مالك جرالك ايه يا مجنون.. وليه

رسمت ورده وقلب وعلم..

فهل تمردت الراوية ليلى المصري على التعاليم المسبقة, واستجابت لصوتها الداخلي, إيمانا منها "**بأن ما يتعلمه الإنسان في عشر ساعات من الألم, يفوق ما يتعلمه في عشر ساعات من السعادة, وأن السعادة تفيد البدن, أما الألم ينشط العقل..**"

هل يكمن سؤال الرواية هنا؟ أم أنه سيتناسل على فيض من الأسئلة, بالإبحار في عوالم تقوم على تداعيات تستحضر الغياب من خلال سيرة من رحلوا, ومن بقوا, وذلك بالحضور المتألق لنيرفانا التي تعيش الغيبوبة بفعل صدمة القارب لها, في السابع من سبتمبر, يوم دخل المريخ برج العذراء, والذي هو يوم ميلاد ليلى أيضا..

فهل هي أقدار برج العذراء, حامل رمز الحصاد, وفصل القمح عن القش, وفرز الغث عن الثمين.. فهو فصل النقاء الداخلي, والعري أمام الحقائق والرغبات..
وهل سيقلب ذلك اليوم, معادلة رسخت في عالم الأسرة, عن الذين اختاروا الموت في الوقت المناسب ليؤكد أن نيرفانا بعد أن غادرت الغيبوبة, قد عاشت في الوقت المناسب..

الحياة في الوقت المناسب

تقوم الرواية على مسارين متداخلين, يصبان في تأويل وتفسير أفكار, ورؤى وخطرات فلسفية وتأملية حول الحياة, والموت, والقدر, والتناسخ, ومدركات الألوان, والأشكال, والأحجار الكريمة, والكائنات التي تدب على الأرض, وما يؤثر في الذات الفردية والجمعية من المعتقدات والأساطير والأديان, التي تتفاعل عبر كيمياء سحرية, تقف وراء الظاهر من التصرفات والسلوك, وترسل إشارات غير المعلن من الرغبات والأشواق, التي تتشكل عبر مساحات الأبيض والأسود وما بينهما من أطياف على صفحات الحياة
يتفجر ذلك فجأة أمام ليلى, فتقف عند بؤرة الحقيقة, مذهولة من غرق نيرفانا هروبا أو انتحارا, بالعوم في منطقة دوامات خالية من المنقذين, وهي لا تجيد العوم, لكن قاربا يظهر فجأة, ويشج رأسها ويتم نقلها إلى المستشفى في حالة غيبوبة الموت, ما يدفع بليلى إلى القاهرة, للحاق باختبار التمثيل الذي هربت منه, وفاءً لرغبة نيرفانا, ورداً لتهمة أنها حاملة لجينات التخلي, لكونها ابنة امرأة غريبة تمردت على أعراف العائلة, واختارت الحياة في مسقط رأسها على شاطئ البحر..
تقف أمام السؤال:
هل اندفاعها نحو التمثيل بسبب رغبة داخلية, أم هو الانبهار بعبقرية حازم الذي يتحكم بمصائر الشخوص, ويرسم إيقاعات حياتهم على خشبة المسرح..
أمام ذهاب نيرفانا إلى الغيبوبة أو الموت, تستعيد ليلى ما كان بينهما, للوقوف على التراسل والتخاطر, وحدود التماهي والاختلاف بينهما.
تستعيد ليلى من خلال نيرفانا سيرة الأسرة التي تعيش حياة راسخة في مدينة "المنيا", وتصدر أولادها المتعلمين إلى القاهرة, ليعيشوا حول النيل يحرسونه يراقبون أحواله, وكأنهم في مهمة قدرية منذ تناسل الفراعنة الأوائل الذين حملوا في جيناتهم نور الحقيقة.
هذه الحياة رسمتها نيرفانا على صفحات كراسة الرسم في طفولتها وصباها المبكر, ولونت رسوماتها, واحتفظت بشفرات ورموز, تعكسها مضامين ومعاني الألوان والرموز الساكنة على مساحات اللوحات.. لتقول ما لم تستطع قوله جهرا..

نيرفانا, وهي الطبيبة, تدرك أنها أسيرة غيبوبة قد تمتد ساعات, أو أيام أو سنوات, فتتوهج مع ذكريات مرت بها مثل حلم في مدينة "فيوسن" على قمم جبال الألب في ألمانيا, حيث التقت بمهند الذي بسط لها خريطة روحها ببساطة وبنقاء, وأرسل لها إشارات روحه الراغبة, فنالت منها, ووضعتها أمام حقيقتها الملتبسة في أسرة لا تستوعب رؤاها, لكنها لا تتخلص من قيودها وتختار العودة خلف الأسوار, وكأنها لم تغادر صفحات الكراسة, لتعيش عذابا تستكين أمامه كقدر محتوم..

وفي الغيبوبة يطل عليها مهند بإلحاح ويؤكد لها ما كانت تردده دائما " **إن نقاط التحول تكون بسبب أحد, أو من أجل أحد..**"

عندما غضب إله الخمر

تلوذ أسرة نيرفانا بالنهر العظيم, تحط على ضفافه بالقرب من المتحف الفرعوني, فيما الأقارب يتبعثرون من حولهم في الأحياء المجاورة..

ينفلتون مع العائلة الكبيرة في شهر الصيف إلى الإسكندرية ليجتمعوا في شقة اسبورتنج, الواسعة التي تطل على فضار البحر, حتى من تزوجت منهم خارج العائلة تلتحق بالركب في شوارع مجاورة.. تنتظم الأسرة رجالا ونساء وأطفالا وخادمات أصبحن جزءاً من نسيج العائلات المصريات في ستينات القرن الفارط, الذي شهد طفولة نيرفانا وصباها المبكر, والذي صار ذاكرة..

نيرفانا ابنة, طارق مهندس حماية الشواطئ الذي يذهب الى مقر عمله القريب في ساعات النهار ليراجع مخططات الحماية' ويجلس على الفراندا يراقب النهر ليلا..

وابنة سلوى معلمة اللغة العربية في المدرسة الفرنسية المجاورة للبيت, والتي أصبحت فيما بعد معلمة للدين الإسلامي بتعاطف من إدارة المدرسة, لتوفير الوقت لها للعناية بابنها خالد المريض, بسبب جرعات الجاز, التي سقته إياها الخادمة حتى ينام, وتتفرغ للحديث مع خادمات البيوت في العمارة..

تعيش نيرفانا طفولتها في المدرسة الفرنسية مع التلاميذ المصريين, حيث يفصل الذكور عن الإناث, ويحجبهم سور عن فصول أولاد الطليان المختلطة, فينظرون إليهم ككائنات جميلة تنتمي إلى عالم سحري آخر.

الأسرة محكومة بسجن الشقة, فجميع الأقارب يأتون إليهم لمميزات موقع سكناهم, وللجلوس في الفراندا التي تطل على النيل والهواء فيها يرد الروح, وكذلك لتصيد طواقم التلفزيون, التي تعتلي سطح العمارة, وتصور مناظر النيل, وحركة الحياة, ما قد يتيح

فرصة لظهور احدهم في الكادر على الشاشة الصغيرة, فيحضرون بكامل زينتهم ويفرضون على نيرفانا وأخيها استعدادا دائما لاستقبال ضيوف..

هذه العوالم التي تحيل الحياة من سجن العائلة في المنيا إلى سجن شقة النيل إلى سجن شقة أسبورتنج, رغم مظاهر الانطلاق الصيفية..

الإسكندرية توفر فضاءً للانطلاق, ونيرفانا لم تكبر في نظر الأسرة لضآلة حجمها, فأطلقوا عليها لقب "**تونو**" ريما لصعوبة لفظ اسمها وعدم تداوله في الأسرة, أو ربما لشعورهم أن هذه الصغيرة الحجم كبيرة العقل تحمل رؤى خاصة.. فتغاضوا عن عمرها مما أتاح لها فرصة إرهاف السمع للخالات والعمات والجدات والخادمات, وجعل الشبان يصطحبونها معهم إلى صالات الديسكو لاصطياد الفتيات والرقص معهن..

وفي الشقة تلوذ بكراسة الرسم, وتعيد إنتاج العالم من حولها على شفرات الألوان والرموز وتجعله سجلا تهديه فيما بعد إلى ليلى..

فهل كانت التجربة البصرية مع الألوان, اختزالا سريا لحياة الأسرة, التي تأخذ فيها النساء, دور آلهات فرعونيات, فيما يقبع الرجال في ظل اللون الرمادي الوقور, وكأنهم من توابع المقدسات تحقيقا لضرورات التناسل جيلا بعد جيل..

وهل لنيرفانا من اسمها نصيب؟

فالنيرفانا "**هي الانعتاق من الجسد ورغباته, والوصول إلى أقصى درجات النقاء الروحي, الذي يوقف تناسخ الأرواح في أجساد مخلوقات أخرى** "

هل كانت نونو كذلك؟ أم هي جاءت ضد المعنى؟ وهي المؤمنة بنظرية البدائل التي خلصت ليلى من غضبها على مدرس الكمبيوتر الذي مد لها حبال الود, فاكتشفت بالصدفة انه متزوج وأنه أب لطفلة!!

وتؤمن بنظرية المناداة, التي تفترض أن الأمكنة تنادي الشخص الذي حدثت معه حادثة للعثور على شيء فقده في المكان, وذلك حسب نظرية الطاقة, حيث يبقى تاريخ الأحداث منقوشا على جدران وحوائط وأرضيات الأمكنة, ما يجعلها تؤثر على تصرفات البشر المقيمين فيها..

هل هو التماهي مع الموجودات؟ أم التكامل؟ أم الثورة على الأوضاع المقلوبة؟؟ أم هو الرغبة في التجاوز, الذي جعلها تنحاز إلى ليلى, لكونها ثمرة زواج ملتبس بين الجمود والانعتاق, بين أب تمرد على صورته الضعيفة في نظر الأسرة, فاختار امرأة غريبة من خارج المدار عاشت مع فضاء البحر في الإسكندرية, فلفظتها العشيرة لأنها طارئة على النسل المقدس, ما جعل نيرفانا أول من يستقبل وليدتها ليلى, وتمرر أمام عينيها خاتم فضة مرصعاً بفص كبير من العقيق الأحمر, وتقرأ معه تعويذتها "**لي لا**" يا ابنتي المشتهاة.. أنت

موضوعة في برج العذراء فاعرفي نفسك, ستتمتعين بقدرات خارقة علـــى التحليـــق دون غيرك ليس لأنك أفضل منهم, بل لأنك لن تقبلي سوى بالتسلسل المنطقـــي مبـــررا لكـــل جزيئات حياتك, ليس هذا بالشيء الأصلح, ليس كل ما في الحياة مبررا, فلتقبلي بـــبعض الأمور على فطرتها في حينها سيأتيك التبرير لاحقا.

ستتمتعين بميزة التفكير, لكن احذري أن تظل الفكرة أسيرة رأسك **(ضعي ســـراجك علـــى منارة لينظر الداخلون)**

أما تيست لها لون جميل لكنها في النهاية حجر يفقد بعضا من زهوه لو تعرض للشمس..

"**ولي لا**" لها اللون نفسه لكنها وردة تزدهر تحت الضوء"

فهل هذا ما كشفه مهند لنيرفانا في مصادفة غريبة على قمم جبال الألب في ألمانيا, وهـــل كشف عن ذاته وذاتها في أسطورة الفتاة الطيبة اماتيست التي تصادف مرورها وإله الخمر في حالة غضب على واحد من بني البشر, فيطلق عليها نمران يأكلانها, ولكن الإلهة ديانا حولتها إلى حجر من رخام أبيض, فحزن اله الخمر, وذرف دمعة سقطت في كأس نبيـــذ كان في يده, واندلق الخمر على الحجر فتحول إلى لون موف جميل..

وهناك وبعد أن قطعت الطريق الرومانسي أرهفت نبرفانا بوجد إلى الأغنية:

" **لو لم تكن موجوداً, قل لي لماذا أعيش**"

لمن تعيش نيرفانا؟ وهي التي شعرت أنها امرأة بلاستيكية عندما قبلها طـــارق, شـــعرت بالغثيان وكأنها ترتكب المعصية, ذلك الغثيان الذي داهمها عندما شاركت في جماعة تعليم المكفوفين, الذين يتشابهون في رسم الابتسامة الجفاء الودودة على وجوههم..

لمن تعيش؟ وقد افترقت عن مهند الذي اخترق حجبها وتربع على ناصية القلب منها..

هل لأن الأماتيست, يشفي الروح, ويهدئ النفس, ويعين صاحبه على تقبل الفواجع مثـــل الموت واليأس, وفقدان الحبيب.

لماذا تنتحر إذن؟

هل هو المخبوء في رباعية صلاح جاهين كما يفهمها مهند البعيـــد؟ أم هـــو التراســـل أم الاستنساخ؟!!

" لا تجبر الإنسان ولا تخيره

يكفيه ما هو فيه من عقل بيحيره

اللي النهارده بيطلبه ويرضاه

هو اللي بكره يشتهي يغيره"

ومهند البعيد عاش طفولته, في حواري الحسين مع جده لأمه, صاحب محل المجوهرات, وتنقل بين ورش التصنيع, والوازانين, والملمعاتيه, واللحامين, واللضامين,وحارة اليهـــود,

يكبر ويدرس الفلسفة, وينجح في امتحانات الخارجية ليصبح سكرتيرا في السفارة في بلد بعيد, ويبقى على شقاوة الطفل الأول, حاملا معه أحلامه ومواريثه أينما حل, حتى وجد من خلقت له على قمم جبال الألب, جاءت تمثل مصر بعد فوزها ببطولة الجامعات في لعبة تنس الطاولة, التي خبرت أسرارها بالتجربة لكثرة ما لعبتها على طاولة السفرة في شقة العائلة, مع أخيها ومع ضيوف العائلة فهي اللعبة المتاحة في البيت..

<u>الهروب إلى الموت!!</u>

سجلت نيرفانا موقفها من الأسرة في مرحلة الستينات؟ واهدته إلى ليلى بتأثير التناسخ الروحي بينهما, لعل ليلى تستطيع ما لم تقدر هي على تحقيقه, فلماذا كان هروبها إلى اللون؟ وهل توقفت عن الرسم بعد ذلك؟ ولماذا ظهرت اجتهاداته لا حقا في تصاميم الدعاية لمدرسة تعليم صناعة الحلي والجواهر الذي سيفتتحها مهند ابن مهند الذي أصبح سفيرا في البرازيل.. ومهند الثاني هذا, نتاج زواج مصري من أوربية استوعبت أحلامه, ومنحته طفلا له ملامح مصرية, ولكنه يحمل جينات الولاء لمسقط رأسه وينتمي إلى حرفة جده الجواهرجي, يفتح مدرسة وصالة لتعليم وعرض المجوهرات المصرية النادرة في البرازيل, ويعود ليفتتح فرعا في القاهرة في شارع المعز لدين الله الفاطمي.!!

فهل صار الوطن فرعا للمهجر؟ أم هو اغتراب الوطن عن الوطن عند الفرنكفون؟ أم هو البعد عن الوطن ليزداد حضورا وبشكل مغاير وعلى قيم مغايرة..؟!!

في أجندة اللون, وعلى الصفحة الأولى, خطوط طولية, مثل قضبان السجن ترمز إلي الحياة المحصورة بين النهر, والشقة, والمدرسة الفرنسية والسور الذي يفصل الطلاب المصريين عن الطلاب الطليان..

وفي الصفحة الثانية إسقاط على طنط هدى, التي تسكن مع زوجها شهاب في شارع الدلتا في شقة شهدت انتحار ضابط جُرد من رتبته العسكري, فأنهى حياته مشنوقا معلقا في ماسورة دش الحمام..

هدى خارج المرآة, امرأة بشعر أحمر ووجه ملون بأصباغ, فاقعة وأقراط مدلاة, وعقد كبير, أما داخل المرآة, امرأة ملونة بدرجات من اللون الأصفر!!

وفي سهرة من سهرات العائلة في فندق سيسل, تشرب هدى كوبين من البيرة مستغلة وجود الرجال على البار لاحتساء الويسكي, وتصرح:

" **غداً سأريح شهاب مني للأبد**"

وفي الصباح أبلغ شهاب عن موتها بالحبوب المنومة..

أي مواقيت تحالفت مع انتحار أو موت هدي؟ هل هو تأثير روح الساكن المنتحر المكان؟ أم هي عتبة فندق سيسل الذي يقال أن كليوباترا تناولت السم على الأرض التي تقوم عليها العتبة؟ أم هي المفارقة أن تكون نيرفانا وطارق في كازينو نفرتيتي يشاهدان زفة اسكندراني, وكأنهما يزفان هدى!!

وهل كل هذا ما كرس اعتقاد العائلة أن هدى ماتت في الوقت المناسب؟

صفحة طنط سميرة, مقسومة إلى قسمين, في الأول خلفية بكل الألوان وكل الدرجات وامرأة تمسك بيد رجل, وفي القسم الثاني خلفية تبدأ باللون الرمادي وتنتهي بأقصى درجات الأسود.

طنط سميرة, صديقة الجدة آمنة, ماذا كانت تخفي سميرة وراء ظهورها الزاعق والمشاغب؟

انهارت في شبابها عندما خذلها حبيبها, فوقع في غرامها الطبيب المسيحي المعالج, فانحاز إلى جبهتها الدينية. وغير اسمه من ناجي فأصبح محمد ناجي نصيف مهدي..

هل عاشت خدعة أخرى مؤلمة؟ لأن زوجها لم يغير دينه, ولم تهبط صورة مار جرجس وهو يقاتل التنين من أعلى سرير نومها, توصي بأن تدفن في مقابر المسلمين, في فيما يصطحب الدكتور نصيف قس الاعتراف, ويدعو لإقامة القداس على روحها الطاهرة في كنيسة المرعشلي.

فهل عاشت سميرة الخديعة وأفاقت عند ذهول النهاية؟

وهل صحيح أنها ماتت في الوقت المناسب, كما قالت الجدة آمنة ورددت العائلة؟

وفي لوحة الصفحة الخامسة, رسم من خطوط بالأسود والأحمر والأبيض, وبقعة ذهبية تفسيرا للوحة الكنفاه التي طرزتها الجدة رؤية بدقة بالغة, وإسقاطا على شخصية زوجها الطيب بابا جلال الذي كان يعامل الجميع, وخاصة الصغار معاملة الأبناء, بطيبة متناهية.. يتبنى ورؤية وفاء الصغير ويغمرها حبا طفلة وشابة مما يثير غيرة رؤية..

هل رحل في الوقت المناسب, قبل أن يكتشف أن رؤية قد أخفت عنه عدم قدرتها على الإنجاب,بسبب جراحة في الرحم, وظلت توهمه بحضور الدورة الطمثية التي لا تأتي, فلا يملك حينها غير دموعه, مثل وحيد القرن أبيض لا يعرف الحقد..

وهل موت سعد زوج وفاء الطبيب البحري راكب الخيل والمصاب بالصرع كان في الوقت المناسب أيضا, بعد أن عذب وناء في المحاكم ثمانية سنين,

من الذي يحدد التوقيت المناسب للموت؟ وكيف؟

وهل اختارت نيرفانا الرحيل في الوقت غير المناسب فساقت الأقدار القارب, ليغير مسار المعادلة في العائلة, وتعيش نيرفانا من جديد وفي الوقت المناسب!!

الكشف وذهول الفجيعة

وفي صالة الديسكو تتفرج على الراقصين, أظفر قدمها يكاد ينخلع عن اللحم, فقد كان عليها استخدام حذاء تسلق أوسع قليلا فالأجسام عند الارتفاع تتمدد بسبب انخفاض الضغط.. يهديها مهند جعراناً من الفيروز..

" **خدي الجعران ده من الفيروز, إعمليه تمميه تتباركي بها ويشفيكي زي ما جدودنا كانوا بيعملوا, كمان حجر التركواز ده له سحر خاص, مفروض أنه بيشفي من الأمراض الجسمانية ويزود بالحكمة والشفافيه ويمنع عنك الحسد ويكفيكي شر الذكاء الخارق يا زيكو** "

وعند رقصة القبلات لا ينضم مهند,جلس يحدثها بحكاية الجعران والخنفسة كما لخصها صلاح جاهين:

حدوته عن جعران وعن خنفسه
اتقابلوا حبو بعض في ساعة مسا
لا قال لهم حدا ختشوا عيب حرام
ولا حد قال دي علاقه متدنسه

مهند يفتح لها بوابات اختبار أحاسيسها ومشاعرها لتراجع الحياة التي عاشتها, وهي ترصد ما حولها بمنتهى العقل والحياد, وتغلف تمردا سلبيا ضد الأسرة والمجتمع, ولكنها لم تخرج عن الخطوط المرسومة لها سلفا..

تسير في المدينة على قدم واحدة, بعد أن نزعت الظفر عن الأصبع بجراحة بسيطة.. تتسوق بعض الهدايا, فيما ينتظرها مهند على المقهى.. تشري انسامبل من الحرير الموف هدية ل" لي لا" وترتديه, فالجو يدعو إلى ارتداء نسيج رائق..

تقف ومهند أمام فاترينة لعرض الخواتم والأقراط والأساور, يشير مهند إلى خاتم الزفير الأزرق:

– ده هيبقى خاتم زواجنا

ترد كالملسوعة:

– مش شايفني لابسه دبله وسولتير ألماظ!!؟

يشترى الخاتم ويقدمه لها..

وفي الغيبوبة أو في الصحو البعيد, تحضر الجدة رؤية, وتحدثها عن الفتاة التي تشترط **الزواج من الرجل الذي يصنع الأسورة التي تحلم بها ورسمتها, فلا يتمكن من ذلك غير**

الشاب الذي أنقذها وأخرجها من البئر, لأن الحبيب حبيبه بعين قلبه قبل أن يرى جسده **كما تستخلص الحكاية؟**

هل كان مهند ذلك الشاب الفرانكفون, هو الذي طالما حملت به, ومن كشف أمامها خداع الألماظ.. يقدم لها عقدا صنعه بنفسه من حجر الأماتسيت, لكي يكمل جمالها انسامبل الموف؟

هل وضعها وجها لوجه أمام قلبها, الذي لطالما حجبته بفعل طاقة عقلها المشغولة بالتحليل والتأويل والإسقاط , ما دفعها إلى القبول الايجابي رقصا في صالة الديسكو..

" يحتويني تماما, تتلاشى المسافة الفاصلة بيننا, ويتلاشى معها إحساسي بجسدي أيضا, لا اشعر بوجودي وكأنني كائن أثيري له روح ومشاعر"

هل أدركتها حالة كشف؟ أم حالة ذهول وفجيعة!!

العودة إلى عين النبع

ميونخ تستعد لمهرجان البيرة, ومهند يحتسي عددا من الكؤوس بانتظار نيرفانا التي انطلقت للتسوق.. تعود له ببخور هندي يذكره بها.. يسرح إلى ما قبل المكان هناك, ويشدو على وتر قلبه..

وفي قلعة البجعات أعلى الجبل, وعند النافورة التي يتوسطها التمثال الذهبي تنتقل إليها أرواح من عاشوا في المكان, وتتلبسها روح الأميرة النائمة, فيما يمثل مهند قائد اوركسترا يحسم الحدوتة المتروكة بلا نهاية:

– نيرفانا, لم يعد لدينا وقت لنضيعه, احسمي أمرك, وأكملي حياتك معي.. "

يضعها أمام الاختيار وهي التي تضيق بضفتي النهر, والأسوار وحكايات اسبورتنج, وتتوق إلى النهايات المفتوحة, صارت مثل عصفور الزينة الذي يخشى الخروج من القفص!؟ وعادت إلى القفص من جديد, تكمل المشوار مع طارق خيار الأسرة وتتزوج , ويأتي ولدها مازن الذي يحرك الشخوص على خشبة المسرح, وكأنه يحمل بعض طموح مهند,

فهل ترى تحقق ليلى ما عجزت عنه نيرفانا عند الاختيار!!

لأن نقاط التحول تكون بسبب شخص ما أو من أجل شخص ما, أو صدفة, أم هي الأقدار تسوق أحدا فتحدث نقطة التحول, فهل كان هذا الأحد هو احدي صديقات الرحلة, هاتفتها وأخبرتها بوفاة عم مهند, وأن العزاء في بيت أخيه السفير في القاهرة, لترى في صالة

الاستقبال, كهفاً من الأماتيست يضم صورة العائلة محاطة بإطار من الفضة, وترتكن على الكهف صورة مهند وزوجته الأجنبية يحملان طفلا بملامح مصرية..

هل وجد مهند من تفهمه؟ وهل انبثقت له نيرفانا أخرى في مكان قصي من الأرض تكمل مشوارها, وتهديه ولداً أسمياه مهند!! وهل تفهمه كما تفهمه عندما يغني كما غنى لها:

"صوتك يا بنت الايه كأنه بدن

يرقص يزيح الهم يمحي الشجن

يا حلوتي وبدنك كأنه كلام

كلام فلاسفه سكروا ونسيوا الزمن "

هل ينسى الفلاسفة الزمن؟ أم يعيدون صياغته في مراحل لاحقة؟ وهل توقف زمن نيرفانا عند حدود السور والأسلاك؟ وهل بقي لديها طاقة للعبور إلى زمن العولمة. لتعيد ترتيب الأزمان؟ ربما هذا ما أخذها إلى الحاسوب لتبدأ من جديد, وتبحث عن نيرفانا..

تقرأ من جديد:

" **تقول الأسطورة أن حجر التركواز يحمي الخيول من الأمراض, كما أنه يحفظ الفارس من الوقوع عن فرسه** "

فتهتف إذن على ليلى أن تعلق في رقبة مهرها "رماح" حجر فيروز, أو ترتديه تميمة عندما تمطي ظهره..

يستمر البحث ويخرج عليها مهند بن مهند سفير مصر في البرازيل, بخبر افتتاح يفتتح صالة لعرض الحلى الفريدة, ويدير مدرسة لتعليم صناعة الحلي والمجوهرات, في شارع المعز لدين الله الفاطمي

مهند الثاني يتناسخ عن مهند الأول الذي حفظ الدرس عن جده لأمه الجوهري في الحسين, ويعود بحلم أبيه..

هل كانت الفجيعة بحجم الموت يا نيرفانا؟

أم كانت الصدمة بوابة إلى الحياة؟

وهل هو القدر التي حمل رسالة مهند السفير, في صورة القارب الذي صدمك لينقذك من غرق محقق.. هل همس في أذنك وكان متأملا وحزينا..!؟

يأسك وصبرك بين إيديك وأنت حر

تيأس ما تيأس الحياة راح تمر

أنا دقت مندا ومندا عجبيى لقيت

الصبر مر وبرضك اليأس مر

وهل سجلت نيرفانا أنها عادت من الموت, لتعيش في الزمان المناسب؟

أما قبل

فالكاتبة مي خالد, تقف على ضفاف الحالة, مزحومة بالأسئلة, مشغولة باستقصاء ما هو أبعد من الظاهر,تتكئ على معرفة معمقة متعددة, واطلاع على التجارب العالمية في القص, يمكنها من تخطيط بنية السهل الممتنع, تتقمصها روح شاعرة راغبة في الجلوس على بساط غيمة, لترصد الحياة على الأرض من خلال بلورات مطر شفيف, يمتص ضوء النهار ويحلله إلى أطياف قوس قزح السبعة, التي تندغم حضورا في الأبيض, وتتلاشى موتا في الأسود,ما يزودها بقدرة العزف الصوفي على مراتب الأطياف في محاولة لاستيعاب سر الوجود, بعيون امرأة تنشد العدل في عالم محاط بالكواسر..

---

*مي خالد قاصة وروائية تقيم في القاهرة

*سحر التركواز رواية صدرت عن دار شرقيات في القاهرة 2006

العودة إلى الحقائق الأولى

قراءة في رواية البئر للكاتبة نجلاء محرم

نجلاء محرم كاتبة مسلحة بالفكرة واللغة, تتكئ على معرفة مرجعيتها روح الدين والموروث, تنشد السلام الداخلي,مهمومة بقضايا الناس, مؤرقة تبحث عن طـوق نجـاة, تـسكن بـؤرة الأحداث, شاهدة على المعاناة, منصهرة فيها من خلال كتاباتها القصصية والروائية, وكذا في نشاطها الميداني في حقول الثقافة والأدب .

نجلاء تبحث عن الخلاص من الظلم و الفساد, وعسف الجفاف, الذي يأخـذ الحيـاة, وذلـك بالبحث عن أفق آخر كما ظهر في رواية شرشبيل الصادرة في العام 2001 حيـث يعـايش البطل مهاود الأرواح التي تسكن القرية المهجورة تاركة العجوز الصامتة (الزمن) ترصد مـا يستجد من أمور, وتحفظ وثائق النسيان في رسائل ضلت الطريق إلى عناوينها, بانتظار نفس نقية تعيد التواصل مع الحياة وتعيد الأرواح إلى أجسادها, وتعمر البيوت وتعيد للمكان عنوانه المنسي, لكن مهاودا الذي يأخذه التيه أو الغفوة يعود إلى اليقظة مزودا بكنز المعرفـة ليبـدأ رحلة جديدة برؤية جديدة.

وتعود الكاتبة إلى ذات الأسئلة في رواية البئر الصادرة عن مركز الحضارة العربية في العام 2003 في بنية أكثر تطورا وأكثر واقعية, تعتمد الخيال الموظف والأسطرة الفاعلة, تساعدها لغة موحية تحمل دلالاتها ورموزها, فالجمل قصيرة, والوصف مقنن, والرصد متريث يـسبر الأغوار ويقف عند تجليات التوهج والانكسار, فيأتي الفعل تلقائيا يجسد الفكرة ويبلور الرؤية .

فضاء الحدث والحركة

قرية صافوره المقذوفة في عمق الصحراء يعيش فيها الناس على بَركة ماءالبئر الذي يـرده المرضي طلبا للاستشفاء ثلاثة أيام من كل شهر, عندما يتجلى القمر بدرا, تتحول بيوت القرية إلى فنادق تستضيف المرضى ومرافقيهم خلال أيام الاستشفاء, ويعيش الأهالي على ايـرادات الضيافة بقية أيام الشهر بانتظار تكرار الدورة ...

لكن الأمر يتغير فجأة, ويأتي المهندسون بالجرافات تحت حماية الشرطة ينفذون قرارا بردم البئر بذريعة تلوث ماءه, الأمر يثير غضب الناس وخاصة الـشباب الـذين ينـدفعون لمنـع

الجرافات فتواجههم الشرطة بالضرب والتنكيل وتعتقل البعض منهم وعلى رأسهم رفاعي حارس البئر وصاحب الشجرة الوحيدة المعروفة بشجرة رفاعي.

يستكين أهالي صافورة ويتم ردم البئر ويقام من حوله سور يضم مساحات واسعة حتى يلاصق البيوت القريبة من البئر مثل بيت شكور, ويعزل السور القرية عن فضاء البئر ويحجب عن الناس ما ينفذ من أعمال.

وأمام الفاقة والعوز يهجر الناس القرية طلبا للرزق, إلا من فئة قليلة بقيت تقتات على أقل القليل والكثير من الذكريات, أمثال شكور بطلة الرواية, وزهرة, وابنها رفاعي الذي يغيب ويحضر للقيام برعايتها ورعاية أمه الأخرى شكور, ونرجس قبل أن تهجر القرية تحت ضغط الحاجة.

تكشف الأحداث أن الشركة تحفر بئرا جديدة محل البئر القديم, وأن المنطقة موجودة على خزان مياه معدنية, وأن الأمر ما هو إلا خدعة لابتلاع الأرض وإقامة منتجع سياحي للاستشفاء بالمياه المعدنية, وأن الشركة تخطط لشراء ما تبقى من أراض وبيوت قبل ارتفاع الأسعار بعد افتتاح المشروع, لكن بقاء شكور يشكل صمودا جعل رفاعي لا ينقطع عن المكان وصلّب أمه زهرة الصائمة على قهرها, واستقطب الضابط محي الذي انحاز إلى أهالي صافورة وفجر الرفض عند المهندس علي الذي رفض التوقيع على عدم صلاحية البئر مع برهان واكتفى بالصمت فوقع في عذاب الضمير حتى صارح شكور بالأمر, فسقطت تحت وطأة المرض

يشيع خبر مرض شكور في المنافي فيعود أهالي صافورة ومعهم الأطباء, تعود نرجس ويعود الضابط محي يحرس بيت شكور ويعود رفاعي وتنظر شكور إليه فتراه شابا حلو مثل القمر مثل الحبيب الذي أخذته الحرب ولم يعد وكأنها الحرب تعود فيخرج رفاعي ومن خلفه الناس ولكن إلى السور هذه المرة.

ذاكرة المكان

ترصد الرواية ذاكرة المكان, من خلال علاقة الناس بالبئر في بقعة صحراوية حيث أقاموا وتناسلوا وعاشوا على بَركته جيلا بعد جيل, يسكنهم سره الباتع, وقدرة ماءه على شفاء المرضى بعد أن ضاقت بهم سبل العلاج ونفد ما لديهم من مال, يأتون البئر يطلبون الرحمة ويدخلون الطقس عندما يصبح القمر بدرا في كبد السماء ينشر السلام والطمأنينة ويأخذ الموجودات إلى حال المحبة والعشق حيث يتوحد الإنسان بالمكان وأداء رسالته على الأرض.

الشخصيات في الرواية

نرجس

وتمثل الجذور الأولى التي انبثقت عنها قرية صافورة, فقد أسسها جدها َصفر الذي هام على وجهه في الصحراء حتى ساقته أقداره إلى البئر, يستقر بجواره ويقوم على حراسته ويبني بيتا عاليا, ويتزوج مكونا نواة مجتمع القرية التي أخذت اسمها من اسمه, ونرجس هي حفيدته وصديقة شكور تبقى في القرية وتشارك شكور في نول الأكلمة, تعيشان على دخله المحدود, ولكنها تلتحق بذويها وتترك النول لشكور لتعود في نهاية الرواية ومعها الطبيب لعلاج صديقة عمرها ولكن بعد فوات الأوان.

شكور

امرأة لا تعرف غير الحب وتعيش من أجله, جاءت القرية مع أبيها الذي قصد القرية لعلاج أمها, وأقام وعمل على حراسة البئر, وبنى بيته المتواضع بالقرب منه وزرع في إبنته محبة.. كبرت الطفلة وصارت صبية جميلة ذات جدائل طويلة, وطرق العشق قلبها مع شاب مثل القمر جاء القرية برفقة مريض, طلب يدها فوافق أبوها بشرط لأن يبقى في القرية, ويقوم على خدمة البئر.

تعيش شكور هانئة مع زوجها الذي علمها فنون العشق, وأسرار الحياة, لكنه يذهب إلى الحرب ولا يعود, فتغرق في الحزن, وتتكفئ على أحزانها حتى يأتيها في الرؤيا, ويخبرها أنه أرسل رفاعي يشيل عنها الهم, فتنطلق إلى بيت زهرة, وتستقبل طفلا جميلا تسميه رفاعي على غير رغبة زهرة, ويصبح رفاعي ابن شكور كما هو ابن زهرة ..

يكبر رفاعي ويقوم على خدمة البئر, ويزرع شجرة يحميها من العابثين, تكبر وتظلل البئر وتعرف بشجرة رفاعي, وترى شكور في رفاعي امتدادا لأبيها وزوجها فتعود إلى خدمة الناس والمرضى الذين يطلبون الشفاء وبركة البئر, حافظة وصية حاج طيب, جاء بيتها مرافقا لمريض " **لا تمنعي أحد يا شكور يا ابنتي,النعمة من الله وليس لنا فيها شيء, إن منعناها تزول والعياذ بالله**"

وتبقى شكور على إيمانها أن رفاعي سيكمل الرسالة, ويكون على يديه استرداد البئر. "**فليس من صان كمن ضيع, وليس من استرد كمن ضيع**"

زهرة

امرأة نكدة عاثرة الحظ, يهجرها زوجها إلى قرية أخرى, ويتزوج, فتبقى في القرية مع الحسرة والغيرة, ليس لها غير رفاعي الذي يذهب ويعود, تجذبه القرية والبئر وأمه شكور ويضيء معدن زهرة عند مرض شكور فتقوم على رعايتها في غياب أهل القرية

الضابط محي

يأتي مع الشرطة لحماية فريق الشركة وتنفيذ عملية الردم, ينحاز إلى أهالي القرية ويؤمن بصدق موقفهم وعدالة قضيتهم وحقهم في قريتهم والبئر,يقوم على حراسة بيت شكور حتى لا يبتلعه أصحاب المنتجع السياحي, وترى فيه شكور الابن الثاني بعد رفاعي, لأنه يمثل السلطة المنحازة لمصالح الشعب "ابني رفاعي مثلك يطلب الحق ويحافظ على البئر "

المهندس برهان

المناور المشارك في الخديعة, يتواطأ مع أصحاب المشروع طمعا في المال ويوقع على تلوث ماء البئر ويوسع من زمام السور لابتلاع أكبر مساحة من الأراضي, ويلجأ إلى وسائل ملتفة لشراء ما تبقى من بيوت وأراض بأثمان بخسة قبل ارتفاع الأسعار بعد افتتاح المنتجع.

المهندس علي

الضمير العلمي الحي, لا يصبر على الخداع, تجبره الحاجة على الصمت فيقع في عذاب الضمير, يخبر شكور بالأمر ويدرك أن مقاومة الظلم لا تكون بالصمت حياله, أو عدم المشاركة فيه, بل يجب مجابهته وجها لوجه.

<u>وبعد</u>

فقد قدمت نجلاء محرم رواية تعتمد على مشهدية شفافة تتناوب فيها الأدوار, وتتوهج معها الحقائق الأولى المؤسسة على الأيمان العميق بالعدل والحق وحب الحياة المُقدرة على الأرض, والتي تؤكدها الدورة الأزلية بين العتمة والضياء, من خلال حضور وغياب القمر في السماء, وتبين الرواية أن توازن العلاقة بين الإنسان والمكان يحقق العدل إذا ما حافظ الإنسان على جذوة الأيمان مهما استشرى الظلم .

*** نجلاء محرم روائية وقاصة تقيم في الزقازيق**

حضور الغياب

في رواية وأد الأحلام للكاتب محمود قنديل

في مجموعته القصصية أصداء التراتيل الصامتة 1999 يحاول محمود قنديل القبض على أسئلة التي تؤرقه على المستوى الوجودي وعلى مستوى الأدوات الفنية, وذلك باستبطان المعنوي بعيدا عن توصيف المادي, فالأمكنة والأشخاص دلالات ورموز, والحدث لحظة انكشاف الرؤية, والتوصيل لغة معجونة بوجد تأملي لما وراء المرئي والممكن عبورا إلى حالات من التجلي المؤسس على موروث تاريخي وديني للانفلات من قدرية طاغية, والوقوف في وجه التشوهات التي طالت ممكنات الحياة, وجعلت الحالة جحيما يصعب الخروج منه بدون التزود بطاقة داخلية فاعلة "**يا بني إذا أدركك فيضان نهر آسن فآوي إلى جبل ذاتك ولا تكشف عن أسرارك..**" وصية لمن لا يملك الحقيقة,ويعجز عن قدح شررها, فترهص أصواته الداخلية, تنتشله من الخوف والجزع "**..لا يحزنك امتطاء الليل صهوة النهار, فالليل فارس هزيل والنهار جواد جامح**" ما يؤكد أن اختلال الموازين طارئ, وأن ميزان العدل هو الباقي, فالحذر الحذر من غياب الذاكرة, فالركون إلى الانتظار يأخذ العمر ولا بد من التقدم والاقتحام حتى "**يخرج النهار من أحشاء الليل ,ويفجر الماء من جذوة النار**"

ولأن التاريخ امتداد وتواصل, والجغرافيا وعاء حاضن, فلا يجوز أن يموت التاريخ في بطن الجغرافيا قبل ميلاد الوليد(الحلم) حتى لا يلاقي الشاهد/الفرد مصرعه تحت عجلات الكلام وقت الهجوع .وفي روايته وأد الأحلام يعود الكاتب إلى ذات الأسئلة ,حيث تدور الأحداث والتداعيات حول اختفاء حورية الغائبة عن جغرافيا الرواية الحاضرة في التواريخ البعيدة والقريبة, يستحضرها ناجي بالإيغال في البحث عنها, فيجسدها فكرة ورؤية تحرك الأحداث وتطرح الأسئلة في بنية واقعية تعطي للشخصيات والأحداث المصداقية.

حورية لا تعود, الذي يعود الوعي الجمعي الذي يأتلف من حولها.

من هي حورية

لها من اسمها نصيب كبير, فهي رمز الطهارة والنقاء المؤسس على المحبة ,سليلة الفراعنة المنبثقة من أرض مصر/ التاريخ والحضارة /الممثلة للوعي/ تعتز بالماضي وتستشرف المستقبل وترفض فساد الحاضر لا تساوم في الحق وتقف للأعداء بالمرصاد, تتهيأ بالمعرفة

تجيد الإنجليزية والفرنسية والروسية, تتوزع حبا بين الناس على اختلاف فئاتهم ومشاربهم ومرجعياتهم الفكرية والدينية, تتفانى في خدمة أختها زينب "عاشقة الجغرافيا" التي ينهشها السرطان, ويمثل غيابها اختلالا في توازنها, وتصبح كمن يمشي على ساق واحدة, ما يعمق تأملاتها فتأخذها الرؤى والهواجس إلى عالم بديل, يعود بها إلى زمن أُحمس ويجعل منها خادمة لمعبد تل العمارنه, ثم تتوج ملكة تأمر بحرق التعاويذ, ومعاقبة السحرة وإقصاء الجبابرة,.وتهفو إلى القائد الذي يعبر الجسر مع جنود أشداء, وفي حالات الصفاء تأخذها أشواقها إلى حبيبها ناجي, فترى فيه الشاطر حسن جاء إلى هذا العصر بالخطأ, وكلما تعمقت حورية في المعرفة ووضعت يدها على الحقائق زاد إحساسها بالفجيعة والشعور بعدم القدرة على التغيير, فتختفي إلى زمن آخر تاركة معضلة اختفائها لمن حولها, فيجهدون في البحث عنها كل على طريقته, منهم من يتمسك بثوابت حورية مثل ناجي الذي يعيش على يقين العثور عليها, ومنهم من يأخذه العجز وغياب الوعي إلى اللجوء إلى الدجال

شخصية ناجي.

حبيب حورية ورفيق صباها وزميلها في الجامعة والعمل, الأمين على أفكاره, يرى فيها الحقيقة الناصعة, يعتصم بها كلما داهمته الظلمة وحاصره الشك, يبحث عنها بكل ما أوتي من قوة ووسيلة, ما يجعل من غيابها حضورا فاعلا متوهجا, فهو يستحضرها في جميع حالاتها, ويضيء أغوارها بالعودة إلى سيرتها واسترجاع ما كان بينهما, والعودة إلى هواجسه وهلوسته في مداراته, ما يزوده بمناعة ليقف في وجه الزيف ممثلا بالدجال, فعلاقتة بها أقرب إلى التماهي والحلول منها إلى الشهوات الجسدية, لذلك يكتشف ذاته خلال البحث عنها فتظل حاضرة رغم الغياب, وعندما تستغلق أمامه السبل يصاب بالإحباط الذي يأخذه إلى الصيام والعزلة, ويدخل غيابا آخر يخرج منه مع ثورة الناس على الدجال وفتح الباب أمام عودة حورية الفكرة/الرؤية.

إرهاصات الرواية

لعل السؤال الذي يطلقه الكاتب, هو لماذا تغيب الحقائق وتسرق الطموحات وتهتز الرؤى, ولعل الجواب تسلل في إشارتين أكدتا إجابة واحدة,أرهص بالأولى الشيخ عربي "**اختفت لأنكم خذلتموها**" فهي لا تساوم في الحق, وكما أخبر أحد الآباء المسيحيين صديقتها نيفين "**تهاونتم فبعدت عنكم**"

فهل كانت حورية قديسة تحمل نبوءة الخلاص, وهل ترمز إلى العدل, فيفجعها موت زينب, ويعذبها جنوح أخيها محمد إلى التطرف والدروشة والتطرف, وتؤلمها هجرة أخيها احمد خلف برق المال,

من تخلى عنها ؟

عموم الناس الذين لا يملكون أسباب المقاومة؟ أم النخب المأمول منها قيادة التغيير؟ ما جعلها تعيش الغربة وكأنها تصرخ "**طالما الحقيقة غائبة فلا عدل قادم, ولا خير مقيم, وستقعون لا محالة في براثن الدجال**"

صرخة حورية تأتي ثمارها عندما يتم الاتفاق على مقاومة الدجال.

وبعد

فالرواية تستند على حكاية تحتمل الإضافة والتأويل, لكنها حافظت على الحبكة دون الانزلاق إلى مغريات التداخل, وبعثرة الأحداث, ونفي الزمن, واللجوء إلى الأسطرة بدواعي التحديث والتجريب بتجاوز المألوف على الرغم أن لغة الكاتب ولعبة التقمص والاسترجاع تقدم مغرياتها لذلك, لكن الفكرة القابعة في عقل الكاتب عصمته من الانزلاق, فجاء السرد موظفا إلى حد كبير, إلا أن سرعة إيقاع القص, ومساحات الفصول القصيرة ضيعت على الكاتب في بعض الحالات سبر أغوار الشخصيات المرافقة, وجعل حضور بعض الشخصيات يعتمد على صدفة ما.

إن رواية وأد الأحلام امتلكت شروطها وطرحت أسئلتها في عصر تعصف به الأفكار وتتحكم القوى المتربصة بالأقدار, الأمر الذي يضع الفرد أمام إشارة

لازمة حول سبل الخروج من حصار التغريب, وغياب الوعي حتى تعود روح حوريه ولا يأخذها الغياب إلى العدم.

كله تمام يا فندم وغياب الحقائق

"قراءة في رواية "كله تمام يا فندم" للكاتب السكندري رشاد بلال"

عتبة أولى

في روايته الأولى, كله تمام يا فندم, يتعرض الكاتب السكندري رشاد بلال, لمرحلة الستينات من القرن المنصرم, في محاولة منه لتقييم ثورة يوليو, فكرا وممارسة, منذ قيام الثورة وحتى نكسة حزيران1967, وذلك من خلال سيرة بطل الرواية الشاب الحقوقي جلال عبد الفتاح عبد الله, وما يلاقيه من مكابدات ونجاحات وإخفاقات, كمواطن يؤدي ما عليه, ولا يحصد غير الخيبة, ووأد الأحلام والآمال, الأمر الذي يأخذه إلى التخبط وفقدان البوصلة والبحث عن وعي جديد, يقوم على معطيات حقيقية تخضع للقياس بعيدا عن بنفسج الأوهام والأحلام..

وفي روايته, قد يختلف رشاد بلال عن الذين تعرضوا لهذا الموضوع, من موقع كونهم معارضين فكريا أو حزبيا لنهج الثورة, فبطل الرواية, شاب من الجيل الذي تربى وتفتح وعيه على الالتزام بالثورة, وآمن بمبادئها المعلنة, واتخذ من أبطالها نماذج للكمال والبطولة, وانحاز إلى الزعيم مثلا أعلى اقترب من دائرة المقدس, فتبلورت عاطفته على رفض كل ما يمس بقدسية الثورة أو يشكك فيها, فلم يعر التفاتا للمنتقدين ومتصيدي الأخطاء, ويعتبر أن هذه الأخطاء إن وجدت, فهي محض تجاوزات فرديه لا تمت لجوهر النظام بصلة, وأن النظام لها بالمرصاد, وان الزعيم الساهر على مصلحة الوطن, لا يرضى بأي حال من الأحوال أن تنحرف الثورة عن أهدافها, وعلى هذا تشكلت عاطفته نحو الثورة ورجالاتها باعتبارهم المثل الأعلى, الذي يجب الدفاع عنه, والوقوف بالمرصاد في وجه لانتقادات التي يثيرها البعض, حول سلبيات الأداء, وتخبط وتقلب المواقف السياسية للقيادة الرشيدة..

الخروج من بنفسج الحلم

بطل الرواية الشاب الفقير سليل أسرة ريفية من الدلتا, نشأ على المودة والاحترام, وتحمل المسئولية الجماعية في عائلته الصغيرة, يخطط لحياته بشكل دقيق ومنظم وواثق, ليتمكن من النهوض بمسئولياته اتجاه تعليم أخاه الأصغر, والإنفاق على أمه وأبيه, بعد أن داهم أباه التقاعد

وخرج بمكافأة أُنفقت قبل أن يكمل تعليمه, ما أجبر أمه على بيع قطعة أرض ورثتها عن أبيها للإنفاق على الأسرة, وكذلك تحقيق حلمه بالارتباط بزميلة الدراسة لبنى التي توافقت معه عاطفيا, لذلك يبذل قصارى جهده للتفوق في دراسة الحقوق للالتحاق بسلك النيابة التي تحقق أمانيه دخلا ومركزاً, يمكنه من التقدم لتحقيق حلم الأحلام بالارتباط بحبيبته لبنى شعبان..

هذا الشاب العاشق الموهوب, المسلح بالعزيمة والبراءة والحلم, والمثقف المحب للأدب, والمتابع للصحافة والبرامج الإذاعية, يتزود بكافة ألوان المعرفة, يؤجل هوايته في الكتابة الأدبية إلى ما بعد التخرج والعمل, ينشغل بمتابعة التطورات على أرض مصر, ويحاول تفسير تصرفات القيادة السياسية تفسيراً إيجابيا, لثقته التي لا تتزعزع في الثورة, التي قامت من أجله, وكل الفقراء والمظلومين, وقضت على فساد العهد الملكي, من أجل تحديث مصر, وتحقيق الوحدة العربية الشاملة, وتكريس العالم العربي قوة جبارة على المستوى العالمي.., وعندما تعجزه الحجة أمام بعض الأخطاء والتجاوزات, يرجعها إلى أخطاء فردية لا يرضى عنها بأي حال من الأحوال رجال الثورة ولا الزعيم المنزه عن الخطأ..

يعيش بطل الرواية بسلام متصالحا مع نفسه والآخرين, مطمئنا إلى الوصول, ويتخرج بتقدير جيد مرتفع, يرشح للنيابة الإدارية, ويجتاز المقابلات والدورة التدريبية بنجاح, وتصبح فرصته مضمونة لتقدمه عن أقرانه من حيث معدل الدرجات, والوعي والكفاءة, ويعتبر توزيعه من قبل القوى العاملة للعمل في احد مراكز الشرطة في الإسكندرية, مرحلة مؤقتة, لحين صدور القرار الرئاسي بإلحاقه بالنيابة الإدارية حيث موقعه الطبيعي..

وفي وظيفته المؤقتة, يسند إليه وظيفة استقبال طلبات ترخيص السلاح لمن يريد من المواطنين, ويعيش واقعا آخر تتبدى له معاناة لم يكن يتوقعها, ويعمل مع نماذج متباينة في توجهاتها ونظرتها للحياة, ويستمع لوجهات نظر مختلفة تثير لديه الأسئلة من جديد, لكنها لا تزحزحه عن قناعاته..

يصدر المرسوم الجمهوري, ولا يجد نفسه بين المرشحين, ويدرك أن كل من فاز بالوظيفة كان مدعوما بواسطة, وهو الذي عاش على ثقة بأن مؤهلاته هي جواز مروره للوظيفة بلا منافس.. تأخذه الزلزلة, ولأنه المتمسك بحقه والمؤمن بالثورة لا يستكين, ويطرق جميع الأبواب, لا يتوقف عن إرسال الشكاوى إلى مكتب الزعيم ومكتب المشير, طلبا للإنصاف, وتلافيا لخطأ ما ارتكب بحقه.. ولكنه يفاجأ بالتلويح له من قبل العسكر, بالتهديد والتعذيب واعتباره من أعداء الثورة, أو إيداعه مستشفى المجانين.. لأنه يطلب المستحيل بتعديل المرسوم الجمهوري, وما عليه غير الرضوخ لقدره!!

بلاغة البراءة وأسئلة الانكسار

تقوم الرواية, وعلى امتداد 460 صفحة من القطع المتوسط, على بنية سردية, غاية في البساطة والسلاسة والوضوح, ترصد الواقع الذي يعيشه الراوي بطل الرواية, بعرضه لسيرته الذاتية, وتقديم اعترافات شخصية حول الكثير من الأحداث والقضايا, ولكن اللافت هنا أن الراوي العليم, لا يكون محايدا, وإنما شريكا متأثرا بما يدور من حوله, وعارضا لأرقه بإشارات وتساؤلات, أو بوح رومانسي شفاف لعلاقة حب بريئة ونظيفة, تعكس فضاءً نفسيا يتسم بالبراءة, مع عمق التجربة ورهافة الإحساس, ولغة رائقة تتدفق بحرارة تفاعل الراوي عند الوصف, أو التعبير عن الأشواق والأماني والطموحات, عامرة بالحب لكل ما يحيط به من موجودات, فهو المناضل بصمت, وبأدوات مشروعة ينتظر ثمرة جهده, للإقلاع نحو تحقيق آماله المتواضعة في حياة كريمة.. لذلك يكون الانكسار مفاجئا ومؤلما ومذهلا أمام النتائج, ما يجعل الشاب يفتح عينيه مشدوها للنفاذ إلى ما تحت السطح, فتأخذه ارتجاجات الواقع إلى حافة التخبط والانهيار, الذي يطال حتى قيمه الأخلاقية التي تربى عليها, يتجلى في علاقات مفاجئة مع بنات الجيران, واندفاع لإشباع غرائزه معهن, مع يقينه أنهن لسن البديل عن حبيبته, التي خذلها الواقع معه..

فهل تطلق الرواية أسئلة تتناسل عن إجاباتٍ الفجيعة, التي تُوجت بنكسة, حزيران والتي كان أول ضحاياها فقراء وبسطاء الناس, التي قامت الثورة من أجلهم..؟؟

وهل انطلت الخديعة على جيل الثورة, ليصحو على واقع مغاير أشد مرارة؟!!

وهل أطلق المؤلف من خلال الراوي, أسئلة الانكسار وانهيار الأحلام البريئة, بموازاة انكسار الأحلام الكبرى في مصر الحضارة والرقي والتقدم والحرية وكرامة الإنسان رافعا رأسه شامخا, بعد أن ولى عهد الاستبداد كما يقول الشعار؟!!

وهل هي صرخة جيل الثورة الذي تربى على معاني شعاراتها وانحاز إليها, وصحا فجأة ينادي بإعادة ترتيب الواقع, وتخليصه من شوائب الخداع, وتزييف الحقائق والتمويه على الزعيم بأن كل شيء يسير في الطريق المرسوم, وأن الطريق إلى المستقبل معبد لا يعيقه عائق؟؟

أم الأسئلة تتعدى ذلك إلى إعادة النظر في الثورة من حيث النشأة, كتنظيم عسكري زاخر بالحماس خاصة بعد كارثة فلسطين وهزيمة الجيوش العربي.

ومن حيث الفكر الذي كان متنوعاً في المشارب والاتجاهات على مستوى القيادة, وفقيرا عند غالبية العسكر.

وعلى مستوى الطموحات, التي كانت أكبر مع معطيات الواقع, في موضوع الوحدة العربية, وعدم الانحياز, وتصدير الثورة إلى الذي أوقع القيادة في نرجسية زائدة كلفت مصر أعز أبنائها..

ومن حيث الممارسة الداخلية, حيث نقلت مقاليد الأمور في جميع مناحي الحياة إلى العسكر, ولم تستفد من خبرات الكفاءات التي رافقت عمل المؤسسات العامة وفق تقاليدها الصحيحة, ووجهت البني الاقتصادية والاجتماعية بخبرات مستمدة من مفاعيل الوقع المتاح, مما جعل العسكر يتعاملون مع الوطن كإقطاعيتهم الخاصة, الأمر الذي أخذ الأمور إلى كارثة النكسة, التي هي في واقع الحال هزيمة للثورة والنظام على كافة الأصعدة!!

تلك الأسئلة السياسية والفكرية التي تطرحها الرواية, متسللة إلى القارئ من خلال لعبة سردية تتسم بالبساطة والسهولة المتناهية والتشويق المبرر, محمولة على لغة سليمة حالمة, تأخذ جفاف الواقعي إلى رومانسية شفافة, قد تبدو محايدة في حالات الوصف والرصد, ولكنها تأخذ القارئ إلى اللهاث, رغم إدراكه الضمني بالنهايات, وذلك من خلال تفاصيل قد تبدو للبعض تراكمات ومكررات غير مبررة فنيا, ولكنها تجيب على أسئلة غير مباشرة حول بشاعة الواقع المعاش, وهي ضرورية للخروج من غيبوبة الحلم والصدام المباشر مع كوابيس الحياة..

فضاءات إنسانية رحبة

ترصد الرواية جوانب من الحياة في الأحياء السكندرية الفقيرة, حيث يتجاور صغار الموظفين والعمال والصنايعية, الذين وفدوا إلى المدينة من مختلف المناطق سعيا وراء أرزاقهم, وتعايشوا مع دخلهم القليل, وشكلوا نسيجا اجتماعيا متواضع الطموحات, يعززه إيمان عميق وقدرية عالية, تظهر في انتصاراتهم وانكساراتهم, ومظاهر التواد والتراحم بينهم, بصورة أكثر نقاءً وصدقا منها في البيئات المتوسطة والراقية من المجتمع, يبدو ذلك من الوصف الشفاف والصادق والمستفيض لجيران العمارة, والشارع والحي وزملاء الدراسة والعمل, بالتفاعل مع قضاياهم وهمومهم, والذي قد يبدو للبعض تزيدا غير مبرر, ولكنه في حقيقة الأمر تأسيسا لما سيأتي من أحداث وتطورات, مثل لجوء أهالي الحي إلى فض المنازعات دون تدخل الشرطة, ومساعدة بطل القصة في فض النزاعات والتوسط لإخراجهم من الحجز في القسم.. وكذا في التغير الذي طرأ على سلوكه مع بنات الجيران, في محاولة لنسيان حبيبته الذي أصبح من

الصعب إكمال مشواره معها.. هذا الرصد يحمل في طياته قدرا من الحب في نفس البطل للناس والحياة..

جغرافيا زمكانية

يظهر الكاتب قدرة ودقة في وصف البيئة التي تدور فيها أحداث الرواية, ولا يتوقف الوصف عن الرصد الظاهري للشوارع والأماكن العامة والمرافق ومراكز العمل, وحتى المحال التجارية والورش, والمباني ومراكز العمل, بل يتعداه إلى الحديث عن نشأتها وتغير أدوارها أسمائها عبر العهود الماضية, وما كانت عليه, وما آلت إليه, وكأنه يسجل تاريخا موازيا لجغرافيا مدينة الإسكندرية..ما يعمق الإحساس والارتباط بهذه الأماكن, من خلال طرح أفكاره ورؤاه وإسقاطها على فضاء النص..

أما على المستوى الزمني للقص, فهو محصور في سنوات الستينات الأولى, وينتهي عند نكسة حزيران في العام 1967, ولكن التداعيات والذكريات تعود إلى أزمنة سابقة تمتد إلى ما قبل الثورة, وأحداث ما بعد الثورة مثل إلغاء الأحزاب, وإعدام سيد قطب وفشل الوحدة بين مصر وسوريا, إضافة لأحداث وقعت في زمن القص, مثل أحداث قرية كمشيش, وقتل الشاب الذي انتصر لكرامة أمه, وتزييف الإعلام للحقائق لإخفاء الجرائم دون النظر لما يلحق الناس من حيف وغبن وظلم.. والإشارة الذكية إلى هتاف الجماهير خلف جثمان النحاس باشا باعتباره مازال في الوجدان الجماهيري زعيما للأمة, خاصة عند الأجيال المخضرمة بين العهد الملكي, حيث تعدد الأحزاب والآراء, وعهد الثورة حيث سلطة الحزب الواحد والرأي الواحد.. ما يعيد للأذهان العديد من الأسئلة حول انجازات الثورة, والمقارنة بين ما كان, وما هو حاصل على كافة المستويات, الأمر الذي يزيح الرواية إلى رؤية سياسية بعيداً عن الصراخ, وتصدير الخطابات الزاعقة, ويجذبها نحو إعمال الفكر لتخليص الوعي من الشوائب التي علقت به, وكأنها الدعوة للجيل الذي آمن بالثورة وزعيمها طريقا للرقي والتقدم بمصر, حتى تأخذ دورها التاريخي في المنجز البشري الكوني, إلى إعمال العقل عند محاكمة انجازات وإخفاقاتها لتشخيص مواضع الخلل.. ما يجعل الرواية إحالة سياسية في المقام الأول, واضحة المعالم ودقيقة المرامي, وسهلة المغازي سهولة السرد العفوي البريء الذي يصبغ بنيها الروائية!!

اللشخصيات في الرواية

تقوم الرواية على شخصية الأنا الراوي, وتستبطن أبعاد شخصيته من خلال موقعه الطبقي, مع الإشارة إلى إيمانه الفطري, المستمد من قيم البيئات الشعبية الفقيرة, مما جعله أقرب إلى المحافظة المتوازنة البعيدة عن التجاوز أو الجنوح, لذا نراه عفيفا طاهرا يرى في العلاقة مع المرأة علاقة تكامل وجداني تسمو إلى حالة الوجد, الأقرب إلى التوحد بعيدا عن شهوات الجسد, لشعوره بالامتلاء العاطفي والعقلي مع المرأة التي يحب, ونراه عندما تعصف به الظروف يصاب بالإحباط, يفقد الرشد, ويدخل في علاقات بديلة مع جارته فادية التي ترى فيه فتى أحلامها, وسوسن المطلقة التي تأخذه إلى ممارسة الجنس معها, وفي كلتا المغامرتين تكون النساء هن المبادرات إلى العلاقة, أما هو, فيتراوح أمام التزاماته الأخلاقية والدينية والتربوية, ما يعزز قناعته, أن مثل هذه المغامرات لن تكون بديلا عن المرأة الأولى في حياته..

أما الشخصيات الأخرى, فتظهر وتختفي حسب أدوارها المرسومة لها سلفا, ما جعل تطورها محدودا على الرغم من وجود نماذج بشرية تغري بتطويرها, وزجها في الصراع داخل فضاء الرواية مثل شخصية لبنى شعبان, التي بقيت ظلا لأفكار البطل, وكان الأجدر تطويرها وإخراجها من بعدها الرمزي المعنوي, إلى إنسانة تمارس هواجسها وأشواقها وأحلامها ومشاكلها في بيئتها الريفية شبه المغلقة

وشخصية الأستاذ ميمي, الخطاط الشاذ جنسيا, والذي يمثل حالة خاصة يمكن الإسقاط عليها..

ومدام نورا, صاحبة محل الزهور, التي تقيم بعلاقاتها مع موظفي وضباط قسم الشرطة حيث يعمل الراوي..

فلو تم تفعيل مثل هذه الشخصيات لزاد التوتر والاشتباك على مساحة الرواية..

وبعد

نحن إزاء رواية مدهشة في بساطتها وعفويتها وسلاستها ولغتها الرائقة العذبة, التي قفزت عن جفاف التقرير الوصفي المحايد في الرواية الواقعية التسجيلية, القائمة على الاعترافات, فالراوي الأنا هنا شريك متفاعل تأتي مكابداته وانتصاراته وهزائمه أصداء ونتائج لما يدور في المجتمع من حوله..

والرواية على المستوى التقني, تطرح أسئلة الرواية التقليدية المحمولة على معالجة رومانسية من جديد, فهل يقدم التجديد بنية تستفيد من كافة تقنيات القص, بما يخدم المعمار الروائي مـــن جهة, ويصب في مرامي الرؤية الفكرية لكاتب العمل من جهة ثانية, بتقديم كيانا سرديا يحمل عناصر نجاحه دون تزيد أو إقحام؟؟

وفي تقديري أن ما توفر للروائي الواعد رشاد بلال, من خبرة بفن الرواية وامتلاك للمعرفـــة, جعلته يجتاز هنات وقصور البدايات في روايته الأولى, التي أمتعت وأدهشت وأخذت المتلقي إلى منطقة الأرق ما جعله شريكا في طرح الأسئلة..

وعليه فإن رواية كله تمام يا فندم قدمت أوراق اعتماد روائي ننتظر منه الكثير؟!

*** رشاد بلال قاص وروائي مصري يقيم في الإسكندرية**

*** كله تمام يافندم منشورات دار الهدى للمطبوعات-الإسكندرية 2008**

تخرج من ثوب جدتها لتتأمله

قراءة في رواية المشهرات لمنى سالم

تقدم الكاتبة منى سالم في رواية المشهرات حكاية مراوغة، تأخذ القارئ إلى الحيرة، وتفتح أمامه أبواب الأسئلة حول الموروث والعادة، وحول الرواية والحكاية الشفوية، والمحكي والمكتوب ومكان الفن بينهما.

في الرواية تظهر الكاتبة حكاءة مميزة وذكية، تتقمص أرواح بعيدة وتلّون حكايتها بأصوات متعددة، من خلال سرد سريع لاهث، ومقتضب في معظم الأحيان، فتأتي الأشياء طازجة بكراً خارجة للتو من أزمنة سبقت التاريخ، عندما كانت الحكايات مجموعة من الطقوس تلبي رغبات الإفراد وتشكل أنماط حياتهم الأولى, مما شكل في مراحل لاحقة جبلة عجيبة من الغيبي والواقعي، من الملموس والمحسوس وغير المدرك, هذه الجبلة احتلت دائرة المقدس في وجدان الإنسان قبل ظهور الديانات والفلسفات اللاحقة.

من خلال جبلة الموروث هذه تأخذنا الرواية إلى صعيد مصر، مع مشوار **أبي القاسم** الذي أنجب من زوجته السودانية ابنته **عائشة** وأتى بها إلى مصر حتى لا تعيش غريبة بيضاء يضطهدها السود.

عائشة صارت عروساً وأنجبت سعادة, التي أصبحت أم بطلة الرواية أو أحد جداتها, تتقمص دور أم الزوجة تارة ودور أم زوجها تارة أخرى أو دور القريبات والصديقات في بعض الحالات لرعاية ومرافقة ابن الحكاية الذي سيكون عصب الرواية، منذ ليلة عرس أمه ثم تشكله نطفة في رحمها، إلى الميلاد والفطام والطهور والحبو والمشي ثم صبياً ورجلاً. ذلك من خلال استعراض سلسلة من الطقوس الغيبية, واللجوء إلى الوصفات الشعبية التي تنجح فيها الطبابة والعلاج, فيظهر الإنسان المصري قدريا على درجة عالية من الإيمان بالقوى الغيبية, لدرجة يختلط عندها الديني مع الغيبي الوثني، الذي يسرب الكثير من الشعوذات التي لها سطوتها في غياب الوعي وعدم القدرة مع التعامل مع معطيات العلم.

الحكاية في الرواية تنداح بخصوصية حالمة راغبة في الحياة، ولكنها مستسلمة لأقدارها من خلال تفاعلها(دون أن تدري) بالأهازيج والأغاني والأمثال والروائح المنبعثة في الفضاء, ولكنها في نهاية الأمر تصحو وتطلق صرختها أن "**لابد من عملية جراحية عاجلة لكشط طبقة الدهون التي تضيق مجال الرؤية في عين ابنها**" مما جعل مدى الرؤية قصيراً. وربما سؤال

الفجيعة غير المعلن هنا, كيف للابن الذي يتعامل مع الكمبيوتر والانترنت ويستقبل العالم على الفضائيات أن يُؤطر في حدود ما توارث من حكايات, فلا بد من توسيع مجال الرؤية لتصبح الحياة أكثر وضوحاً وتنوعاً وجمالاً, فهل في صرخة الكاتبة ما يطرح الأسئلة من جديد؟

وإلى أي مدى يشكل الموروث متكئاً فاعلاً في الحياة؟

والى أي حد تشكل الحدوتة معماراً فنياً عصرياً.

وهل تشكل مجموعة العادات والطقوس بانوراما تطرح الأسئلة الوجودية لإنسان هذا العصر؟.

أسئلة في تقديري لم تلح بشكل ظاهر على الكاتبة, ولكنها مختزنة قلقاً داخلياً ربما غير واضح الأبعاد, وربما تحوصلت في سؤال أخذ شكل الأرق الدائم وهو"كيف لها الخروج من ثوب جدتها الساكنة فيها" لتجيد التعامل مع ما تقدمه الحياة لكسر حاجز الغربة بينها وبين أولادها, وقد أصبح الكمبيوتر والفضائيات فاعلاً أساسياً في تشكيل وعيهم وتنمية قدراتهم, وهي تدرك أن قطار الحياة قد غادر المحطات الأولى منذ زمن طويل، وأنه قطع من المسافات ما ترك كثيرا من المواريث عند نقطة ساكنة في محطة بعيدة جداً. لا تسمع صافرة قطار العصر ما جعل الكاتبة ترهف السمع لقطار الحياة، وتأخذ ابنها إلى طبيب العيون يزيل الغشاوة عن عينيه, وهو في واقع الأمر إنما يزيل غشاوة الموروث عن عينيها هي.

أما قبل،،

تحية للكاتبة منى سالم الذي أخذت من معين جدتها حلو الحديث, وعشق الخير والرغبة في الحياة، واحترام الزوج ومحبه البيت، وتحية لها لأنها خلعت عنها ثوب جدتها لتتأمله من جديد, وان كنت أتمنى لو استثمرت مشوار أبو القاسم والمضي معه إلى مفاصل أبعد, ربما أعطت الرواية دفعاً درامياً فاعلا.

*** منى سالم كاتبة وروائية تقيم في الإسكندرية**

الكتاب الثاني

قراءات في القصة القصيرة المصرية

مجموعة أغنية للبحروفنارالأخوين	للقاصة فوزيه مهران
مجموعة امرأة لا أحب أن ألقاها	للقاصة حنان سعيد
مجموعة الزلنطجي	للقاص سمير الفيل
مجموعة غرفة وحيدة	للقاص مصطفى نصر
مجموعة مرج الكحل	للقاص منير العتيبه
مجموعة من خرم إبرة	للقاصة منى الشيمي
مجموعة بيت العانس	للقاصة سحر توفيق
مجموعة احرج	للقاصة ناديه كيلاني
مجموعة فراشة الطين	للقاص عبد العاطي فليفل
مجموعة تدحرج الصور	للقاص الشربيني المهندس
مجموعة فاطمه وبلانش	للقاص محسن الغمري
مجموعة شظايا	للقاصة آمال الشاذلي
مجموعة روائح الزمن الجميل	للقاصة منى عارف
مجموعة ليس للجنة فرع آخر	للقاص محمد عبد العظيم
مجموعة عيون	للقاص أبو نصير عثمان
مجموعة وخز الأماني	للقاص محمد عطيه محمود
مجموعة حدود ضيقة	للقاص يحى سليم فضل
مجموعة زمن بعث المراثي	للقاص محمد عبد الوارث
مجموعة أبجدية الدم	للقاصة تهاني عمر مرسي

فوزية مهران امرأة تقترف الوجد

لمعت الأديبة والصحيفة فوزية مهران، مع جيل أسس المشهد الثقافي والأدبي في مرحلة الطموحات والأحلام الكبرى بعد ثورة يوليو المجيدة، وعكس أثره على وعي ووجدان الأجيال اللاحقة في مصر والعالم العربي.

وفوزية مهران كاتبة فياضة تهرب من تشابكات الحياة إلى القصة القصيرة، تمارس معها ومن خلالها البوح، وتجد في فضاءاتها ما يخفف عناء الأيام، وما يستشرف آفاق الغد المحفوف بالخطر المتربص في عتمة الزوايا, فتكون القصة بيت الملاذ لإشباع الرغبات والأشواق في عالم أبهى, تعتصر فيه الذاتي غير المنفصل عن الجمعي فتحلق هائمة معذبة بين مصارعات الرأي وبياض الرؤيا.

ولأن الروح في عالمها الأثيري تتخفف من نزوات وشهوات الأرض، وتعيش حالة خلود سرمدية تجد مفرداتها في البوح. فالنفوس الكبيرة تنطوي على مساحات بيضاء شاسعة، يأتيها الكشف وميضاً يضيء ويختفي تاركاً ظل مكانه في العتمة. ما يشكل التباس يشير إلى تلبس عن سبق إصرار للاقتراف الجميل، اقتراف النشوة والوجد على جناح تجليات الروح القابضة على روح الحالة الساكنة في برزخ الحقائق الأولى، والذي يأتي بين الفجر والعتمة وبين الضحك والعبوس، ويتآلف في الغياب حضوراً لم يشهده الحضور من قبل، ويقدم دهشة من نوع خاص تجعل من الذكرى لذة، ومن الألم نشوة، ومن استحضار الوليف الحبيب حالة خلود..

في **قصة قاموس البحر**, يقبض القارئ على مفاتيح فوزية مهران، ويتعرف على شفرات نصوصها الهامسة العذبة التي تأخذه من حالته الأرضية المرجومة بالعذاب لدرجة الاغتيال إلى منطقة شفافة، تمضي به إلى ما بعد المحبة حيث تتآخى الأرواح وتأتلف بعيداً عن الشهوات الزائلة، تنشد الراحة في فضاءات من تحب، وتسبق الموت للاستمرار إلى ما بعد الحياة، وذلك من خلال الحلول في الحكاية الباقية بعد التحلل الفيزيائي للأجساد، حيث تحضر الروح وتمضي إلى مرافئ الوصول, تقول: " **حياتنا تحددها حركة سفينة الإبحار والعودة..**"

والحكاية هنا قاطرة سفر، واستراحة لقاء لكاتبة مأخوذة بالشعر والأدب تتقمصها كائناتها على أوراقها البيضاء، فتغدو امرأة تختال بهاء بعد أن أودعها العاشق بذرة أسراره, والعاشق ربان سفينة تمخر عباب الماء إلى الفنارات المنسية/ الحاضرة لإرشاد سفن الماء حتى لا تقع في شرك الارتطام، والربان يعيش في دائرة الخطر/ قدر, ويعيش المصالحة مع ذاته حتى يليق

بمن تنتظره على اليابسة تحلم بالحكاية " **يجعلني اشعر بهبوب الريح..أشم رائحة البحر..والج غموض الضباب** " فعلى أي فراش تنام تلك العاشقة وعلى أي الوسائد تريح رأسها المأخوذ بسحر الحديث، وقنديل صدرها يرضع من زيت قلب الوليف, يأخذها إلى جوانيته، يا له من تعبير يلخص قاموس البحر، الذي يمكّن المرأة فوزية من الذهاب إلى " **أعمق مكان فيه مياهه الجوفية العميق** " فتصبح أمه نور أمها، ويصير هو حبيبها/ أخوها/ زوجها، هكذا حلول الأرواح التي تقفز عن ثنائية الأجساد وتعددها على الأرض إلى وحدة الائتلاف بعد الرحيل..وذلك ما يأخذ العاشقة إلى بوابات البوح مع رجل فتعيش الامتلاء نزوتها الوحيدة وشبقها الأثير.

وفي **قصة بحر** تستدعي الكاتبة/ الراوية لحظات ما قبل الذهاب إلى النهاية، لا تدرك أنها تمارس الوداع، أي مفارقة أن يدخل الإنسان مدار الكشف فيصبح العمر فعلاً ماضياً يعدو بسرعة للخلف مؤكداً حقيقة الخسران على الأرض " **قولي يا حبيبتي لماذا نكتشف أشياء رائعة قرب النهاية** " بوح على جناح حكمة, وتجليات العاشقة في حضرة ربانها الذي رحل تاركاً لها البحر على مداه يتماهى مع اليابس، من خلال لغة الانتماء يتحول عشق البحر لديه إلى أمنية امتلاك قطعة ارض في قريته سنديس تعمرها الخضرة, هل هي لحظة الكشف عندما تنشد الروح العودة إلى الأرض التي خرج منها الجسد واليها يعود، لتنطلق من جديد؟ هل هو الخلود؟ أم هو الشوق الذي يأتي المريد قبل النهايات فتعمر روحه لذة اكتشاف الأزل.. المرأة تأخذها الحيرة كما يأخذها السؤال:

" **هل ينال البحار ما ينال المركب من عطب، وهل يسبح البحار إذا تقاعدت سفينة عن ركوب الماء؟ تدرك المرأة وتردد أن في النسمات برد مشبع بعطور الدنيا كلها..رائحة لا يمكن نسيانها تبقى معك مدى الحياة** "

لكنها الحقائق تعيد ترتيب فراشها ووسائدها، وحيدة إلا منه الساكن فيها والذاهب بها إلى شرفة تمتلكها هي فقط، تستعيده في حياة ما بعد الحياة، تستشرف من بعيد " **وعلى الأفق بحر لجي وموج تملؤه سفينة** "

وفي **قصة فنار الأخوين,** تقطع السفينة الوقت بين الصخور والشعب المرجانية، إلى المنارات المنسبة في صحراء الماء التي ترشد ركاب البحر تقيهم من شرور الهلاك, وعلى ظهر السفينة القائد الأول "الربان الحبيب" وصديقة القائد الثاني "نائبه" صديقان دراسة وعمل، متكافئان، متكاملان، القدر جعل أحدهما الأول والآخر الثاني، تربط بينهما وشيجة البحر، لكن شهوات المشاغبة تشتعل في صدر الثاني، هي الغيرة فمن حقه أن يترقى أيضاً، لكن وجود صديقه في الموقع الأول يحول دون ذلك, كيف يكون الأمر وكل منهما مشدود للآخر بحبل سري رغم استقلال شخصيته، ولكنها الأرواح تبحث عن سكنها وتدرك جوانيتها فتدرك

الصفاء والبياض، لذلك نجد الربان في لحظة كالقدر يدفع صديقه إلى البر بعيداً عن غائلة سمكه مكهربة قاتلة، ما جعل الثاني يعيد النظر في امتيازات الدنيا. وعندما تحدث خيانة بوضع قضيب حديد في بوصلة السفينة يوقفها عن العمل فتفقد السفينة الاتجاه وتتعرض ومن عليها للهلاك، يعلو الهمس " **نعرف من وضع القضيب..لم تعد المنافسة خافية على أحد** " ولأن الثقة هي المعيار الذي تقوم عليه وشائج الروح فان الربان يسند أمر التحقيق في الحادثة إلى نائبه وصديقه، رافضاً أن تلوث المساحات البيضاء شهوات زائلة.

وفي **قصة كتاب البحر** تظهر الكاتبة عروس تستمتع بشهر العسل على ظهر السفينة مع عاشقها الربان الذي يصدر امراً بعدم اصطحاب الكتب في الرحلة، لأن كتاب البحر سيفتح صفحاته على الأسرار، فالبحر كتاب، والرجل بحر، والمرأة عروس تتيه فرحاً " **أخشى على نفسي من السعادة..خفت عليّ من المسرة..كيف أتبع قلبي..**" وعندما تتبع قلبها يحضرها زملاء العمل وتكتشف أن من الرجال ما يمكن اعتباره كتاب البحر، مثل ذلك الفنان الذي انتزعوه عن لوحته ومضوا به إلى المعتقل، فكان ملاذ المعتقلين يغمرهم بفيضه فيما الآخرون في المكاتب الوثيرة يلهثون وراء الرايات والمناصب..لحظات شجن تحضر في غير موعدها. الذكريات تقودك إلى الوعي الحزين.

عروس البحر، رفيقة الربان، تحاول الاندماج في دورها زوجة للربان, وها هو يذكرها, **الآن يا سيدتي حان وقت الغداء**، يهمس في أذنها عند باب القاعة " **أنت زوجة القائد، العيون تتبعك قد تلتقي ببعض الأصدقاء** "

تحدث المفاجئة غير المقدرة..الزملاء وقد خرجوا من السجن، طارت إلى كتاب البحر الجالس بينهم شيء يتردد في عقلها، يدق بوابات الدماغ "**أخذوهم ضحية لذنوبنا..لصمتنا..كانوا يدافعون عنا وعن الحياة** " لم تأبه لغضب الربان وغيرته، توقعت أن شجاراً أو فراقاً أو حتى اعتقال، لكنه البحر رجلها يسبقها إليهم, يشد على أياديهم ويدعوهم إلى مائدته " **وعندما اقترب مني أشار بانحناءة رشيقة أن أتقدمه وأزاح بابتسامته ما أصابني من غضب** "

ما لم تقله فوزية جهراً باحت به بين السطور " أن روحه الساكنة في صدرها استجابت لمساحة صدق المشاعر الإنسانية النقية, فالربان يملك سجايا البحر " ولأنه البحر الرجل نجد فوزية مهران في **قصة أين انتهينا** تبدأ رقصة الصباح المقدسة والحوار الشهي في ركن قصي من العالم بين الكاتبة والربان تنصت إلى أسلوبه الخاص في القص, فهو يملك قاموس البحر"المعرفة" فيما هي تملك الفن قصيدة وقصة قصيرة، ينمو إحساس يعلو عن الحب والصداقة..قال لها يوماً: " **في الصمت الأمان، والأمان في الالتحام والقدرة على المواجهة** " ولكن ما يكسر الحالة الهروب من المواجهة الذي يفجره استشهاد جارهم الطيار، ويفتح السؤال الكبير والجرح العميق حول هموم أرملة الشهيد، أصبح الربان يفكر بالأرملة فيحرك في قلب

الكاتبة العاشقة عوامل الغيرة..هل وقفت الأرملة بينهما فغابت المكاشفة والمصارحة، وصارت الجلسات باردة باهتة، وتذهب العاشقة بعيداً مع هواجسها فيما الربان صامت يتأمل، وكأنه ينتظر لحظة مخاض, وعند بدء النزف سألها فيما تكتب.

- إلى أين انتهيتِ؟

تذهلها المفاجأة يواصل:

- لماذا لا نفكر في أمر النهاية معاً، لا أظن انك تعانين من مشكلة الصدق الفني والصدق الواقعي.

يخرج عليها من بطن غيمة بيضاء لأنه يهمس:" **في العمق الأمان يعجبني تصوره..نهاية القصة وكانت كلماته فرحاً طاغياً بالنسبة لي** "

***

وفي قصة الفنار ترافق القبطان إلى فنار معزول، تستكشف الحياة في صحراء الماء، لا حياة إلا الليل والنهار وصيد الأسماك وثلاثة رجال، وصمت طويل يضع الإنسان أمام ذاته وخالقه، فالمكان قصي منفي، ووظيفته الحفاظ على حياة ركاب السفن من الغرق والذهاب إلى الموت.قائد الفنار أب لشهيد يهرب من المدينة والأحزان والذكريات, يرافقه الشاب صديق الفقيد ليقوم على خدمته وفاء منه لصديقه لاسيما انه يعاني البطالة منذ وقت طويل، أما الثالث فقد لاذ بالفنار بعد قصة حب فاشلة. في تلك الزيارة يفاجئ قائد الفنار الربان بطلب غريب:

- ستأخذ ابني معك في المرة القادمة.

ابنه صديق الشهيد قد صنع غرفة نوم لعروسه, ورسم الكثير من اللوحات أجملها صورة الشهيد, تأملها الرجل وقال:

- الحب لا ينقطع بالموت.

ولكنه أراد أن يقول: يا سيدتي الكاتبة أن الحب لا ينقطع إذا ابتعدنا عن عالم الأحياء، والمرأة التي رافقت الربان إلى الفنار يزهر في صدرها حب مفاجئ تسال الربان:

- هل تصلح امرأة للعمل في الفنار

الربان سكن سفينة قلبها، ووجه دفتها، لكن الأيام أخذته قبل أن يعود بالشاب من فناره البعيد ليترك لها السؤال ينبض كلما هجعت الذكرى وذهبت إلى النسيان, يأتي وشوشة للحضور, فالحضور حياة لا تنقطع بالموت..سؤال لا تدركه إلا الأرواح التي تبدأ وهج الحياة بعد الحياة.

***

وفي **قصة التمثال** تتجلى الكاتبة فوزية مهران امرأة من ضوء, يأخذها الشوق إلى فنان نحات، تعيش في كنفه حالة حلم رهيف, حيث تعثر الروح على طاقة التوحد الذي يأخذها إلى نشوة تعبر المكان والزمان إلى مدارات ما بعد الجسد الآدمي، تقف عند حد لا مرئي بين الصداقة والحب " **عشق يذوب في ضفائر العاطفة** " فتقف في مواجهة التمثال الذي شكله رفيقها قبل نقله إلى المعرض، يضج النحاس فيها، يسحب منها تكوينها الداخلي، يقبض على جوانيتها، وينثرها في مسامات كتلة المعدن الأصم، فيصبح كائناً صامتاً بليغ الكلام, وتقف مشدوهة تتأمل كيف انغرست أصابعه في ظهرها، تعد عليها فقراتها فتنبض فيها روح النار التي تتأرجح في عينيه عندما يستمع إليها " له طريقة رائعة في الاصغاء" ناره تطوع النحاس يصبح وتراً يعزف عليه نشيده، ويشكل التمثال من مخزون روحي وشاعري، ترفرف روحها في حناياه " **يخفي ملامح الوجه ولكنه يبدي مشاعري، ويطلق صيحات كياني كله** ".

كيف يطلق كيانها وعلى أي الصور، أهو الرقص والاشتعال معاً " **الموسيقى كالنار..تتوهج وتشتعل وتنفذ إلى الروح** " والفنان كان يقطع حديثه فجأة ويمضي إلى التمثال مؤكداً: " **لا أضيع لحظة موهبة** ".حتى عاد بالمفاجأة والمفاجأة أن تسكن المرأة وعاء التمثال ولكن على طريقته وبأسلوبه وكما يريدها، امرأة تنبض فيها ولكنها ليست هي، امرأة من نور لا تدري إن كان النور يشع منها أو ينفذ فيهام فتقرر عدم الذهاب إلى المعرض حتى لا تقف وجها لوجه أمام قرينتها.

***

وبعد يا صديقتي، ومعلمتي التي شكلت ورفاقها وعي جيلي, فقد حاولت التسلل إلى قصص معنية، أبحث فيها عن شفرات تأخذ بيدي إلى فضاءات عالمكِ الأثيري, المؤسس على معرفة ثرية بالنفس البشرية، ورياضة مستمدة لاختبار الأحاسيس والمشاعر، ورغبة جامحة في الطيران على أجنحة الروح إلى عالم من أثير، لا يبالي الانسان فيه من عرية في حضرة الذات/ الوليف/ المحب. فالأرواح تعرف توائمها، وتتكامل معها، وتقف على فيض الحقائق.

وفي النصوص أخذتني لغة القص المحملة برغبات الحياة والتواصل الجميل، يتداخل فيه الفردي/ الذاتي مع الجمعي العام، ما يجعل الشوق إلى مغريات الواقع محطة يكون فيها الخسران مريع، أول من يدفع ثمنه الأرواح التي يثقلها الفقد. فالوحدة ظل للموت، والموت ظل للحياة الثانية، لأن الحب لا ينقطع بالموت، يدلل على ذلك حضور الربان بعد ذهابه وقدرته على استحضار المشاعر كلما خبت، ليضيء القلب كلما اقترب منه الوهن، فيعمر الصدر بفيض قوس قزح، ويجعل الحياة عند البدايات في كل لحظة.

وفي هذه اللحظة أسأل نفسي هل تسللت إلى فوزية أم أني قمت بالتلصص عليها..ولكن إلى أين وصلت؟ أنني ما زلت عند سؤال البداية في حضرة امرأة من ضوء، ابحث عن ظلي أو أسئلتي فيلوح لي بعض بياض فأغذ السير, يخيل إليّ أنني أرى الربان بقامته المديدة، وسمرته الرائعة خارج لتوه من تراب قربته سندبيس يشير إليّ أن اقترب.

أقف في حضرته حالي بين خوف وخشوع، لا يأخذني من حالي إلا أنتِ. يا سيدة المقام. فأنت امرأة ترقص على شفتيه مثل وردة الصباح اهتف:

– خذيني الى الوصول يا سيدتي الغنية، واصعدي بي مع بهاء القص، ليطلقني سيدي الربان بريئاً من كل ما افترفته. فهو يدرك بلا شك في ذلك أنني جئتكِ ابحث عن مساحات بيضاء.

أني قد وصلت فهل عثرت على ضالتي؟

ربما! وذاك جواب في بدايات السؤال

*** قصة قاموس البحر وقصة بحر (3)من مجموعة أغنية للبحر اصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب 2003**

قصة فنار الأخوين – وقصة كتاب البحر – وقصة اين انتهينا – وقصة الفنار – وقصة التمثال من مجموعة فنار الأخوين اصدار مركز الحضارة العربية – القاهرة 2003.

أطوار المرأة/ والوردة

قراءة في سرديات حنان سعيد الجريئة

في مجموعتها الأولى **أمطار تموز** 1998بشرت حنان سعيد بكاتبة من طراز مميز، يفيض على جوانب لغتها أريج امرأة راغبة حتى ذروة المعايشة، مسكونة بالحيرة والأسئلة مع إشكاليات الحياة في مدينة تضج بالشهوات بقدر ما تضج بالأوبئة في عصر الألفية الثالثة, الذي يتعامل مع المادي بالقفز عن كل المعايير والأعراف والمواريث، ويقف بصرامة واستخفاف في مواجهة المعنوي, ما يجعل الإحباط والانكسار والفقد والاستلاب أهم ما يميز الحياة على الأرض.. وفي ظل المتاح والمفروض، تدخل حنان سعيد الأنثى في أتون اختبار الذات في مرايا الآخر/الرجل, تحاول جاهدة الإمساك بطيفها الحقيقي من خلال استقصاء حالات الانبهار والانكسار والانهيار، معتمدة في ذلك على جملة قصصية مقننة، ومعرفة متعددة الآفاق، وحضور لافت عند لحظة الخلق، وحذر دائم من مراوغة القصة القصيرة حتى لا تقذف بها مثل الكثيرين إلى هوامش الحكاية, وهي الراغبة كل الرغبة في الدخول إلى بؤرة انصهار الفن والحياة وصولاً إلى الكشف/ الاكتشاف.. لذلك لا يشغلها كثيراً تأطير الزمان أو تحديد المكان، فالزمان نفسي معنوي والمكان فضاء الذات المنفلت من اسر الأمكنة التقليدية, لذلك تميزت قصصها بانديات تيار وعي محمولة على لغة شاعرة، أو مقطرة في حكمة تلبس ثوب مقولة فلسفية, ولعل أهم أما يميز أقاصيص أمطار تموز, ذلك الشجن الحزين والبكاء الصامت المرافق لحالات وأطوار المرأة فيبدو رجع لحن خارج للتو من لوعة الحسرة والفقد الطازج، الناتج عن مصارعة زوج غائب الوعي أو مُغيبة, أو عاشقة سكنت وصاحبها وردة العشق، فأدركتهما ضربة جفاف لا يرحم أخذت كل واحد منها إلى سبيل، أو تلك المُحبة المنفتحة على الحياة التي ظلت تنتظر أمومة رائقة, فأدركتها العنوسة قبل أن تتقاطع مع رجل يبذرها نطفته, أو تلك الحذرة من الوقوع في شرك رجل عنكبوت، فتذهب لرجل يريدها ولم تختبر أحاسيسها اتجاهه وكأن لكل امرأة رجل/ قدر.. ولأنها المستلبة من واقع لا يرحم, فلا بأس لو تزوجت من رجل في حقيبة سفر يغادرها أول الأسبوع مع ملابسه النظيفة, ويعود في نهاية الأسبوع مع عرق عمله ومعاناته.. وما بين الخروج والدخول يعيشان فاصلاً مؤجلاً, ويمارسان حياة زوجية صائمة عن موجباتها وموحياتها..

وها هي حنان سعيد.. وبعد طول انتظار تعود في مجموعتها الثانية **امرأة لا أحب أن ألقاها.** أكثر خبرة وأعمق تجربة بالحياة والكتابة, فهل مازالت مشغولة بذات الأسئلة, تعيش الفقد والاستلاب في مدينة طاردة تمارس الافتراس..؟

أعتقد أن حنان سعيد لا تغض الطرف عن سؤال إجابته معلقة، لذلك نراها دائمة الاشتباك معه, مدفوعة إلى ذلك بمئات النساء الساكنات فيها..تراوغ بوعي المكتشف لنزع الطبقات الصدئة عن لؤلؤة الحقيقة, والحقيقة عندها أن المرأة تتوهج بالحب، وتعلن عن سحرها في العطاء، ولذلك مازالت تستقصي ذاتها كحالة, مؤمنة أن عوالم المرأة تستحق الكثير, وان الوقوف على حقائقها يعني ولوج الحياة من بواباتها الحقيقية, ولكن هل عادت بنفس الأدوات الأولى، وبذات الخطاب.؟.

السمات الأولى ما زالت حاضرة ولكنها هذه المرة متطورة متمرسة منسجمة مع روح الحالة غير طارئة عليها. تمتلك قدرة خطف اللحظة في تجليات بكارتها وصدقيتها قبل أن تعلق بها التشوهات, ينعكس ذلك في طبيعة القصص التي تميل إلى القصر المكثف، تأتي في صورة ومضات كاشفة لكوامن مخبوءة، أو إعلانا عن موقف عندما تشف الفكرة متخلصة من أدرانها..

الفقد جب عدم والعشق ندى قطرة

في لحظة الكشف مضيئة أو قاتمة تتجلى الابتسامة باتساع موجة، وتستطيل الشهقة كقامة الموت, ويصبح الفقد فجيعة تشبه جب العدم.. كما يتجلى العشق في قطرة ندى مع تباشير النهار.. ففي **قصة نفحة** يتجلى الحصار والاستلاب حيث تخذلها صديقتها يوم عيد ميلادها ولا تأتي، ولكن يحضر صوت صديق قديم يقيم في أقاصي الأرض " **القريب بعيد والبعيد قريب** ".. تخرج باحثة عن صحراء وبحر وخضرة، وموسيقى حانية، فلا تجد غير بحر وصخر " **ماء ويابس صراع غير متكافئ** "..تنشد بعض راحة فتحاصرها نظرات رجال لا يرون فيها أكثر من صائدة رجال. تبحث عن تواصل حميم تجد الناس في جزر معزولة فقدوا وسائل التواصل والاتصال..فلا تجد غير الذكرى سكنا مريحاً محايد مع والديها في المقابر.. فهل تصلح الذكريات بيتاً وسكن لمن هم في مثل حالتها؟

ربما كان الجواب في تورتة عيد ميلادها, التي وجدتها عجينة مخبوصة فقدت انسجامها.. ففي **قصة القبو** ترصد امرأة في فصل الأفول بعد حياة جافة لم تجرب الارتواء. تدرك بعد فوات الأوان أن جسدها بحاجة إلى مكان مشمش ونار تطفئ نارة، ولهباً يطفئ جمراته، وشمس صفراء تغتال جيوش صفرته، لكن ذلك بات ضرباً من الأماني، وهي المزمّلة على كرسي

متحرك تتنقل في قبو تحجب الشمس عنه جدران البنايات العالية, وفي **قصة مكانها** تعود إلى ذات المكان، تستدعي صديقتها الغائبة، تعيشان عبث حياة مخملية، بقلوب جفت ينابيعها، وتيبست معها حكاية عشق حدثت يوماً وهوت مثل نيزك محترق.. المكان مازال دافئاً مع دفء رماد الحكايات، حميماً كما البوح الصريح. لكن السؤال الحارق يطل يكوي بؤرة الفؤاد، كيف تستطيع امرأة مرجومة بالمكابرة الحياة في صقيع مخمل دفئه الفقد.؟!وفي **قصة يرحل** نقرأ تهويمة عذبه في فضاء امرأة ممزقة برحيل الرجل, وانقراض مسراتها, فتهيم هاربة منه إليه، حاضر فيها تهرب إلى عبق بوهيمي, تسهر حتى منتصف الليل، تحلق في سحابات الأراجيل على أمل اصطياد لذة عابرة.. لكن صاحبها يصبح ذكرى.. يصبح كيانا يسكن كيانها فهل تستطيع عاشقة الاحتفاظ برجل/ فكرة كلما اقترب ابتعد في زمن شديد الشح بخيل.. **وفي قصة متحدان منفصلان** نرى زوجة مهندس تحاصره التكنولوجيا، تبرمج إيقاعاته مع لغة الأرقام, فيما هي تعاني الصقيع مع رجل آلي أسيره وثيقة زواج وطفلين يرضعان حنانها, تعيش حالة الأم وتفقد حالة الحبيبة العشيقة..لكن التكنولوجيا تصلها بحدها الأدنى بواسطة التليفون المحمول الذي يفتح لها آفاقاً جديدة لعلاقات أخرى, وها هو ناصر يتجمل "وهو الجميل" يلتقي بها عند البحر, تستقبل حضوره رجفة لذيذة تجوب معه مدن ساحرة.. وها هو بأناقة مفرداته يداهم متاريس قلبها الصدئ, فتصحو على رجل يريد جسدها فقط حسب قوانين اللعبة..

حالات التقاطع الايجابي الجميل:

دفقات الانتماء إلى الحياة خلال التفاعل الايجابي مع الحلم المغلف بأردية رومانسية حزينة شفافة، لا تستدعي الدمعة بقدر ما تأتي بالرجفة عند ضياع الأمل, لا تنفلت من الواقع بعيداً رافضة الانكسار, حاملة الدهشة وانتظار الأجندات القادمة على الرغم من اكفهرار الوجوه والظروف المحيطة. وفي **قصة نصف شمس** تراقب الكاتبة الشاب الذي يطوي أشواقه في كراسة مهترئة حاملاً بين جوانحه امرأة يتوهج معها وبها, والمرأة تحاول المراوغة, مشاغبة تعابث الآخرين فتصيبه لحظه ضعف إنساني يتمنى لو أصبح صغير الحجم مثلهم, لكن بوصلة القلب تقف له بالمرصاد، وتتجلى في يوم شديد الاكفهرار ويرسل نصف القمر الساكن فيها أشعته إلى وجهه، فترى الدفء المتدفق من عينيه، وتشعر ببذرته جنيناً يتحرك في أحشائها يبوح بما لم يستطيع الفتى البوح به, **وفي قصة المتحولة** ترى ذاتها في مرآياه، وترى كيف يغزلها مناديلاً مطرزة بأنغام تشفي غليلها, يأخذها إلى دروبه ليراها في تحولاتها زنبقة/زهرة

برية/قرص عباد شمس يمتص بقايا الشمس الغاربة..تتوهج في ضوء الليل سمكة متماوهة الألوان/ بجعة بحرية, ثم تعود بنفسجة حزينة بانتظار يوم جديد يلملم فيه أجزاءها ويطلق عليها بخوره، وينفخ الروح في عظامها المتآكلة, هو حلمها الذي يزودها بطاقة العطاء الكامنة فيها..

وفي قصة (1–2) ترقص على إيقاعات متوازية, تلتقي به عند محطة الوصول. فهو رجل أعمال نشيط موزع بين عمله وركام سجائره وقاطرات فناجين القهوة. محاصر بالضغط.. يلوذ بالبيت يعاشر الملل مع نشرات الأخبار المتكررة، وأفلام السينما المعادة، ويذوب مع ألم التخاطر مع أوجاع أمه المريضة.. وعلى الخط الموازي تقف خبيرة تحاليل طبية متفوقة جميلة مخلصة لعملها, إدارية صارمة غالباً ما يبرد كوب الشاي على مكتبها قبل أن تنال منه رشفة.. تعيش الأرق ولا تتغلب عليه بالقراءة، وتمارين اليوجا، وتدريبات الاسترجاع الذهني, ولا حتى الأقراص المنومة.

الليل رائع يزوده بالقدرة على التفريغ الرائع، فهو من برج العقرب الذي يسعى في المساء يحدق في ورقة التحاليل، يدير قرص التليفون.. صوت نائم كسول.. يستعجل حضورها كلمة واحدة تصبح محطة وصول:

– **أفتقدكِ..**

وفي قصة **أجمل ما فينا,** وعلى جناح أغنية تعيش التجربة بحضور راعش ورغبة عارمة..تفيض معه/ راغبة فيه, بانتظار كلمة لم تقل وفعل لم يحدث، وأبراج مشتعلة.. تتكامل معه دون أن تتماهى فيه.. بينهما راية بيضاء تعلن حالة سلام دائم طويل الأمد.. تختبئ تحت طيات ثيابه، فتخترق عيناه حواجزها الصخرية وتنفذ إلى صدفتها المغلقة على الآخرين الواهمين بامتلاك ألوان طيفها..

حالة عشق أجمل ما فيها فعل متجمد وحروف لم تصغ في قوالب الكلمات.. فالبوح بالعين كالخط المستقيم أقصر المسافات.

صياد مراوغ وفريسة حذرة

نمط من الرجال يعترض طريقها بعد طول تربص، والعصر لا يرحم والضغوط حاضرة فاعلة، تأخذ المرأة غير المحصنة قدماً إلى الانهيار, فيما الرجل الذي فقد مناعته يتخفى تحت ريش غراب, أو جلد خفاش يبحث عن صيد العتمة..كما صديقها الخمسيني الأشيب **في قصة عقم،** الذي يضبطها في حالة جيشان موحش أصاب قلمها بعنة طارئة، يفشل في مضاجعه

أوراقها البيضاء ووضع نهاية لحالة الحياد البارد، " لاحظ التعبير عن الحالة باستدعاء موحيات جنسية " تدفع الأشيب أن يقترح علها معايشة وهماً جديداً, فتصده ببراءة مراوغة محمولة على كلمات سوداء " **من لم يحب ويمرض ويطرق الموت بابه ليس بحاجة إلى إعادة حسابات** " استدعاء للموت، وتكفين الرغبات المستترة, وقتل الفتن بينها وبين زوجها بإهمال طلباته السمجة, وممارسة الحضور القسري مع أطفالها بتبديد أجنحتها التي تنمو كل صباح.. وعلى الرغم من ذلك ينجح أحدهم بالتسلل إلى زواياها واصفاً أيها، مثل الأسد الذي هرم فشجع القرود بالتقافز على مؤخرته.. أي بلبلة تحاصرها أو قل أي هلهلة تقع فيها, ترهف السمع للداعية "عمرو خالد" وتحذيراته بعدم الاقتراب من مرمى الطامعين..لا تجد غير الشوارع التي شهدت قصتها مع حبيب مازال يسكنها, ومازال قلمها يمارس البوح له وعنه, تذهب للكتابة غير آبهة بالأصدقاء والقراء الذي سيتناوبون الخروج والدخول إلى أحشائها يمنحونها بعض راحة.. **وفي قصة الخفاش** يظهر لها في بلاد الغربة رجل فقد مصريته، يجيد الزيارات الليلية في غياب زوجته وزوجها، يشاغلها بطبعة المائي التي يتشكل مع حيز الأواني التي يسكنها، مستفزاً طبعها الناري، تدخل معه اللعبة، تشعل الرغبة في جسدها البديع المخبوء تحت جلباب فضفاض في مدينة مستباحة للأغراب الذين لا يلتفتون حتى لامرأة تمشي عارية.. يسقط وينتظر موعداً تحدده مستعجلة خروجه، لتفتح الباب لشاب يعرف طريقه إلى غرفة نومها، أي خفاش ذلك الذي وقع في المصيدة..وأي شاب الذي وقع في خيوط عنكبوتها..وأي غربة تلك المعبأة بأزاهير السقوط..أما **في قصة ظلال العنكبوت** فيأخذ السقوط شكل الهزيمة لامرأة مسكونة بوهم القدرة على الإمساك بلعبة الحب, تسقط ضحاياها على الهاتف، وتدخل طقس الدخول في لعبة الأقنعة مع أصباغها وأدوات زينتها.. تأخذ وجه المهرج مبررة أفعالها تكفيراً عن فشل زواجها الأول.. وتمهيداً للعثور على رجل يهبها حناناً قليلاً يكفي لدخول جنته, ولكنها في لحظة صحو تقف مذهولة من انقلاب أحوالها، إذ عند حضور الحب يموت فيها الشبق, ويهفت الجسد زاحفاً نحو الموت.. تجرجر ساقيها الواهنتين لزيارة والديها الراحلين.. بانتظار أفول قادم. تداهمها شهوة الحياة في رعشة النزع الأخير..ترى في الدنيا كاس كلما فرغ امتلأ من جديد.. فتنطلق مثل الكترون فقد مداره, أو مثل صفر ضيع خانته، تجهد في البحث عن ظل تشبعه عناقاً، يحول الثلج فيها إلى ماء مغلي.. فلا ترى في مرآة عينيه غير صورتها، جمجمة فارغة وهيكل أجوف..

لعبة اجتياز المسافات

تهجع الكاتبة بعد طول هروب/ توزع/ تشظي. تنشد بعض راحة، تختبر ذاتها في ذات الآخر, تكتشف إنها مازالت في حالة تصادم يشعل الشرارات الخامدة.. تصبح الشرارة اشتعالاً بحجم جحيم الحرائق.. فلا تجد غير اللهاث من جديد ولكن بركوب عربات مختلفة، في صورة بني قصصية تعتمد على توازي أو تناقض الأجواء والشخوص, تمارس الهروب من ذاتها إلى اللغة حاضنة نفسية وشعورية، تتحصن داخل العبارات والصور مثل فراشة تدخل شرنقة, تعبر وقتاً للتحول، وترهف السمع لأصوات صادرة من أغوارها البعيدة/ العميقة.. **ففي قصة كراسي موسيقية** ترصد عالمين منفصلين لامرأة ورجل في نسيج قصص متراتب غير متداخل، يبدو للوهلة الأولى أن الأمر يتعلق بقصتين منفصلتين لا رابط بينها, فالمرأة تدخل حالاتها، بهية/رمادية/سوداوية تمارس جنون أميرة/حالمة مناورة تغزل الخديعة حبلاً للرجل الذي سيكون زوجها.. فيقيدها على غير قصد بمشنقة وثيقة الزواج (الشرع) ومحبة طفليها (عاطفة/ عزيزة انتماء) لكنه ليس الرجل الذي تحلم به، والذي يقفز لها فجأة اثر تصادم سيارتيهما, يحمل مفاتيح شهواتها ويطلقها امرأة/شابة/مراهقة.. ولكنه في ذات اللحظة يهرب عندما ينظر إلى أصابعها يشهق الفقد واللوعة..

- متزوجة؟!

يودعها شرارته تبحث عنه حتى تعثر عليه من جديد في رجل آخر متزوج أيضاً.. تعبر التجربة غير مبالية بمكائد زوجته التي نشرت حبهما فضيحة وعاراً وسقوطاً, تنهض امرأة بلا قلب تحمل ألف وجه ما عدا وجهها المفقود.. وعلى كرسي موسيقى آخر, ترصد مفارقة رجل يتحمل أعباء التزامه بزوجة وأولاد صديقه المناضل، الذي يقضي ردحاً من عمره في السجون، ولكنه في لحظة ضعف إنساني يعقد صفقة للخروج، ويكافأ بمنصب في منطقة نائية تتيح له الثراء غير المشروع, وعندما يذهب إليه في موقعه الجديد يطرده ويشهر به، تشاركه في ذلك زوجته التي تتهمه زوراً بالتحرش بها أثناء غياب زوجها، وما حضوره الأخير إلا مواصلة للتحرش.. هذه الزوجة تقف أمامه منكسرة بعد أن قضى زوجها مريضاً(حل قدري) وأنفق كل ما جمعه من مال في العلاج, وتعترف أمامه وبوصيه من الزوج الميت تكفيراً عن الفعلة الشنعاء, فلا يملك غير لفافة بيضاء يقدمها لها تتركها على المقعد وتغادر المكان.. تبدو اللفة مثل كفن توقظ فيه رغبة قديمة طالما راودته وهي امتلاك جسدها البديع..

والمحير على مستوى القص هو الخط الرابط بين الحالتين.. وبقليل من التأمل لا نجد غير الفضاء العام وهو اهتزاز الرؤية الذي يقود إلى السقوط والوهم عند اختيار الشهوات الدفينة..
وفي **قصة بورتريهات** تعيد رسم عدة وجوه تعكس تجارب حياتية أو نفسية, فنراها في الوجه الأول فنانة رومانسية تركب قطار الحلم الذاهب وتعيش شبعا حقيقياً مع صديقها ذو الشعر الأبيض" الذي لو باع كتبه لأصبح ثرياً " يمضي بها إلى مرافئ العشاق, يعيش إيقاعات تأخذها إلى الزهو والثراء، في عالم أوسع من عالم الحقائق الجائرة, ترقص معه على رقعة الورق بين فواصل الكلمات، ولا تمارس المقايضة بالعملات المتداولة.. ترفض حصار المرأة في مدار زوج واحد حتى تمارس الاختيار والانحياز.. لكن قطار الحلم الذاهب لابد له من محطة نهاية تشكل بداية لقطار العودة مع عالم الحقائق.. فنراها بصحبة امرأة شرسة في الدفاع عن حاجاتها، تحاصر زوجها، وتزرع في أولادها صفات ثعلبية وذئبية إذا تطلب الأمر، وتعيش حياتها بأقصى درجات استنزاف الممكن.. تملك نظرة سيفية لا تخطئ الهدف, وعندما تسألها عن الحب. ترد علها بعفوية من يسمع عن وهم:
- **اسمحي لي يا هانم " أنت غلبانة أوي ".**
لكن الحالمة تعتصم بشفافيتها وتعود إلى قطار الذهاب بصحبة الأشيب، غير عابئة بالغبار الذي لحق بها في رحلة الذهاب والإياب..
أما الوجه الثاني فهو لفنان تشكيلي، يؤمن أن الحيرة هي المدخل الشرعي للإيداع، تدخل في محرابه في كلية الفنون الجميلة، يأخذها إلى قمة الانبهار والدهشة، تحتار في جنونه، يلبس قميصاً أبيض في الصيف وقميص مربعات في الشتاء، يملك اثني عشر قميصاً أبيض وعشرة قمصان مربعات.. تعجبها آراؤه في مواصفات شريكة حياة الفنان، من خلال حديثة عن زوجته التي تتعامل مع نصفه العاقل ونصفه المجنون، ويختلط العاقل بالمجنون عندما يتحدث عن ابنه أيمن.. لكن أحد ممن زاروه لم يشاهدوا زوجته ولم يروا ابنه.. أما هي فلم تشاهد خاتم زواج في إصبعه..
فهل كان الفنان يرسم أحلامه ليعيش معها واقعاً يسكنه ويكتفي به.؟
وتتحول في الوجه الثالث إلى امرأة طاووسية، صخرية الطباع، متطلبة، تعيش حالة اكتشاف دائم مع زوج ماكر مراوغ هوايته عمله، يقضي إجازته بين النوم والتليفون والتلفزيون، يعتبر الانتهازية شطارة، ويرى في الحب حركة ذهنية وتكنيك للوصول, يخبل لمن يراه انه شخصية قيادية، لكنه في الحقيقة يعيش الهزيمة معها وهي لا تتوقف عن التنقيب في مساربه، والقبض على نقاط ضعفه، ضاربة عرض الحائط بوصايا أبيها بالتماهي معه للخروج به من حالة الفصام، وتهزأ من اعتقاد أمها أن الزواج مثل لعبة شد الحبل, تنحاز إلى الشئ المضئ في

حياتها..حبها لأطفالها الذي لا تخدشه، في الوقت الذي تمارس فيه خيانة زوجها مع أصدقاءه نظرياً.. فأي فصام تعانيه حياة زوجية فقدت دعائم تواصلها..

وفي الوجه الأخير ترثي نفسها برثاء صديقتها ورئيستها في العمل هدى جابر, التي خاصمها جمال الخلقة وسكنها بهاء العطاء الصادق, ورغم شخصيتها الصارمة، يختلط فيها رقة الطبع مع خشونة السلطة, ما يجعل الفاصل بين الابتسام والعبوس واهناً يكاد لا يرى.. لكنه القدر لا يرحمها, فيأخذها السرطان قبل أن ترى ابنتها عروساً, وقبل أن تفرح يتخرج ولدها الأصغر من كلية الشرطة، وقبل أن تشارك في افتتاح صيدلية ولدها الأكبر.. تذهب هدى جابر تاركة لها الذكريات، والمكتب، وسلسلة المفاتيح والكوب الأصفر.. تمضي على خطاها لا تلتفت إلى سمنتها الزاحفة وقدميها المفلطحين والصداع الذي يلازمها ضيفاً ثقيلاً..

في **قصة ثلاثة أطوار للوردة** يتسلل السرد ببراعة إلى سراديب امرأة محاصرة تعيش ردود الأفعال في مجتمع ظالم، فنراها في طور التفتح والتهيوء حالمة عاشقة مأخوذة بقصر أثري له أعمدة رخامية, في الطابق الأول منه محل بيع زهور, يقوم عليه فارس يغتسل بماء الشلال ويتضوع بالأريج يسكنها ولا تناله.. ويبقى المكان مزار ذكريات.. ويصير الوقت عنوسة زاحفة.. لكن الرجل/ القدر يظهر في لحظة مقدرة، وقد صبغ شعره، ولمع وجهه بلمعة تشبه حذاء خرج للتو من بين يدي ماسح أحذية ماهر.. لابد من الزواج، والمتاح يأتي بعد طول انتظار بعد أن ماتت زوجته، ولابد لها من العبور إلى طقوس التهيوء مع لعبة الحلاوة التي تجعل جسدها ناعماً مثل القطيفة، ثم نتف الزغب غير الظاهر لتصبح صلعاء الجسد والروح, تفقد تضاريس جسدها وتدخل أقصى حالات الغياب، فلا يضيرها تسليم جسدها بعد أن سلمت روحها وكأنها تعود إلى مقولة "لا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها.." لكنها مذبوحة تصحو على هول الفجيعة على صوت ابنة الزوج:

- **مبروك يا مرات أبويا.**

لا تملك في مواجه عدم التكافؤ غير الدخول إلى طور الشرنقة، فالزواج من عجوز جشع موت، فهو من ينفق إذن هو السيد وهي الجارية المطيعة.. تحاول أن تستدرج فيه شهوة التاجر لشراء محل الزهور والبيت القديم، يستخف بأفكارها الخاسرة..

أي فقد تعيشه مع رجل يغلق عليها منافذ الحياة، ويطلق عليها ابنته المتلصصة على بيتها، ودولاب ملابسها مسكونة برغبة القبض على رجل آخر يشبع جسد الزوجة العفي الشاب, والتي ترضى الحياة مع عجوز غادرته الشهوات.. هل تبقى المرأة داخل الشرنقة أم تخرج فراشة تطير وتعب ما استطاعت من رحيق متاح خارج البيت, والزواج جدار يقيها شرور المجتمع.. لكنها تحاول أن تعود إلى شيء من توازن.. تتجرأ وتناقشه في جدوى حياتها.. يأتيها الرد مثل قدر:

- اللي عايز يعيش معايا ما يناقشنيش.

لا سبيل.. الرضوخ أو طلب الطلاق..

لابد من الحلم مقدمة لطور الانعتاق من أسر زوج ميت، لكنه القدر يأتي هذه المرة وعلى غير ميعاد.. يذهب الزوج في حادث سير.. تخرج فجأة من حالة الزوجة إلى حالة الأرملة.. والموت هنا معنوي يهيئ الخروج من حياة لم تخصها يوماً، تعود فراشة تركض بسرعة إلى البحر..تفرد شعرها في وجه الريح بانتظار من يقدم مهرها وردة محمولة على أريج الرغبة..

<u>وبعد..</u>

حنان سعيد لا تكتب خارج نفسها، لا تبتعد عن رؤيتها إلى رؤى الغير، فالغير لديها معكوس على أسطح مرآياها.. فهي امرأة تعيش الحياة حتى الذروة، تنهل من المشروع ولا يشبعها المتاح.. مقاتلة فارسة تملك القدرة على إطلاق ما تعتقد، لا تحاصر حلم، ولا تطفئ شبق.. فهي كل النساء في امرأة على مستوى الحاجات والرغبات.. وهي فنانة تشغلها أسئلة موازية حول الفن، فالكتابة عندها لحظة انفجار بعد طول معاناة وتأمل، الزمن السردي فضاء نفسي/ معنوي، والحكايات مساحات الحياة، والفعل اشتباك مع أزمة معلنة، والحوار مقنن ومدروس، والوصف الفوتغرافي محدود وربما غائب، والمنولوج الداخلي حاضر، والبوح مسترسل منداح، والبنية القصصية اجتهاد متواصل.

*** حنان سعيد كاتبة شابة تكتب القصة القصيرة وتقيم في الإسكندرية**

* امرأة لا أحب أن ألقاها- قصص قصيرة للقاصة حنان سعيد – الإسكندرية 2008

سمير الفيل ولعبة استبطان الظاهر

قراءة قصص الزلنطجي للقاص سمير الفيل

سمير الفيل كاتب له نكهة خاصة تأخذ القارئ إلى مدارها, فتدهشه القدرة على رصد المألوف للوصول إلى غير المتوقع, أو على المنطقي غير المألوف في بعض الأحيان, يتجلى ذلك من خلال الوعي بأسئلة وتقنيات القص, والرغبة في التجريب, والتحكم بالسرد بإطلاق جمله القصيرة المحملة بالدلالات والشفرات, لا تخذله رؤيته الفكرية وإن قفزت في حالات قليلة وامتطت ظهر الراوي قسرا في السرديات الطويلة نسبيا .

ومجموعة **الزلنطجي** آخر ما أبدعه كاتبنا حيث تعود نصوصها إلى العامين 2006,2005, وبذلك نقف على قمة منجزه القصصي.

تضم المجموعة نسقين من البنى القصصية, فبالإضافة للنسق السردي التقليدي هناك القصة القصيرة جدا, وهو في معظم الأحيان يعتمد على تفجير اللحظة, وتقطير الهم الإنساني في حالات القهر والاستلاب والانكسار الذي يطال الفقراء والهامشيين في الريف والمدن الصغيرة.

رصد واقعي ولعبة استبطان الظاهر؛:

مع سرد سلس طيّع, وديباجة بسيطة, يبدو الأمر طبيعيا على لسان راوٍ عليم أو ضمني محايد يعرض التجارب والأزمات, ويعكس صور الرجال على مرايا النساء في سير متقابلة أو متعارضة أومتصارعة, يسبر أغوار الشخصيات ويقف على حقيقة مشاعرها, ويؤل الأحداث والأفعال وردودها, باستحضار نماذج يقذفها المجتمع إلى نهايات غير مقدرة تقتل أحلامها الصغيرة.

فنراه في **قصة مشيرة** يمضي مع البطل/المتكلم في جنازتها على طول المسافة من جامع البحر إلى القرافة ليعود إلى البدايات, وكأنه يعلن أن النهاية عتبة لبداية حكايته مع مشيرة الصغيرة " ذات الوجه الباسم التي يسكن في عينيها غيط برسيم في موسم النوار " يتذكر كيف كان يضع يده السمراء إلى جانب يدها البيضاء, ويهتف مصر والسودان " التكامل والوحدة رغم التباين الظاهر" فتكافئه بفنجان قهوة سكر زيادة.. يشرح لها مادة الجغرافيا ويعلمها مفتاح

الخرائط, فالأخضر يعني السهول, والأزرق يعني البحار, والبني يعني.. وقبل أن يكمل تهتف منتصرة:

- البني يعني البن..

ويغرقان في الضحك.. تلك البراءة تتوارى في الصبا عندما تستغلق عليه قوانين مساحة الدائرة "ط نق 2ومحيطها 2طق" يُطرد خارج المحيط بعيدا عن المركز.. يحاول تتبع انحدار المحيط فيرى الأفق بعيدا.. يسألها من يستطيع بلوغه فتجيبه بعفوية:

- (السندباد)

كيف يكون السندباد وهو الفاقد طاقة الاكتشاف والمبادرة وشرف الرهان, وقد وشى بأخيها بعد أن فاز بالرهان, ما جعلها تتوزع بين الإشفاق على أخيها وحبها له, فتطلق عليه دعوة العاجز المحب:

- يا رب تموت.

كيف يموت, وهي من وقفت إلى جانبه بعد طرده من العمل لتعاطيه السياسة.. لم يدرك حينها قوانين الدائرة, وبقي أسير عجزه, فتزوجت من مهندس معماري "سندباد" أخذها إلى العراق, تغيب طويلا حتى يلتقي بها في البنك " مع صبية عيناها غيط برسيم لم يتفتح نواره بعد ", وتخبره بعودتها بعد موت زوجها هناك.. تصل الجنازة إلى نهاية الرحلة, ولا يبقى من مشيرة غير عينين فيهما غيط برسيم في موسم النوار, فهل كانت الجنازة للراوي, وكأني به يحمل نعشه ويسير به إلى نهاية حتمية, مودعا أحلامه باستعراض سيرة موازية كان من المفروض أن تكون مكملة لمسيرته, وتساعده على فتح الدوائر المغلقة وكأنها القدر.

وفي **قصة(نرجس)** يحدثنا الصبي مشمش بما كان بينه وبين نرجس, وكأن الأمر " اتفاق مكتوب بين الصدفة والموعد " فالطفل يهرب من أمه بعد أن ضربته بحزام أخيه الجلدي, لأنه ذهب بثمن عشاء إخوته إلى السينما لمشاهدة فيلم سبارتاكوس محرر العبيد, يختبئ في الشخشيخة مذعورا من تهديدها بإلحاقه بدار الأيتام, ويتمنى الموت حتى يمشي الأيتام في جنازته.. وفي العتمة يلتقي بنرجس الفارّة من زوجها المعلم رزق, بعد أن شتمها وأوسعها ضربا مبرحا, تأخذه إلى حضنها فيشعر بالدفء ويتمنى لو ينهض سبارتاكوس ثانية ليذود عنها وعنه.. نرجس لا تنجب بعد عام ونصف في حضن رجل لم يحرث أرصه جيدا, يكبر الطفل في حضنها, فتستعجله ليصبح رجلا..

" **أمسكتني من منكبيَّ وغرست أسنانها في صدري وعضتني بغيظ, وقالت أنت صغير وماكر ومهذب** " وتخبره أن زوجها بعد أن ضربها نعتها بالعاهرة, تسأله:

- ماذا تعني الكلمة

يتذكر مشمش يوم نعته صاحب الورشة التي يعمل فيها بابن العـــاهرة, يومهـــا باعـــت أمـــه أسورتها لتنتصر لكرامتها, فأجَّرت فتوات أوسعوه ضربا وأعادوا لها النقود, فقد انتصروا لها كونها امرأة بدون سند, فكيف تثأر نرجس لكرامتها.. تلتصق بالصبي.. تفك أزرارها فـــيلمس نهديها الصغيرين ويمر على جروحها فينبهر من ملمس بشرتها..

– بشرتك ناعمة

– كل النساء هكذا

– أمي بشرتها خشنة

– كانت مثلي يوما, لكن الزمن يحول بشرتنا الناعمة إلى خشنة, وسوء الحظ يحول الوجه الضاحك إلى وجه باكٍ.

يتناهى إليه صوت أمه ملتاعة تحدث نفسها, كم تحبه وتشتاق لأبيه المرحوم الذي تركها وحيدة مع قدرها, فيلوذ بحضن نرجس ينشد الإشباع ويطلب قبلة فتحذره "راغبة" أنه ســـيذهب إلـــى النار كما أخبرته أمه.. يتحسس جروحها ويلفهما هدوء سرمدي, ويشعر أنه دخل النار فعلا..

أية نار يدخلها طفل لم يعرف المعصية.. ربما نار الإدراك المبكر على توحش العالم ما دفعه إلى رغبات مستحيلة.

وفي **قصة تمر حنه** تتصادم أقدار البحار والجميلة الحالمة, فالطواهي صبري يُطرد من الكلية البحرية على خلفية مجونه واصطحابه غانية من مواخير الميناء إلى مقر التدريب, لكن أبـــاه العمدة الذي رباه على الوحشية, ونزع منه بذور النقاء وأجبره على أكل كبـــد ذئـــب نيـــيء وأعتمده رجلا لا يضعف أمام مشاعره " يرسله إلى أمريكا ليعود مع شهادة ممهورة بالنـــسر الأمريكي الأصلع الرقبة " وكأن العرف الأمريكي يتجاوز القوانين "

الطواهي يلازمه الشعور بخيانة زوجته له في غيابه, وبرائحة غريبة تلازمه, يفاجئوها ويذبح قطها السيامي النائم في حضنها..يسألها:

– ما الذي غيَّركِ؟

– لم أعد لكَ.

يأخذها اغتصابا, وبعد أن يفرغ شهواته تسأله منتصرة:

– وماذا بعد..هل ستستريح!؟

الرائحة تحاصره, تكاد تخنقه, يسألها إن كانت تحب غيره, تخبره أنهـــا لا تحبـــه ولا تحـــب غيره..

فهل الرجال كلهم الطواهي؟

بالقطع لا.. وتتذكر حكايات أبيها مع أمها أيام الخطبة, وكيف أهدى حماته وردة جورية وضع في كأسها نشوق حارق جعلها تسعل وتغادر المكان ليختلى بخطيبته, وينثر بين مفرق نهـــديها

التمر حنة.. أمها عاشقة وهي مسكونة بالخوف والجفاء, يده باردة على جسدها, يأخذها عنوة ويجز خصلة من شعرها يحتفظ بها حتى يعود, تعيش بين ذهابه وعودته حالة أسر, فتمضي روحها إلى الذبول.. حاولت اجتياز الحالة همست في أذنه بشوق:

- **اشتقتُ لكَ**

ولأنه شكَّاك يضربها, وفي مرة ضربها لأنها وضعت الروج فأجهضها, أخذها أبوها, ولكنه أعادها مع الوسطاء بناءً على رغبة أمها, التي لا تريدها أول امرأة في العائلة تحمل لقب مطلقة.

ماذا تفعل مع هذا الشقي القاتل, ومن يحميها منه؟

تعود إلى القانون وهي التي كانت طالبةً مرجعاً.. يخذلها القانون, فتقرر الدخول إلى عالمه الدموي, وتضرب العصفور بموس حاد يقصف ريشه ويجرحه جرحا خفيفا, تدرك كم هي ضعيفة أمام القتل لأنها امرأة, يستبد بها القهر وتتمنى على أبيها الراحل أن يأخذها عنده, فيعتذر لأنه لا يملك ذلك...

هل نجح كاتبنا في رصد الطواهي على مرآة تمرحنه واستبطنها على أصداء شهواته؟

أعتقد أن منولوجات النص عكست بواطن الظاهر عند الاثنين في لعبة لم تخرج عن السيطرة. **في قصة المأمورية** تعكس إيفون الطيبة حقائق شخصية زوجها جرجس أفندي, الصعيدي الذي أخذته الدنيا من أصالة الأعراف والتقاليد, إلى طاحونة الوظيفة حيث تنقلب المعايير...

يُكلَّف جرجس بمأمورية لاستلام أوسمة التفوق, تسعد إيفون بذلك وتتمنى عليه التسوق من سوق المنيرة الذي يتوفر فيه ما لم يتوفر في الإسكندرية, لكنه في معرض تتبعه إجراءات تنفيذ المأمورية يتلقى صفعة مزلزلة, إذ يتهمه وكيل الوزارة بالمنيل ويلحقها بصفة (التيس) قبل أن يوقع على المأمورية, يشكو الأمر لزميليه فيخففان عنه, ويرجعان الأمر لسوء تربية الوكيل وضعة أصله, لكن ذلك لا يعيد له التوازن وكرامته المهدورة, ولا استطاعت زوجته الراغبة بقميصها الأحمر اللميع ذلك, فهو لم يستطيع أن يكون زوجها تلك الليلة, فأخذته إلى حضنها مثل طفل رضيع .

وفي القطار تسترعي انتباهه أرتال النمل الساعية إلى رزقها, وكيف تسحقها أحذية الركاب, فيتساءل في سره: " لماذا تزهق هذه الأرواح؟ " لكن ما يخفف عنه سيدة ملفوفة برداء أسود, وضعت طفلها في حضنه حتى تتمكن من ترتيب هندامها.. ينام الطفل في حضنه فتبادله السيدة نظرات الامتنان, وفي نهاية الرحلة يضع جنيها في لفة الطفل رغم تمنع أمه...

خارج المحطة تحتويه القاهرة/الغول, ويصدمه رمسيس المحاصر بالكباري, فيتخيل القائد الفرعوني برأس تيس وقرنين, عاجزاً أمام الإهانات الحضارية كما هو عاجز أمام وكيل الوزارة, وفي مقر الوزارة يخضع لتفتيش يطال أوراقه وحقيبته, وينتهي بدس عصا في مكان

حساس من جسده, ليجد نفسه أمام المصعد, ويرى الموظف الكبير يغازل سيدة لعوب.. يفتح باب المصعد فيمنعه الحاجب لأن المصعد مخصص لمرتبة مدير عام وما فوق, أما هو من ناس تحت, فعليه ارتقاء السلم صاعدا مفكراً بالتأقلم مع الواقع الجائر مثل بقية الموظفين " إن شُتموا صمتوا وإن أُغلق المصعد صعدوا ".. الإهانة تلاحقه يتخيل أنه يصفع الوكيل. يصل الدور السادس يبصق من النافذة المطلة على المسقط ويعدل من هندامه ويتوجه بثقة نحو الموظف المختص, لا تفارقه ابتسامة إيفون وفرحة أولاده بعودته.

هل انتصر جرجس أفندي, رغم عوامل الإحباط ورغم السواد الذي يرافق الأداء الوظيفي؟ ربما لأن المساحات البيضاء فيه ما زالت نابضة لم تنهزم, ولعل ذلك يشكل أحد أسئلة النص؟.

في **قصة (الزلنطجي)** نرى مفارقات الأشرار والطيبين, في ساعات الصباح الباكر, والشيخ المقرئ محمد رفعت يستقبل النهار بآيات من الذكر الحكيم, وفيما عربة السجن تقطع شوارع المدينة لترحيل السجناء, يفاجئ مغص الزائدة الدودية "الأعور" السجين مختار العفشة الشهير بالزلنطجي, بعد أن أكل نصف حلة المحشي زيارة السجين خميس الخرم, مما يدفع السجناء إلى الهياج, ووضع الضابط المرافق عند مسئولياته, فيتصل برئيسه الذي يرد عليه بإجابة مبهمة:

- " تصرف.."

الزلنطجي يدخل السجن بمكيدة من زوجته محاسن " قمر14" بعد أن تزوج عليها من دلال وقدَّم مهراً كبيرا وذبح خروفين, وتدافعت العاقرات يرسمن بالدم الساخن خطوطا فوق الجبهة, ودوائر حول الثديين والسرة طلبا للذرية.

محاسن تصوم على جرحها, وتبسط له العشاء وتحرق البخور, وقبل أن يخطف الأربع ركعات السنة تحدث المداهمة, ويضبط الحشيش في حجرته, ولكنه يتمكن من الفرار ويعيش متخفيا عن عيون المخبرين, وعلى عادة الأشقياء الخارجين عن القانون يعود إلى نرجس " مؤجلا الانتقام ربما" وقد حلق شعر رأسه وحاجبيه متخفيا في هيئة بائع اللبن, فيتم القبض عليه, ويظهر التشفي عند نرجس في ردها المراوغ عندما يسألها الضابط:

- هذا زوجك يا بنت ؟

- مش عارفه.. أهو كلهم زي بعض, قطيعة الرجالة.

العربة تقطع شوارع القاهرة, والزلنطجي يتقطع من الألم, والسجناء داخل العربة في حالة هياج, يضع الضابط أمام قرار خطير ربما يتسبب في هروب الأشقياء ويضعه أمام قدر مجهول, ولأنه ابن ناس أحسنوا تربيته ينحاز للإنسان الساكن فيه, لا ضامن له غير شهامة الخارجين عن القانون "أية مفارقة تلك " يأخذ وعدا منهم بالالتزام فيردون عليه:

- رإحنا رجاله مع الرجاله

تتوجه الحافلة إلى المستشفى, وتُجرى العملية, وتتبادل زوجتا الزلنطجي النظرات المفجعة!!أي فاجعة يا ترى.. نجاته أم ما تنتظرانه منه كما تشير إيحاءات السرد والتداعيات والمنولوجات الداخلية التي تحاول سبر الباطن عند الشخوص. وما موقع الضابط من منظومة تقوم على تجاور النقائض؟ ليس له موقع, ولذا يتم نقله إلى شرطة الموانئ مع خصم 14 يوما من راتبه..هل كان الضابط سعيدا بذلك؟

أعتقد أنه كان يتوقع الأمر من منظومة ترى غير ما تربى عليه في بيته "البيت المصري الأصيل"

وفي قصة مستكه وحبهان وقليل من المر نرى شواهي الشهية "التي عبرت الدنيا مع رجلين لم يصمد الواحد منهما في فراشها أكثر من شهر" تأخذ الحاج مصطفى المر إلى شرفة الحجرة المطلة على بحر الإسكندرية ليرى عبث محاولته وابنه أحمد:

- انظر يا حاج..الموجة تلاحق الموجة, من يمنعها..

منذ الأزل تتكسر الأمواج على الشاطئ وتموت كما هي رغبات وشهوات الحاج العطار, الذي يحفظ الوصفات وأدوار العلاج ويصل الستين من العمر دون أن يسقط سن من فمه أو تبيّض شعرة في رأسه, وهو من جمع بين رضا الناس ورضا الله, فقد أدى فريضة الحج سبع مرات, وبنى جامعا, وأنشأ سبيلا للعطشى, وزوج بناته زيجات محترمة, ولكنه فشل في رسم حياة ابنه أحمد الذي أفسده دلال أمه له, وهاهي شواهي تضبطه وهو يتسلل إلى المنطقة الحرام بين النحر ومنابت النهدين فترده بغنج اللعوب:

- اختشي يا حاج .

يهرب الحاج إلى المناورة, ويطلعها على رأيه في المر:

- " ليس المر ما تضعه النساء حول دائرة الثدي لفطام الأطفال, وإنما هو أن يعيش الواحد بدون إحساس.."

تقتنص شواهي العرض وتطمئنه " أن الرجل لا يعيبه غير جيبه " فيغدق عليها, وتعده أن تفكر في الأمر, فيشترط عدم معرفة زوجته الحاجة نجيبه.

هل يعيش الحاج الامتلاء والتوازن بعد كل ما حققه في حياته, وهل يسوغ له عمره ومركزه الاجتماعي الانسياق وراء رغبات مشبوبة لم يمارسها من قبل, وكأنه عاش عمره متواطئا على المكبوت فيه, الذي فجرته شواهي الشهية, فانفلت عياره كما انفلت عيار ابنه أحمد الشيوعي بالفطرة الذي لم ينضم لحزب, ولا تعاطى يوما مع السياسة, حياته موزعة بين الوظيفة ونار جوزة الحشيش, كريم يغدق على المخبرين, ويرى في حجات أبيه السبع تزيّدا لا مبرر له, وكان من الأجدر به أن يكتفي بحجة واحدة وينفق المصاريف على مشروع خيري

آخر, أحمد هذا يقفز عن سطوة الحشيش أو بسببها ويعترض طريق شواهي بدون مقدمات يساومها بجرأة الراغب, تفرش له حبل الم

– أنا لا أشتري سمكا في بحر

فيدخل المغامرة.. يأخذها إلى مدينة البحر, ويسكنان في حجرتين منفصلتين.. يرتادان أفخر المطاعم.. يسهران في النوادي والملاهي ودور السينما.. تعيش معه أميرة.. يقبل يدها كل ليلة, وتغلق الباب في وجهه كل ليلة محذرة:

– لا أفتح الباب إلا بشرع الله.

متى تفتح الباب ولمن؟ للأب حامل النقود, أم للابن العارف برغبات النساء؟

شواهي تبحث عن رجل مقيم فتغلق بابها في وجه الاثنين, وتفتح البوابات الفرجة على دواخل نفوس نماذج يمتزج لديها الإيمان الفطري مع حكمة الموروث الشعبي, ما يجعل إيقاع الحياة يضج بعبق الحقائق.

في **قصة(ترميم)** يتعرض القاص لشخصية المخبر محروس, الذي يستغل الوظيفة لسلب حقوق الغير ويسب الالآم لمن يعترض طريقه, أدواته صندل كاوتش لا يصدر صوتا, وقلم كوبيا يسطر كذبا ويقطر حقدا, والتهمة جاهزة, فالضحية دائما تتعرض للحكومة, ولأنه ابن الحكومة يجب أن تفتح له الأبواب المغلقة, وتدبج التقارير لصالحه حتى تقرير تحليل المختبر الذي يشير إلى عدم قدرته على الإنجاب "بعد طفله الوحيد الذي جاء بعد طول عناء" ما جعله يصب جام غضبه على الإخصائي, متهما إياه بالتشكيك في قدرات أبناء الحكومة.

محروس وبغريزة السطو والتلصص, يوقع بزوجته ويحصل منها على توكيل عام يستغله في بيع حصتها في البيت الذي تسكنه, والذي ورثته وإخوتها عن أمها, ولأن البيت/التاريخ/الجذور, ولأن محروس ابن الحكومة يدفع إخوتها ثمن الحصة المباعة ويستردون البيت, ويقررون ترميمه ما يوغر صدره ويعبئه بالغيظ من زوجته التي أضمرت أن لا تعود زوجته بعد فعلته الشنعاء. تراقب سلوى عمال الترميم, وترى كيف يكدُّون ويعرقون فتكتشف أن محروسا لا يعرق..وفي يوم يطرق بابها عامل يطلب ماءً باردا, وبعد أن ارتوى لهج بالشكر:

– شكرا يا آنسه

– ولكنني سيدة: وعندي ولد.

يحملق الرجل وقد أخذته المفاجئة:

– تبارك الله..

هل تكتشف سلوى نفسها من جديد؟ أما محروس فيأخذه الشك إلى حد تثبيت ورقة على الباب عليها ختم الحكومة, ليذكر كل من تسول له نفسه التطاول على البيت في غيابه..وفي الليل

يتسلل محروس إلى الفراش, ويتسلى الولد مع توم وجيري, فيما سلوى غائبة مع أغنية عبد الحليم حبك نار ,مع رجل يعرق..

يأتي الرجل في اليوم التالي.. تتوه في عينيه, يحدق فيها.. يسقط الكوب ينكسر.. تغلق الباب وترتجف.. ويحضر محروس متسللا دون صوت, مشككا في صلاحية البيت, ولكنها تؤكد له أن أساسات البيت تعمر مئة سنة قادمة, فيصفق الباب خلفه, لا يدري أنه خرج من حياتها.

عند الظهر تنسمت عرق تنتظره:

- أدخل

- أُريد ماءً

- روحي أرض عطشى تتشقق..

عند الحد الفاصل بين الرغبة في الارتواء, والتطلع إلى التطهر ذهبت إلى الحلم مع فارس يسيل عرقه على جلد معفر بالتراب يبعث فيها الألق.. ولكنها تصحو على سترة كالحة مشنوقة على الحامل في جيبها قلم كوبياء, تكسر سن القلم في شق لم يرمم بعد, وتعيده إلى جرابه وقد فقد عضوه الفاحش.

أي ترميم يقصد سمير الفيل, ترميم البيت بعد استرداده, أم ترميم روح سلوى من جروح وخدوش محروس؟ وهل عرضت القصة هزيمة محروس معكوسة على مرايا زوجته سلوى, وكيف أخذها الخذلان إلى ردة فعل صارمة لحماية نفسها من السقوط في مستنقعه؟

الأمر متروك للقارئ, ولأنني واحد منهم أمتعتني القصة وتمنيت لو أن كاتبنا استبعد بعض التفاصيل التي سببت تراكما, ولم تقدم إضافة.

<u>مساحات صغيرة وفضاء شاسع</u>

ما الذي يحدد مساحة النص على الورق؟ حدود الرؤية أو الحدث أو طريقة المعالجة أو انشغال الكاتب بالتجريب والبحث عن تقنيات جديدة, فالمبدع الحقيقي طموح إلى الإضافة والتميز, وأعتقد أن ذلك أحد دوافع سمير الفيل للتعامل مع النصوص القصيرة المشفرة, ليس لأنه فارسها الأول فالحقل مسبوق, ولكن لأن هذا اللون من القصص يضع الكاتب في اختبار عصف التكنيك وتوصيل المضامين, لذا نراه يقدم قصصه في مجموعات أشبه بالعناقيد القصصية.

في مجموعة ارتباكات-1- يطلق الفكرة مثل رشق سكين يفصد الدم الفاسد الناتج من اضطراب المحيط, باستخدام المفارقة أو التضاد أو انفجار اللحظة ففي **قصة قط مرقط** ثمة روح شريرة تتقمص قط فينقض على الراوي..يتفاداه فينشب مخالبه في رقبة الشيخ الذي يتلو

القرآن.وفي قصة كلمة سر الليل ينتظر المجند نهاية الخدمة ليبرمج حياته فيطعنه عسكري الحراسة أسفل السرة يصرخ:

– دم ..

يدرك المسكين وبعد فوات الوقت أنها كلمة السر للعبور بأمان..**وفي قصة لعبة جبرية** الحالة حرب, والمكان بور سعيد, في النهار يحبها فتبادله نظرات صامتة وفي الليل تضمهما عتمة الملجأ وقت الغارة, تسلل يده إلى صدرها,تصل نتوء القبتين..تشهق..يشهق, وتعلن الصفارة عن انتهاء الغارة..أية غارة حدثت..!؟

وفي مجموعة ارتباكات"2" تحدد المصائر بفعل فاعل يضع النهايات في دهشة الفجيعة ففي **قصة الصعود** يجبرونه على القتل, يرفض فيعدمونه ويظلون واقفين على الأرض..هو الوحيد الذي صعد الى السماء **وفي قصة منفلت العيار** الولد الكذاب البكّاش, يَعد البنات بالزواج, ويوهم خالاته أن بناتهن الأجمل يقبل أمه مرة واحدة ويذهب للعسكرية..ولا يعود..**وفي قصة مبارزة** السيدة تتسوق على عجل تتبعها خادمتها, والصبي يشب على قدميه لينظف سقف سيارتها, السيدة تدوس البنزين فتطرح الصبي بعيدا..تصرخ الخادمة في المقعد الخلفي, تتجهم السيدة وتدوس البنزين بجرعة أكبر.

في مكابدات الطفولة والصبا يجوس الكاتب في حياة الفقراء والمحرومين في القرى والمدن البعيدة يبحث عن المضيء فيهم, ففي **قصة الخوص فوق رأس أبي** كلما هدَّ التعب الصبي في الورشة حيث يعمل, يلوذ بقبر أبيه يستحضر ابتسامته العذبة, يستمد منها القوة والمناعة, ويرتب أعواد الخوص عند رأسه نافضا عنها التراب..وفي **قصة بالطباشير** يُكَلَّف الصبي بشراء طلبات البيت, فيكتب عند صعوده السلم وفي قلوب صغيرة اسمه واسم كريمة بنت المعلم, كريمة تمسح ما كتبه عندما تهبط معه "وكأنها ترفض أن يجمعهما قلب واحد "..تمر الأيام ويصبح شابا يرى كريمة تبتسم..فيحيل له أنها تمحو كتابة قديمة" وفي **قصة سيور ذهبية** يعمل الفتى في محل الأحذية, وتعمل الفتاة في محل الحلويات المقابل..كل يوم تأتي له بقطعة البسبوسة التي يحبها وتسأله عن شبشب أحمر بسيور ذهبية, وفي كل مرة يعدها بإحضاره غدا..تحرق الفتاة نفسها بالجاز لأن أهلها أجبروها على الزواج من ثري عجوز..في المستشفى يقدم الفتى للفتاة زهرتين ولم تقدم له البسبوسة كالعادة ولكنها سألته عن شبشب أحمر بسيور ذهبية فهل يعرف الفقراء غير طعم الألم..وكأن للعذاب حلاوة متفاوتة الدرجات...!

في **قصص مناخوليا** تدخل الحالات منطقة الغربة, ويختلط لديها المنطقي بالمفترض الواقعي, ما يجعل الهروب إلى الوهم الوسيلة المتاحة للنجاة..في قصة **من يكسر إشارة المرور** نرى من أخذت على عاتقها تنظيم المرور..يحبها الأطفال,ويهزأ بها الكبار, وعندما يصفها أحدهم

بالمجنونة تقف مصدومة..يتسرب إليها الشك للحظة..تهرش شعرها الأكرت وتحدث نفسها بقناعة الواثقة:

– المجانين في الدنيا كثير..ربنا يستر..

في قصة الكلاب يمتنعون يواصل مدرس اللغة الإنجليزية"عربي" كتابة الرسائل بخط منمق..يرسلها إلى عناوين مجهولة ربما يعرفها كلبه الذي يرافقه..يضيق الكلب من طول الانتظار فيراطنه بلغة إنجليزية أروستقراطية no..no dog مؤكدا أن الكلب الوفي فقط من يفهمه, وفي قصة **حاملو النعوش** تتضارب الأقوال في حَكَمَه حامل الذراع الأمامي الأيمن.. قالوا إنه ينام مع الموتى, وقالوا إنه يعيش مع الذئاب في عزبة رضوان, وقالوا إنه متزوج من جنية, وقالوا إنه ينام على دكك الموتى في ساحة المستشفى..

يختفي الرجل ولا تجد ذراع النعش من يحملها, حتى أنجبت المدينة حَكَمَة جديداً, وكأن فسيفساء المشهد لا تكتمل إلا في غياب العقل دليلا على وجوده.

<u>وبعد</u>

سمير الفيل كاتب تؤرقه أسئلة الحياة, يستقصي أدق التفاصيل, ويجتهد في تفسير الظواهر وتأويل النتائج, دائم البحث عن بوابات الدخول إلى النص, سلاحه جملة موحية, محملة بالشفرات الدالة, يفجر اللحظة عند الاشتباك, وينداح لإثراء الفعل, فيقدم نصوصاً مشهدية تفيض على جوانبها الرؤى بانحيازه العادل للشرائح الفقيرة والوسطى التي تهرسها معادلات المجتمع, وفي نصوصه القصيرة جدا يومض مثل غيث وفير يفيض بأضعاف ما يجود به الحبر على الورق.

*** سمير الفيل قاص وروائي وباحث يقيم في دمياط**

*** الزلنطجي قصص قصيرة للقاص سمير الفيل نشر الكتروني**

القمر لا يدخل مدار الهامش

" قراءة في مجموعة غرفة وحيدة للكاتب السكندري مصطفى نصر"

أما قبل

يعتبر القاص والروائي مصطفى نصر, من أهم الكتاب الواقعيين في مصر, فهو يرصد في رواياته وقصصه القصيرة عالم الفقراء والمعوزين في الأحياء الشعبية والفقيرة والتي تتكاثر عل حواف وضفاف مدينة الإسكندرية ثاني مدن مصر الكبرى, التي تتميز فيها الحياة بمواصفات خاصة اكتسبته المدينة من موقعها وتاريخها ونشاطها الاقتصادي, وتركز الجاليات الأجنبية فيها, هذه الخصائص جعلت التغير في المدينة متنوعا وسريعا بالقياس للمدن الأخرى, والذي غالبا ما يدفع ثمنه شرائح البسطاء من أمنهم الاقتصادي والاجتماعي والنفسي, وتدك التغيرات أعرافهم وتقاليدهم وقيمهم التي تربوا عليها في بيئاتهم الأم, قبل اندماجهم في حياة المدينة السادرة في غيها وجبروتها.

وكاتبنا من المنتمين المخلصين لناس هذه الشرائح, والقادرين على سبر مكونات حياتهم, والغوص عميقا في دوافعهم ورغباتهم وأحلامهم الصغيرة, وطموحاتهم في تحقيق الحد الأدنى من متطلبات حياة كريمة..

ويعتمد مصطفى نصر تقنيات الواقعية, وأساليب القص الشعبي, الذي يتسم ببساطة العرض وعمق المعنى, ويقدم الحقائق عارية بأقل قدر من الرتوش, فتأتي الحكايات طازجة تأخذ المتلقي إلى دهشة تصل انحباس الشهقة في الحلقوم, وتحقق متعة إدراك الحزن والأسى الدفين القابع خلف مظاهر الصلابة والخشونة وادعاء الفروسية, كما يظهر في قصص, حجرة وحيدة الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب في العام 2008, حيث ترصد قصصها حياة نماذج متنوعة من هؤلاء الناس..

الطفولة وكوابيس الواقع

تروعنا "قصص الأطفال في عالم الهامش", حيث يواجهون أقدار صنعها غيرهم, لا يملكون مقومات المواجهة, مصلوبين, ظهورهم إلى الحائط بانتظار مصير أقله الانتظار حتى الموت, أو الانحراف الذي يقتل البشري فيهم..

في قصة ثلاث قصص من الجرائد, قصص عن أخبار عابرة نشرت في الجرائد, تحدث كل يوم, فنرى الولد المعاق يأتي ثمرة زواج أم ركبت قطار الزواج في الحلقة الأخيرة من سنوات العنوسة من زوج شيمته الهروب, ينسحب أمام مسئوليات الحياة, يهرب الأب محملا زوجته المسئولية, وكأنه ابن جريمة هو ليس طرفا فيها, ما يولد الحسرة والهوان عند الزوجة, التي تحتاط بكميات من الطعام والخبز, وتخلد إلى النوم تاركة الولد مع قطته, وعند نفاذ الطعام, يكتشف أن أمه ذهبت إلى نوم ابدي, تاركة إياه يواجه أقداره.. مثل البنت التي تركها أبواها هي وإخوتها الصغار في كنف العم, ويذهبان للعمل في العراق, ويواظبان على إرسال النقود التي يرتع فيها العم وزوجته, وعندما تضطرب أحوال العراق, وتغيب أخبار الأم والأب, ويتوقفان عن إرسال النقود, تحرمها زوجة العم من إكمال الدراسة, ثم يصطحبها العم الى حديقة الحيوان في القاهرة, ويتركها عند حظيرة القرود ويختفي..

أما أطفال "الغول" الفقراء, يسرحهم للتسول, ويعيش على شقائهم, وبعد خروجه من السجن قتله أحدهم صدفة, يرجع إلى ذات المكان ويجمع أولاد الفقراء ولكن لتقديمهم وجبات شهية على فراش الشواذ واللوطيين..

وفي قصة زيارة مفاجئة, يواجهنا الطفل ابن منصور العريض تاجر المخدرات المسجون, بشراسة تحمل عداوة مسبقة لكل من لا يعرفه, فنراه يطارد الرجل الذي يسأل عن بيتهم بالحجارة حتى يدميه, عندها يضطر الرجل إلى ضربه اتقاءً لشره, يتدخل الناس, ويعرفون أنه حامل رسالة من منصور العريض, الذي التقى به صدفة عند زيارته لسجين آخر..

هذه القصة بقدر ما تقوم على المفارقة, بقدر ما تعرض, للتكوين النفسي عند سكان الهامش الذين يتعاملون في المحظور, على المتاح المشروه لهم أنه آخر ما يتاح لهم في عالم ظالم, ويؤهلون أنفسهم للمواجهة على الدوام منذ النشأة الأولى

أما قصة الرجل والصبي,تعرض لمشهد موت بطيء, ينفذه رجل يقبض على الصبي النحيف أبيض البشرة, وبنغزه بسن سكين قرن غزال, ينبثق الدم بعد كل نغزة, ويطلب منه التجرد من ملابسه, يقاوم الصبي أملا في نجدة مرتجاة في أحد يخلصه من الرجل, لكن الناس يشيحون أو

يبتعدون خوفا أو عدم اكتراث, يرضخ الطفل لكثرة الطعنات وينبثق الدم من جسدة المثقب, ويتوقف عند آخر قطعة تستر عورته, فيوسعه الرجل طعنا حتى يسقط ميتا, فيهجم الناس على الرجل, ويتكاثرون عليه ويوسعونه ضربا ولكما!!

لماذا تأخر الناس عن نجدة الصبي؟

وهل كانوا ينتظرون الجريمة حتى يشهدوا عليها؟

أم أنهم, بخوفهم وذعرهم, شركاء في الجريمة؟؟

أسئلة أقلها الفجيعة أو الكابوس..

أقدار ومفارقات

في "عالم البسطاء والفقراء وسكان الهامش", يتلقى الإنسان الضربات من حيث لا يحتسب, ويضطر لتلافيها بقدراته البسيطة المتواضعة, وقد تفرض عليه الظروف غير ما يشتهي من حلول أو سلوك, فيضطر إلى ضرب الحائط لقيم محيط يضطهده ويسلبه فرص الحياة, فهو الضحية وما انتصاره في حالات قليلة إلا هزيمة لقيم طالما حاول أن يحافظ عليها, ولكنه لايستطيع عند فاصلة الاختيار, ممتثلا لأقداره

في قصة انهيار, ويسقط جزء من الطابق الخامس من بيت الحاجة كريمة, ويسقط معه جزء من السلم, ولا يتمكن السكان من الهبوط من البيت الذي ربما يتداعي في أي لحظة, وفي البيت يعيش بعد وفاة الحاجة صاحبة البيت, ابنتها العانس أميرة مع أخيها سمير الأبلة الذي وصل سن الشباب بعقل طفل صغير, يحضر رجال الدفاع المدني, وينزلون السكان بواسطة السلم العالي, تهبط أميرة, ويختفي سمير في المنزل, ويعجز المنقذون عن العثور عليه, ويخشى الضابط وأهل الحي من فقد أحد رجال الدفاع المني نظير محاولة فاشلة لإنقاذ إنسان أبله, لكن حمدي المشاغب مثير المشاكل في الحي يهرع إلى السلم ويهبط بسمير, والسبب أن حمدي كان يلاقي عطفاً من الحاجة كريمة, ويساعدها في جلب الحاجيات, وكانت تقدم له الحلوى والنقود, وكان سمير يأنس له فاستجاب وهبط معه دون مقاومة..

وكأن الكاتب يوجه رسالة مفادها أن هذه الشرائح من البشر تحتاج إلى معاملة إنسانية, حتى تستعيد ثقتها بمن يحيطون بهم؟؟

وفي قصة قطط وفئران, تداعيات الموظف الفقير, الذي كان يتهيأ للزواج في الشقة التي تضمه وأمه, ولم يستطع توفير مستلزمات الزواج, فتتركه خطيبته إلى عامل في نفس الشركة يكسب أكثر منه بحوافز العمل, تمر به خطيبته السابقة وتنظر إليه بتعالٍ يؤكد فشله..

بعد موت أمه يقضي وقته خارج البيت, ويعود مكدودا, ينام ويصحو على صراع القطط مع الفئران في شونة ورق الدشت المجاورة للمنزل, والتي تعلو فيها أكوام الورق حتى توازي شرفته, ويثيره لدرجة الرعب تكاثر الفئران في المدينة وتغير طباعها بحيث أصبحت تهاجم القطط وتقضي عليها, ويستعيد الخرافات والحكايات عن الفئران حيث يظن البعض أنها تسمع ما يدبره الإنسان لها وتحتاط للأمر, وأن ظهورها في المنزل اشارة على وقوع خيانة, وعن البدو الذين يصطادون فأراً كبير يقطعون ذيله, ويتركونه يدور بين الخيام فتتبعه الفئران خارج المنطقة, كما يأتي على سيرة الأخوين أصحاب الشونة, وكيف سرق الكبير مال وجهد الصغير, وأقام مصنعا للورق..

ولعل السؤال: لماذا هذا الحشد من التفاصيل والأحداث في القصة؟ وما الذي يريد توصيله الكاتب للمتلقي؟

الواضح أن رسالة القصة تشير أنه في هذا العالم, انقلبت المعاير بحيث أصبح الحرفي اكبر دخلا من حامل الشهادات, وان الكبير يأكل الصغير ,ان الفئران استأسدت لدرجة افتراس القطط, وان لا نصير للضعيف والمظلوم

وفي قصة لحظات حرجة, تقف المرأة الشابة عند لحظة القرار, بعد أن مات عنها زوجها العاشق الجميل الرقيق, الذي احتل قلبها من الوهلة الأولى, والذي أخفى عنها مرضه بالقلب, والذي تزوج معارضا نصائح الأطباء, والذي عاشت معه كزوجة ساعات بعدها تنقل بين الأطباء والمستشفيات, ولكنه عوضها بالحب والحنان والهدايا, والدخل الكبير.. وطفل ملأ عليها حياتها..

فجأة تشعر بالفقد والوحدة, تشعر بطمع أخيه هلال الموظف البسيط فيها تحت ستار رعايته لابنها والوفاء لذكرى أخيه, فتصاب بالصدمة, فقد قررت أن تعيش لابنها من دخلها ومعاش زوجها وثروته, ولكنها فجأة تصحو على الأنثى التي لم تعش حياة زوجية طبيعية مثل النساء.. وتطرد عنها ثوب الحزن, وتحمل ابنها إلى أهل زوجها, فقد قررت أن تتقرب من هلال لتعيش زوجة طبيعية وتحافظ على ابنها..

ربما هو منطق العقل, وهي الضحية لتواطؤ حجب الحقيقة عنها, وزج بها إلى قدر محتوم, يجعلها تخفي حقيقة مشاعرها اتجاه أخيه بالتقرب منه للخروج من واقعها!!

ولكن هل هو منطق القلب, في مجتمع يتعامل مع الأرامل والمطلقات معاملة الفاقدات لفرص الاختيار وخوض التجربة من جديد؟!!

الجنس والزوايا الضيقة

يحتل الجنس مساحات واسعة في قصص المجموعة, ليس من باب الإثارة وإشعال فتيل الشبق, فكاتبنا الأبعد عن ذلك, ولكن لإحالات متعددة لكشف المخبوء في صدور رجال ونساء الشرائح التي تتعرض لها القصص, حيث يسبر غور أحلام وهواجس وتوتر وارتباك مفاهيم لدى الأفراد والجماعات, باعثها الأساس الفقر, والاكتظاظ, وعدم توفر وسائل الحياة المريحة, فمعظم شخوصه تعاني من ضيق مكان الإقامة والسكن, واتساع فضاء الرغبات, فتقع فريسة التناقض, أو الالتفاف على المتاح, أو التمرد على أقدار ظالمة جمعت الرجل والمرأة تحت سطوة التقاليد أو الحاجة, أو خيارات الأهل, لذلك وبخبرة نافذة إلى ما تحت الجلد, يرصد الكاتب دبيب الرغبات والشهوات والفقد وتوتر القيم بين الممكن والمتخيل والمتاح..

في قصة اللعبة, تكتظ الشقة المكونة من غرفتين بدون أبواب وصالة بساكنيها, يحتل الابن الأكبر وزوجته غرفة, والأم وبنتها المطلقة وابنتها الكبرى الغرفة الثانية, والابن الثاني صائد العصافير والصبي, آخر العنقود راوي القصة الصالة, فيما تنام بقية بنات المطلقة في عشة من الصفيح أقيمت على السطح, ويروي الصبي دهشته من لعبة تقوم بها زوجة الأخ منى نهارا بإشارات منها إلى زوجها فتتغير أحواله, تترك طشت العجين, وتقوم المطلقة أو الأم بموصلة العمل بدلا منها بصمت, ودون اعتراض, تخرج منى ويتبعها زوجها, أما الصبي المندهش من ذلك فيصعد كعادته إلى السطح لتنظيف عشة الفراخ, وجمع البيض والضحك على ذكر البط, وهو يعتلي أنثاه الراغبة المستسلمة, فيقع فجأة على أخيه معتليا زوجته "كانت منى تبتسم وتتحدث, وأخي يتحدث أيضا, ومؤخرته العارية أمام عيني تماما, ومنى تدق عليها بيدها.." يقع الصبي في لجة الخوف من عقاب أخيه, لأنه رأى غير المعلن المتفق عليه من الجميع, لكنها الحياة, التي بلا أبواب, تفرض معايرها ولو بالتواطؤ الصامت..

وفي قصة زيارة قصيرة, فجأة يظهر في حياة الأسرة شاب من أقارب الزوج, قدم للدراسة في الإسكندرية, والشقة مكونة من ثلاث حجرات, واحدة للزوجين, والثانية للبنت الكبرى والتي تليها, والثالثة لبقية أفراد الأسرة, ينام الشاب على كنبة في الصالة, مع امتعاض الزوجة من وجوده, وعدم معاملته بأريحية مع أنه الخجول الذي لا يتأخر, ويأنس للحديث مع البنت الكبرى والأولاد, ما يحرك أملا عند الأم أن يكون نصيب البنت معه مستقبلا, ولكن الأمل

يخبو, فالشاب, حتى يتخرج ويجد فرصة عمل, ويتأهل للزواج يستغرق وقتا طويلا.. لكن شيئا ما بتحرك فيها فجأة, يدفعها إلى مراقبته وهو نائم, " تحس أن المنطقة التي ينام فيها كوبري فوق بحر عميق, تقاوم رغبة ملحة في أن تقفز من خلاله إلى الغرق.." حتى كانت ليلة, "جلست على حافة الكنبة, شدت وجهه الأثير لديها, ضمته بين يديها وقبلته في كل مكان فيه, وكانت تحدث صوتا مجنونا, وهي تفعل ذلك" تصحو على إثره البنت الكبرى وتتابعها باحتقار.. وفي الصباح غادر الشاب الشقة إلى غير رجعة, مشيعا بأسى الزوجة وتحد واحتقار البنت..

ما السر حول التغير المفاجئ في سلوك الزوجة اتجاه الشاب؟

هل هو الجوع إلى الجنس, مع رجل يتغيب عن البيت طويلا؟

أم هو الإمساك بتلابيب ما تبقى من شهوات شباب آخذ في الأفول؟!

أم هو ردة فعل لقدر غادر فتح لها أبواب الشهوة لدرجة الخيانة!!

فهل تقتصر الخيانة على المرأة؟

في قصة تلك الرغبة, نرافق الموظف ميسور الحال, وهو ينجذب لفواكه لصديقة زوجته, ويحس في وجودها بشعور غريب ولحظات حلوة, " تلمس الرغبة في عيني.. وقالت أنها ترتاح للحديث معي", فهل شمت رائحة رغبته فيها؟ وهل شمت ذلك زوجته تلك الرائحة بغريزة الأنثى التي تحافظ عل فحلها؟ وهل هذا يفسر مقاطعة زوجته لها بعد أن مات عنها زوجها والذي " لم يكن يتركها حتى أيام الدورة الشهرية", فهل كان ذلك سببا في المرض اللعين الذي قضى عليه؟

لم تفارقه صورة فواكه التي أشاعت بين معارفها أنها مرت بقميص نوم هفهاف فيما كان زوجها يصلي, فترك الصلاة وأسرع خلفها يلاحقها.. وأصبحت فواكه تتبدى للراوي مع ظهور كل امرأة طويلة شاهقة, حتى قابل يوما شبيهتها لواحظ في المنشية, واصطحبها إلى شقته وسط مخاوفه من عودة مفاجئة لزوجته من العمل أو رجوع ابنتيه مبكرا من المدرسة أو لفت نظر الجيران.. وعندما تعرت عن قميص نوم قديم ممزق من الجانبين, أدرك أنها تبيع الشهوة من أجل المال.. ولم يشم رائحة فواكه فيها, وفعل على عجل ما جعلها ترميه بفتور الأداء!!

ماذا تقول القصة؟

هل تعلن عن الرغبات المخبوءة عند الرجل الشرقي الذي يريد زوجة راغبة تجيد فنون الحب والإثارة؟!!

أم هي ثورة لا شعورية على التقاليد والأعراف والزواج التقليدي الذي يأخذ الزوجين إلى العادة أكثر ما يأخذهما إلى تجديد الحياة بتجديد الحب بينهما في تجلياته الجنسية؟

أم هو رسالة مفادها أن الجنس هو حاجة ترف بيولوجي عند الأغنياء, ووسيلة اصطياد المال السهل لدي نساء الفقراء كما عند لواحظ وزميلتها البغي, والمرأة الشاحبة في قصة هبوط الليل التي جاءت من المكس في الإسكندرية لمتابعة أوراق زوجها العاجز في القاهرة ولم تجد مكانا تبيت فيه, ولكن محفظة نقودها تحتوي على مالٍ كثيرٍ..

ولكننا في قصة غرفة وحيدة, نرى نموذجا آخر, مع موزه زوجة الرجل الطويل الممصوص المصدور والمعروف في الحارة بلقب سيجارة ونجز لأنه يرتدي بنطالا ابيض يصل إلى صدره وقميصا بنيا, موزه وزوجها يقيمان في غرفة بابها ثقيل, يحتك بالحائط, وحمام مشترك مع سكان البيت..زوجها دخل مستشفى الأمراض الصدرية أكثر من مرة, لذا يمارس الجنس معها على فترات متباعدة بناءً على تحذير من الأطباء, فهو يأخذ الحقنة التي وصفها الطبيب, ويأكل أنواعا من اللحوم والأسماك قبل أن يفعل, ومع ذلك " فاللقاء لا يستغرق شيئا, لحظات معدودة لا يستحق الاستحمام الذي ستفعله بعدها.. فكيف ينجب, وهو لا يقربها إلا كل حين وحين!!

يخرج الزوج تذهب إلى نجارٍ صلاح باب الغرفة, يأكل النجار بالفارة بعض خشب الباب, فيعود خفيفا وسلسا ولا يسبب عيوبا في الحائط, تطلب مبيضا, فيحضره النجار, ويقوم المبيض بالعمل, وتساعده موزه لعدم وجود صبي يناوله العجينة ويطبخ له الغراء.. ويجلس المبيض إلى جوارها يحدثها, ويستغرق الوقت حتى يحضر زوجها فيؤجل العمل لليوم الثاني.. ولكن الأمر الذي يثير دهشة الجيران أن تبييض الغرفة استمر أسابيع, يحضر المبيض بعد خروج الزوج, وتغلق الغرفة, ويخرج قبل عودة الزوج من العمل!!

فهل هو التواطؤ من قبل الزوج حتى لا يفقد زوجته وهو غير القادر على الوفاء بحقوقها عليه؟ أم هو إمساك موزه بتلابيب شبابها الهارب قبل أن تنفذ شهوات التي لم تختبرها من قبل؟؟

أم هو الانتقام من نصيب مؤلم قادها إلى واقع عقيم!!

<u>أما بعد</u>

فقد استطاع الكاتب مصطفى نصر وباقتدار من يمتلك موضوعه وأدواته, وأرقه أيضا, أن يقدم عالما نابضا يقوم على بطولات جماعية, يتحرك من خلالها الأفراد في فضاء يضج بالرغبة في الحياة, يعبرون من الشقاء إلى الهناء برغبات متواضعة وأشواق متأججة, تصل إلى الاشتعال أو الانكسار, من خلال أحداث صغيرة متجاورة, يقبض فيها الفرد على عالمه الشخصي بشروط الواقع والجماعة الهامشية الفاقدة القدرة على اتقاء الضربات..

ويعتمد الكاتب السرد الواقعي الذي ينهل من روح الجماعة ومواريثها, وما ترسب في وجدانها عبر الأجيال, ويقدم الواقع بعفوية طازجة عارية, ما يجعل الواقع والفن وحدة متداخلة ومتماهية, لأن مكابدات الشخوص تقترب, في أحيان كثيرة من حدود الفنتازيا, ولا تحتاج فذلكات فنية لإعادة إنتاجها لدى كاتب مثل مصطفى نصر يقتنص اللحظات الفارقة في حياة شخوصه ونماذجه البشرية.. فيحملها على جملة قصيرة متدافعة لاهثة تنتمي لأصحابه, في أفعال صغيرة, وجمل خبرية تنتظم لرسم حياة يكون الفرد فيها فاعلا, أو ناتج تفاعل,يحترق على مدار الوقت في بوتقة, يشعل نارها من يأخذون قمر الله بعيدا عن ليلهم البهيم..

*** مصطفى نصر, قاص وروائي يقيم في الإسكندرية, نشر العديد من الروايات والمجموعات القصصية**

*** غرفة وحيدة, مجموعة قصصية للقاص مصطفى نصر منشورات الهيئة العامة للكتاب- القاهرة عام 2008**

عيون مكحولة ترى ما لا يُرى

قراءة في متوالية منير عتيبة القصصية

تبدأ اللعبة في حكايات مرج الكحل للقاص الشاب **منير عتيبة** من الإهداء، حيث يعتذر سلفاً للذين احتفظوا بأسرارهم فجاء هو لينشرها، ويطلقها من حدود الخاص إلى فضاء العام، ويبدأ التمويه في ترتيب القصص بعكس زمن كتابتها حيث تثبت الأجندة أن آخر قصة في المجموعة " رحلة السندباد الأخير ة" كتبت بتاريخ 2002/4/22 وأول قصة " نداهة جدي " كتبت بتاريخ 2004/8/18، ويلاحظ أن القصص الأحدث تعود إلى سيرة الأجداد والأقدم ترصد المعاصرين, وكأن زمن الأحداث يأخذ مساراً معاكساً لزمن الكتابة حتى تأتي القصة الأخيرة " رحلة السندباد الأخيرة "، والسندباد هنا يخرج من ألف ليلة وليلة ويسكن الزمن الحاضر بعد أن خذلته زوجته ابنة الماء، التي تسطو على كنوزه وأرصدة حساباته في البنوك السويسرية, وما أخذته من دولارات، وتعيش حياتها الأرضية يغريها الظهور على الفضائيات, فيخرج متخفياً إلى البحر مع خادمه مرجان, ويشتري العبيد والبحارة والمركب, لكن مرجان يخذله في اللحظة الأخيرة ولا يرافقه الرحلة.. وفي عرض البحر يخرج عليهم عمود ماء يصارع تنين أسطوري يتمدد داخل سحابة سوداء. التنين المخيف ذو السبعة رؤوس وعلى كل رأس منها ثلاثة عيون نارية، يغرق المركب ومن عليها فيتعلق السندباد بشعرة في ذيل التنين ويدخل السحابة السوداء ليعود البحر حصيرة هادئة.

فهل عاد السندباد في صورة الطفل الراوي يحدثنا عن رحلة منير عتيبة الطفل يتناوب الأدوار، فيكون الراوي المحايد, والسارد العليم, والمشارك السلبي بالاستماع, والمشارك الفاعل في الأحداث.

لماذا توكل المهمة للطفل؟

هل هو القادر على حرف الأمور عن مساراتها، أم هي البراءة التي تأخذه إلى الدهشة ليأخذنا معه إلى الحيرة، بين الواقعي والخيالي بين الممكن وما هو فوق القدرة، بين الموروث والمعاصر، بين الخرافة والحقيقة، بين الديني والوضعي.. ما يجعل الزمن لحظة تراكم مكثفة تنبثق عنها جبلة وعي ساهم في تكوينها الحكاية الشعبية، والموروث, والقوى الغيبية, والنوازع الفطرية، ما يبرر تجاور الواقعي مع العجائبي في سيرة أناس خرجوا بتجليات حالاتهم من

رحم الواقع في قصص أقرب إلى الحكاية الشفوية، وسيلتها لغة مراوغة ترهص بالمضمر في ثنايا المعلن، وتفجر الطاقات الكامنة في الإنسان، ما يجعل الهاجس رؤيا/حلم يتجاوز المؤطر إلى المدرك بالرغبات والطموحات.. حيث تقف القصة غالباً عند لحظة فارقة ما يجعل الطفل يرى في جده في مرحلة شبابه مختلفا (لم يقل مميزاً) ومجنوناً ما يعطي إمكانية تجاور الواقعي والسحري، وما يجعل الحاضر والماضي زمن يعبر كأنه الومضة..

حضور ما قبل الأجندة:

الأجداد يأتون، يعلنون البدايات، يشقون مجرى لنهر الرواية، **ففي قصة نداهة** جدي يذهب الجد المختلف إلى مورده إسماعيل الجنايني، ليواجه النداهة التي أغرقت أجمل الشباب ويكشف سرها, بعد أن يخوض معركة مع ذئب أسطوري، ويأخذ وردة من فمه، يمزق الوردة عن حجاب فتخرج من الماء إنسية عاشقة مسحورة، ألقت ينفسها في الترعة فوقعت في أسر جني, تمضي الشابة إلى حال سبيلها بعد أن أودعته رعشة الفرح، وجعلته يعيش حزن العالم..وظل الجد يزور الموردة في ذات الميعاد من كل عام.

أي اختلاف وأي جنون الذي يلازم الجد، ويجسر المسافة الفاصلة بين الحلم والواقع، بين الحياة وما وراء الحياة..لكنها لعبة الفن..

هذا الجد يقع في **قصة قبلة الغريب** في هوى شابة عرفت طعم العسل واللبن, على ريق قبلة منحتها لشاب مسحور خرج عليها في صورة شجرة توت تتحرك أمامها, ثم قنديل معلق في الفضاء، الشاب لا يفك سحره غير قبلة من شابة قوية وجميلة وتحفظ القرآن(امرأة مختلفة) هذه الشابة تفشل في الزواج مرتين لأنها تنفر من رائحة فم زوجها في كل مرة، حتى جاءها الجد الذي عرف رعشة الفرح وعاش حزن العالم, يتزوجها ويعيش معها حياة أخرى مختلفة..

وفي **قصة النخلة** يزرع الجد نخلتين في حوش الدار يوم زفافه، حيث اكتمل القمر، وعندما يموت يطير من نعشه ويسكن النخلة اليمنى.. وعندما ينام الحفيد في حضن جدته يصحو عليها ليلة اكتمال القمر وقد تحولت إلى شابة يانعة تعرت من ملابسها، تخرج إلى الحوش وتقبل نخلة الجد وتعود إلى الفراش عجوزاً أبيّض شعرها, وعندما تموت تخرج من نعشها وتسكن النخلة اليسرى فتميل إليها نخلة الجد تعانق نخلتها.. أي حكاية يقصها علينا الطفل, وأي تواصل يأخذ الأرواح إلى ما وراء الملموس والمحسوس في وجد صوفي يأخذ المتلقي إلى مقام العشق الأزلي, وصولاً إلى التماهي قبل الحلول في الذات الأخرى. فهل تكون المعجزة عندما تصبح النخلتان نخلة واحدة ليلة اكتمال القمر, ويندغم العاشق في المعشوق وكأن قوى خارقة حضرت في لحظة فارقة غيرت مسارات الحياة إلى مسارات أخرى, مثل ما حدث للجدة **زينات** أجمل نساء العائلة، وأطيبهن نفساً وأصفاهن سريرة، لم تتزوج، ولم يفارقها قطها الرمادي الذي ينظر للرجال نظرات مبهمة، يخطب الجدة زينات ثلاثة عرسان يتيهون بها

وعند موعد الوصال لا يعودون، ويحتفظون بسرهم، حتى مرضت وأخذها الجد عبد الحفيظ للعلاج في الإسكندرية ولم يرافقها قطها الذي تصادف أن كسرت ساقه بضربة من نبلة الطفل (الطفل راوية مشارك)، وفي الإسكندرية يغرم بها الممرض عبد الرحمن وتغرم به ويطلب يدها، ويأتي إلى القرية، ويرى القط الرمادي في حضنها فيصمت عن الكلام ولا يعود..

ما الأمر.. العشاق لا يعودون.. لكن القط وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة يعترف للجدة انه شاب من العالم الآخر، وقع في هواها وسحر نفسه في صورة قط حتى لا يفارقها.. المفاجأة أن زينات لم تغضب بل دفنته في حجرتها، وأوصت أن تدفن إلى جواره.. فهل كانت زينات تدرك الأمر وتعيش مع القط سعادة لا يدركها الآدميون من حولها وكأن على عيونهم غشاوة فهم لا يبصرون..؟ لعل ذلك ما جعل الجد عبد الحفيظ يحتفظ بزجاجة الكحل ويودعها أمانة لدى حفيده الذي يفشي سره، فعبد الحفيظ في **قصة مرج الكحل** تركه أبوه عبد الكافي ابن عام, وقطع الصحراء إلى مرج الكحل ثم يظهر له ويطلبه عندما أصبح شاباً عاشقاً ليلة تسلل إلى حبيبته **هوانم** التي أصبحت زوجته لمدة أسبوع أودعها نطفته.

عبد الكافي يأخذ ابنه عبد الحفيظ إلى مرج الكحل, ويعود عبد الحفيظ بكميات من الكحل يفقدها في رحلة العودة لما يلاقيه من أهوال ولا يبقى منها غير زجاجة صغيرة يحتفظ بها صائماً على سره, حتى يقدمها للحفيد بعد أن يبوح له بالحكاية.

لماذا الكحل بالتحديد؟

هل لأنه مادة علاج وزينة، وهل ترى العيون المكحولة ما لا يدركه البصر المغبش بأوهام الحياة، وهل رأى الطفل شيئاً من ذلك فوقع في حيرة بمن يبدأ من أهله..

أجندة أخرى للطفل

بعد أن سمع الطفل/ الراوي حكايات الأجداد انتقل إلى سرد ما يعرفه من حكايات الأقارب, لعله يصل ما سبق بما يعايش، ولكنه يقع على وقائع مدركة، وأخرى عجائبية تقف عند الأسطورة دون أن تفقد أقنعة الواقع ففي **قصة شجرة الجميز الغاضبة** يحلف **الخال فتحي** اليمين أن يقطع الشجرة وإلا حلق شاربه، لأن قطاً يسكن الشجرة ويخرج عليه يخربش وجهه، تغضب الشجرة التي تحدد حدود حقل الخال, وتتحرك بعيداً فتتحرك الأشجار والعلامات وتضيع حدود الحقول، ويقع الناس في البلبلة، ولا يعرف الواحد منهم حدود حقله ويضغطون على الخال فتحي حتى لا ينفذ الأمر، ويقع الرجل أمام خيار صعب بين أن يوافق أهل القرية, أو يخسر شاربه اعز ما يملك, لكنه في النهاية يتراجع وتعود الشجرة إلى مكانها وتسكن الحقول مطارحها وتعيش الحياة انسجامها المفقود..

من يكون القط ومن أي عالم جاء، ولماذا يأخذ الرجل الجميزة الطيبة بجريرة قط وهمي.. هل هو الغيبي الساكن فينا والذي يأخذنا إلى أبعد ما نحيا في الواقع هروباً إلى واقع آخر يشبه

الحلم, مثل ما حدث **للخال شفيق وزوجته حنان في قصة ابنهما**. بعد أن يطول انتظار الطفل الذي يأتي من صلبهما. وبعد تسع سنين يأتي بوصفة السمكة السحرية، وهي عبارة عن طحلب مائي بفرز مادة تشبه الكاكاو المخلوط بكثير من اللبن, ويتغذى على تفل الشاي، يضع الرجل الطحلب في فازة زجاجية على شكل طفل ويواظب وزوجته على شرب نصف كوب من الوصفة، ويتعاملان مع طفل الفازة كابن سيتحول بعد تسعة أشهر إلى كائن من لحم ودم.. لكن الأمر يتمخض عن حمل كاذب.. إلا أن ارتباط الزوجين بالطفل يزداد عمقاً لدرجة أنهما صارا يسمعان ضحكته، ويعيشان مع بريق عينيه ويراقبان نموه البطئ.. هل هو الوهم الخارج من ظلم الواقع، أم هي الحاجة إلى علاقات بديلة عندما تصاب العلاقات على الأرض بالعقم؟

ربما يأتي بعضاً من إجابة في الصداقة التي نشأت بين العم محروس والحمار المسحور في **قصة سر الحمار** حيث يلتقي محروس بحمار هائم في الخلاء، فيحنو عليه ويقوم على حمايته وتوفير حاجاته، ويدخل به سباق الحمير ويفوز، وعندما تدرك محروس المنية يعرف الطفل أن الحمار إن هو إلا شاب مسحور أحب فتاة فطارداهما أهلها, وأخذوها منه وتركوه طريداً مهدداً بالقتل، فسحر نفسه إلى حمار هروباً من الظلم، ويخبرنا الطفل أن الحمار لم يفارق قبر صديقه بعد رحيله..

عين ترى مالا يُرى

مازال الطفل يفشى أسرار أهله, ويدرك شيئاً من حياتهم, ويدخل أطوارا أبعد من أطوارهم، ويختزن أعماراً أوسع من عمره ويرى ما لا يرى، تتداخل لديه المقامات والأحوال للحد الذي يجعله يغوص في سرسة الأرز ليجد نفسه وجهاً لوجه مع خاله الذي يعيش في العالم السفلى في قصة **خالي السفلى** تاركاً صورة باهتة وخاتم به نصف فص من الماس وحزن كبير عند أخته (أم الطفل) يعود الطفل يطمئن أمه عن خاله الذي يعيش حياة تشبه الحياة على الأرض، وانه سعيد وبذلك وقد أعطاه خاتم به نصف فص الماس الآخر مؤكداً أن الحزن على غياب من تحب ليس مبرراً..

ويحدثنا الطفل في **قصة سوق الغجر** عن أخلاط من الناس، سكنوا الملجأ القريب من بينهم هروباً من الحرب، أطلق أهل القرية عليهم الغجر.. هؤلاء أصبح لهم سوقاً وكرنفالاً سنوياً يزدحم بالناس، وكان الطفل وأخيه التوائم يتفرجان عليه من الشرفة.. وفي يوم يتسلل أخوة إلى الكرنفال ولا يعود ثم تأتي قنابل الألمان وتقتل وتحرق جميع الغجر.. لكن الأم وابنها يرون الغجر في مطارحهم, يتهيأون للكرنفال في موعده من كل عام, فيعتبر أهل القرية البيت مسكوناً ويقاطعوه ما يجعل أمه تبيعه وتسكن قرية أخرى.. لكن الطفل يكبر ويعود إلى القرية

ويشتري البيت من جديد, وينتظر في الشرفة.. فهل يرى السوق والمهرجان ويرى أخاه الطفل سعيداً بينهم.

هذه النفس المسكونة بالهواجس تتطلع إلى ما هو أبعد من حدود الممكن, ففي **قصة الغسيل** يصف بائع الدوم الملابس الداخلية لامرأة معينة، ويضع نظريته في أصل العلاقة بين غسيل المرأة والمطر.. حيث يهطل المطر غزيراً إذا نشرت غسيلها, ويتوقف عن الهطول إذا حجب الغسيل، الأمر الذي يفجر الصراع بين الفلاحين محبي المطر والتجار وأصحاب المحلات والقائمين على المهرجانات الذين يتضررون من هطول المطر، ويضع المرأة وزوجها في منطقة وسط بين الفريقين, فهل يأخذا قراراً بالعرى والحياة دون ملابس لجسر الهوة بين الحب والكراهية, وبين الخير والشر، لأن في العري حاله لا تقبل الاختلاف والتأويل..

وبعد

فإن الكاتب الشاب، حاول بشجاعة واقتدار توظيف الخرافة، والرواية الشفوية والحكاية الشعبية في فضاءات تستفيد بحساسية واعية لسحر ألف ليلة وليلة، وقدم ضفيرة فنية أجمل أدواتها لغة طيّعة، تقدم شفراتها ورموزها دون افتعال, ولكن بطموح الوصول إلى شكل خاص من أشكال القص، يعود إلى الموروث بقدر ما يستفيد من أدوات الحداثة.. لذلك أطلق على مجموعته اسم ربما وجده ملائماً هو المتوالية القصصية, وفي تقديري أن ما قدمه هو رواية تملك شروطها, فالفصول متراتبة والمعمار الفني واحد متماسك من خلال وحدة المعالجة, والتسلسل الزمني في مناخ عام يبرر العلاقات بين الشخوص تنافراً وترابطاً وتواصلاً، وأرى أن الأمر لا يقف عند شكلية التسمية, فنحن أمام محاولة نجحت في تقديم عمل لقاص واعد متميز, قادر على الإضافة وحالم بها أيضاً.

*** منير عتيبة قاص يقيم في الإسكندرية**

*** مرج الكحل, متوالية قصصية للقاص منير عتيبة, منشورات ندوة الإثنين الاسكندرية 2007**

الذهاب إلى بئر الرغبات

" قراءة في قصص الكاتبة منى الشيمي"

اللافت في كتابات القاصة والروائية الصعيدية منى الشيمي, هو انشغالها باكتشاف الأنثى الساكنة فيها, من خلال البحث الواعي عن الآخر, الذي تريده, في مواجهة الرجل الذي ساقتها أقدارها وضرورات الحياة لمجاورته في رحلة الحياة.. لذلك نراها تدخل مغامرة الكتابة متحررة بقدر المستطاع من رقابة الآخرين, وصولا إلى اكتشاف ذاتها أولا, والوقوف على تضاريسها الداخلية المخبوءة, متسلحة بالمعرفة, هاضمة لروح الجماعة من حولها, باستيعاب العادات والتقاليد والمواريث الاجتماعية والتراثية, وإدراك سطوة البيئة التي تشكل الفاعل الأقوى في تشكيل الوعي الجمعي في البيئات المحافظة, وما ينتج فيها من أفعال وردود أفعال, يساعدها على ذلك امتلاكها لغة تمكنها من القبض على روح الكلام, فهي حكاءة تستدعي التفاصيل وتلضمها في عناقيد سردية مشوقة, تأخذ المتلقي إلى لهاث يوازي لهاثها للوصول إلى محطات الحكاية الأخيرة, ولعل ذلك ما يوهم البعض أنها تقدم تجاربها الذاتية, لكن الأمر أبعد من ذلك, فالكاتبة غالبا ما تنجح في سحب المتلقي إلى مساراتها ونيل مصادقه على تطرحه من رؤى وأفكار.. وهذه أولى عتبات التواصل القائم على الثقة المصحوبة بالانبهار بين المبدع والمتلقي..

في مجموعتها القصصية الثانية " من خرم إبرة " تدور جميع القصص حول علاقة الرجل بالمرأة, وتكون هي الراوي الأنا العليم أو الشاهد أو الضمني, ما يشي بأنها صاحبة رؤية خاصة في علاقاتها به, تقوم على استكناه رغباتها وشهواتها على مراياها الداخلية, قبل الولوج إلى عوالمه واختبار مدركاته..

في قصة " **من خرم إبرة**" تدخل اختبارها الأول, من خلال كاتبة مبتدئة, ترسل روايتها الأولى لكاتب مشهور لمعرفة رأيه, يتعلل بعدم وصولها ويعدها أن يحصل على الرواية من الناشر ليعطيها رأيا بعد أسبوع, يأخذها الوعد إلى أحلام مسبقة, تستحضره من خلال مؤلفاته, وتقيم معه حوارا حول قدرته على رصده مراتب الحب, اللهفة / التوق / الوخز / القلق / الوجع، ومشاعر أخرى..

بعد أسبوع تتصل, بعد أن اطلعت على رواياته ومقالاته وأحاديثه, وتسللت إلى أفكاره, يعتذر بانشغاله ويعدها أنه سيتصل بعد أسبوع, وتواصل رحلة الإبحار في مياهه والتعري على شواطئه.. يستبد بها الشوق لسماع صوته, فيأتيها الرد حاسما:

– سأتصل بكِ غدا أو بعد غدٍ

هل اتصل؟

وهل ما زالت تدور حول مركز الوهم.. وهل سيطول الانتظار؟ أم تراها تعود من حيث ابتدأت إلى أصل العلاقة؟

البحث عن لغة أخرى

هل يحتاج الجسد لجسد آخر يشعر بوجوده؟ لعل السؤال في صيغته البكر هو هل للجسد لغة وشفرات لا ينطق بها اللسان؟ وروائح تستدعي جسداً آخر احتياجا لدفء ما..؟

في **قصة عند حافة الدفء** نرى الراوية تراقب جارتها التي استغلت غياب زوجها وأولادها واستقبلت في الليلة الفائتة رجلا أنيقاُ, عبر إلى شقتها من شق الهواء, وها هي في الصباح تنزع الأوراق الجافة عن نبات الأصيص, ليبقى النبات نضرا متجدداً, كما جسدها الريان الذي يعلن عن حضوره ورغباته, فيما هي/ الراوية تعاشر رجلا يمارس الهروب, ويدعي النوم تحت الأغطية التي صنع منها خيمته أو كهفه, فيما الوقت يهزأ بها, ويطبع هالتين سوداويتين أسفل عينيها, تحرقها دموعها.. "**أمسكت بالإناء الذي سقيت به أصص الزرع في النافذة, ورميت به صورتي في المرآة، فتشظت وأحدثت صوتا عاليا، وتكسر وجهي معها إلى مئات القطع..**"

تقف في شقتها يفصلها عن حجرة نوم جارتها جدار يستند عليه سرير الجارة.. تذهب مع خيالها, ترى جارتها في الجهة الأخرى.. " **.. تتوسد ذراعه، تشكو له حال وحدتها، وتنعم بدفء حضوره، ربما انسدل شعرها فاسترعى انتباهه، وقضى وقتا, ويده تمشط لها شعرها، تشتعل, فتمسد له شعر صدره...خرجت إلى الشرفة..** "

تعود إلى حجرتها, زوجها يصرخ في رقيق حلمه, ويغطس في الشخير.. يأخذها الحلم, يأتيها الرجل الأنيق " دق بابي دقا خفيفا، فتحت فرأيته، يرتدي بزة كمونية، باذخة الأناقة، يضع عطرا أعرفه، يستخدمه زوجي عادة، لم أقل شيئا، وجدته يسحبني إلى صدره، يدخل ويركل الباب وراءه فيغلق، يرسم من فرحي صورا يعلقها على جدراني العارية، وأغزل من دفئه عباءة تدفئني.." **تستيقظ على جفاف الوقت, جارتها ما زالت تنزع الأوراق الجافة عن**

نبات الأصيص, تلملم هي نثار زجاج المرآة تجرح أصبعها وينفر الدم, وتصرخ بزوجها, محتجة لأن جارتها استقبلت زائرا غريبا, وهذا ما لا يجب السكوت عليه.."

هل هو صراخ الرفض مغلفا بالأخلاق؟ أم هو صراخ الرغبات غير المعلنة ضد الجفاف في علاقة غير سوية؟ أم هو الصراخ في وجه العلاقة الزوجية التي تتحول إلى عادة تفقد وهج الإشباع المتجدد وتقع في ذهول الصمت ما يحيل الحلم إلى بحث عن جسد يجيد لغة حاجة الجسد ويستبطن رغباته؟؟

ربما راودت هذه الأسئلة كاتبتنا في **قصة على إيقاع البندول,** نراها امرأة ريفية تجلس على عتبة دارها بعد خروج زوجها للسهر, توقد نارا تستجلب الدفء, وتسترق النظر إلى جارها البقال, وهو يقلب جمرات نار أرجيلته.. "**تلتقي نظراتهما في لحظة خاطفة مشحونة بكل ما حاولت إخفاءه.. تقول عيناها كلاما لا تريد أن تقوله, وتقول عيناه ما لا يريد سماعه..**"

وعندما يغلق دكانه تخزها إبر لما اقترفته من خيالات في غياب زوجها الذي أحبته منذ سحبها من سيالة الماء, ودثرها بجلبابه, فشمت رائحة فحولته, التي ما زالت تشمها كلما هم بها.. ولا تدري ما الذي يجذبها نحو الرجل الآخر, الذي كان قاب قوسين من الزواج من الفتاة التي أحبها. لكنها تعيش التمزق بين شهوة البقاء تحت سطوة نظراته والرغبة في الفرار..حتى كانت ليلة الاحتفاء بعودة أخ العروس تمهيدا للعرس, وغياب زوجها لإحضار التموين تطلب منه أن يمد خرطوم الماء لملء الزير فيفعل..تسبقه إلى حجرتها.. "**احتواها بين ذراعيه. كأنهما كانا في انتظار طيلة السنوات السابقة. أغمضت عينيها. رأت نجوما ملونة وبقعاً مضيئة تلمع في عتمة الإغماض، ورأى نفسه كحصان بري يسابق الريح. يقف عند النبع. يشرب، ويشرب**" حتى تدفق الماء خارج الزير هب وطلب منها أن تذهب إلى بيت خطيبته لترى كم هي عروسه جميلة, ولكنها تفضل انتظار زوجها الذي يشعر بالسعادة إذا وجدها مستيقظة بانتظاره لتعد له العشاء والماء الساخن..

أي حالة تدخلها المرأة, وعلى أي إيقاع تمارس رغباتها, وهل ما فعلته خيانة لزوج محب بالمعنى القيمي, أم استجابة لرغبات جسد غير معلنة لم يجرب ارتواء من ماء مغاير.. قصة محمولة على أكثر من تأويل, تحيل القارئ إلى منطقة محايدة بين التبرير والإدانة, وهنا تكمن براعة الكاتبة وجرأتها في التعاطي مع المحرم

جفاف الوقت.. جفاف الحياة

كيف تعيش المرأة عذاباتها إذا مات الوقت؟ وكيف يكون الجفاف بين القلب والبدن؟ ذلك ما يعوي في صحراء امرأة تأخذها الأسباب إلى دنيا رجل ليس لها أو إلى رجل هي له كما يريد..

في قصة ممر ضيق, دخلت حياتهما مرحلة التجاهل, وسارت إلى جفاف بين غريبين, تدور مع أيامها مع روتين العادة.. يناديها دائما يا هانم, تتمنى لو تسمع اسمها, تتشرنق بحزنها, على مائدة الطعام تتابع معلقته حتى تصل إلى صدره, تخشى لو تابعتها أكثر أن تلتقي نظراتهما..

هل ما زال بنظر أليها؟

تهرب إلى الحلم لتلقي برجل أسطوري تمارس معه شهيقها وزفيرها كما ترغب ويرغب.. تصحو على سؤال يقرعها:

- ما الذي يربطني بك يا رجل..

ويظل السؤال معلقا على مشجب العذاب, وسحابة الملل لا تمطر إلا ضجراً.. تبحث عن رجلها في بطون الكتب.. تحاول تذكر أين وجدته, عثرت في صندوق الانترنت..تبثه أشواقها ويشاركها في تفاصيلها الصغيرة التي لم تخطر يوما على بال زوجها.. تصبح معه امرأة عامرة راغبة, تجيب على أسئلته قبل أن يطرحها, هي من يبتكر السؤال, ومن يحدد الجواب, ويندلح معها فيضاً..

تعود إلى حياتها مع زوج يترك ابتسامته في حلقات السمر, وينسى لسانه عند الأصدقاء, تنتظر منه كلمة تعيدها إليه, فلا تجد غير الصمت, والصمت فقط قد نما في غفلة منهما كشجرة لبلاب نمت على الجدران واكتفيا بجمال منظرها رغم صدها الهواء..

تحدثها صديقتها عن قصة زوجة شابة فقدت زوجها وواظبت على زيارة قبره, تلتقي بضابط مكلف بدفن جثث جنود ماتوا في الحرب, فيكتشف فقدان جثة في الطريق, تتعاطف معه الأرملة الشابة, وتقترح عليه اخذ جثة زوجها, ودفنها بدلا من الجثة المفقودة, ولكنه يخبرها أن الجثة المفقودة مبتورة الساق, فتقترح علية بتر ساق جثة زوجها ودفنها.. يفعل الضابط ويفترقان..

هل يقدر الضابط تضحية الزوجة الشابة؟ وهل ثمة تشابه بينها وبين راوية القصة؟

لا جواب غير الصمت اللزج الذي يفصلها عن زوجها, ولا مناص غير الهروب إلى رجل ينتظرها في العلبة السحرية..

يسألها رجل العلبة إذا ما كانت تحب زوجها.. تتجاهل السؤال, وتتحول إلى قارورة تختزن كلماته وتعتقها..

هل هو الهروب أم الهزيمة؟ أم هو السؤال غير المعلن؟

- ما الذي يربطني بك يا رجل؟

سؤال بحجم الفجيعة, يصرخ فيها " **كيف يمكن اجتياز ممر ضيق بين رجل يعاشرها ويقترف الصمت, ورجل تستحضره تبتكر معه الحلم /الوهم افتراضا؟**"

وفي قصة **لمَّا ابتلعت جمرة,** نتابع لهفة استقبال الوليد الأول, مع تداعيات الزوجة التي زرعت نبتة في الحديقة كما كان بفعل أبوها كلما حملت أمها, وأسمت النبت "حياة", وعندما حضر زوجها أخبرته أنها حامل, فهتف بما عاشه وأجل النطق به طويلا:

- أحبك.

زوجها يصب حول بطنها قالبا من جص ويعلقه, ليخبر القادم انه كان يعيش في كهفه السحري, هو نفسه الذي أخذها إلى المعبد على هدي تعويذة فرعونية, وطلب منها النزول في البركة, لأن الماء المقدس يخصب المرأة العاقر, فتستجيب متعللة بفرحة الزوج بالآتي بعد طول انتظار..

في الشهر الرابع يخبرها الطبيب أن الجنين ذكر, فلا يترك زوجها لعبة ألا واقتناها له..

لكن ثمة شيء يرهص داخلها أن هناك شيئا ما يتعلق بالحمل, فتصطحبها أمها إلى شيخ يقيم في منطقة بعيدة, تخترق حجب البخور, ويخبرها الشيخ أن حاجتها عند الطبيب وليس عنده.. وبعد إجراء فحوصات لم تخبر زوجها عنها, تعرف أن وليدها سيأتي مشوها..

ما الجديد في هذه القصة التي يتكرر حدوثها لأن عن النساء اللواتي يتأخرن عن الحمل أو يتناولن عقاقير طبية لفترات طويلة معرضات لوضع أطفالا منغوليين أو مشوهين..؟

هل تطلق المؤلفة سؤالا أبعد من ذلك؟ وهو التناقض بين العلم والوعي يخلق خللا بسبب استبداد الخرافة حتى لدى المتعلمين ممثلة بالزوج, والأم, والصديقة التي تخفي أولادها عن عين العاقر خوفا من الحسد.. هذا الوعي لا ينتج علاقة سوية والطفل القادم إنما هو إسقاط على حال الذي يربط حبه لزوجته التي يحبها بحضور المولود, وكأن العلاقة اختزلت في الإنجاب واختزل المرأة كوعاء لتفريخ الأولاد الذين سيحملون اسمه..

في **قصة فستاني الأزرق,** تحلم المرأة التي اقتربت من سن الأربعين, أن العمر عاد بها عشرين سنة..يوم رفض الأب حبيبها الذي تقدم لخطبتها, وقد جبنت عن الزواج به بعيدا عن ظل الأسرة.. واعتصمت بصمتها ورفضها ولكنها في النهاية وافقت منكسرة, وتزوجت لتعيش حياة حيادية من زوج يقوم على واجباتها,وأنجب أولادا تقوم على واجباتهم, وتمارس أمومتها بكل جوارحها.. هو الزمن يدور والذكرى البعيدة لم تفارقها يوم قررت أن تلتقي به في الحديقة, ولكنها سرعان ما تعود مودعة الماضي, وتعود لتهيئة فستانها الأزرق الذي كانت ترتديه عندما تقابله, تعيد تفصيله ليناسب مقاس جسد ابنتها الشابة التي تستقبل الحياة بفرح.. تهتف الابنة:

- **هل هو جميل عليَّ كما كان جميلا عليكِ؟**

من الذي وأد أحلام بطلة القصة؟ وهل يكفي الانتماء للبيت والأولاد وممارسة الشعور المحايد اتجاه الزوج المكتفي بعلاقة تقليدية لممارسة الحياة واستجلاب السعادة!!

.. والأسطورة مخزن الرؤيا

هل تضيق الحياة على البوح بالمخبوء بين الحنايا, أم هو التباس الواقع المعاش بالحلم, ما يجعل الأمر أكثر غموضا في عالم ذكوري يأخذ الحياة إلى مفترقات غريبة عن نواصي الرغبات, ما يجعل الكاتبة تبحث في ثنايا الأسطورة عن, في محاولة دؤوب للعثور على أصل العلاقة والتعامل معها بمسمياتها..؟

في **قصة من علمك الأسماء كلها**, نعيش في عالم كفكاوي مع المرأة المكلفة بإعداد الطعام لرجل ضخم الجثة وأتباعه, تقدم تقريرا للحارس المكلف بمراقبتها "**يتضمن عدد شخرات الذكر المكلفة بخدمته، عدد حركاته، والكلمات التي تفوه بها أثناء يقظته ونومه**", فهي حارسة وعليها حارس.. تعد طعاما لا تتذوقه, لا تعرف إذا ما كان جيدا أم لا, ولا تدرك معنى أن تكون أنثى..

تسير على طرق مزروعة بأشواك ينثرها الحارس في مكان محاط بنيران تجعل الهواء لافحا, ويعاقب كل من يضبط متلبسا بالتفكير أو الإدراك إلى مكان أسوأ..

حتى كان يوما اخبرها حارسها, أن بها جمالا عجيبا ما أشاع لديها السعادة, وذكرها بأحاسيس مرت بها من قبل..وتتطور العلاقة بينها, وتستعيد إدراكها بكونها امرأة, وتمارس وعيها برغباتها وأشواقها وحاجتها لرجل تتماهى به, وتتكامل معه فتكتشف معاني اللهفة والغيرة والانتظار والرجفة ومراتب العذاب الجسدي والروحي والعاطفي, وتواجه الآخرين بكل ثقة وقوة, مصدرها الإدراك الذي يحاول الذكور سلبه منها, حتى تبقى تابعا محدد الوظيفة سلفا.. ولكنها وبعد أن تعيد محاكمة أحاسيسها, وتضع الأمور في نصابها تعلن عن حبه لها متحملة تبعات انحيازه إلى وعيها, فيصطحبها إلى البحيرة, وتفسح له طيقا بين ساقيها, فيصب جام شهوته فيها.. وتتأوه..

وعندما يكتشف الذكر المكلفة بخدمته أمرها, يقذفها بكتلة زفت حارقة فتشتمه, وتصرخ به

- "**يا غبي**"

يندهش من عودتها إلى الوعي بكينونتها, ويهمهم مهزوما:

- **من علمك الأسماء كلها ؟**

فهل يعلم الغبي أن ليس هناك خيال بدون حقيقة وليس هناك دوافع وشهوات بدون من ينتظرها ليستقيم حالة, وأن معاني الأسماء مع الفطرة الأولى موجودة..

وفي قصص كهفية محاولة لإعادة الأسطورة الأولى, وإطلاق العلاقة الأزلية بين الرجل والمرأة تعود إلى كهف المخبوء منذ بدايات الوعي بالحاجة, تقتفي دبيب الرغبات للوقوف على جذر العلاقة وكيف تنبت الرغبات على ضفافها بين شقي رحى السؤال..

في **قصة وازداد دلالها**, تمارس هي الذهول عند جفاف العلاقة, تبحث عن متطلبات وجودها مع رجل تستبد به شهوة التملك.. فترفض أن يواقعها في البركة قبل أن يصطاد غزالا صغيرا يؤطر جلسة الماء.

ماذا يفعل والغزلان هجرت المكان بعد الجفاف..؟

يعود إلى الكهف, ويأكل كل ما تبقى من غلال, ولا يترك لها شيئا ويختفي..فتتهم بغيابه, ويأمر الزعيم بذبحها, ولا يأمر بأكل لحمها, حتى لا يكون ذلك تصريحا بأكل اللحم الآدمي..

يتفاعل الأمر بين الرجال والنساء.. بعض النساء يغفرن لها قتلها لزوجها, وبعض الرجال لا يغفرون, وتساءل البعض:

" **هل يستطيع أي منهم أكل امرأة ضاجعها, واستنبت منها خلفاء له يشبهونه** " ؟

هذا سؤال الحقيقة, عن وجود مسوغات قيام علاقة متواصلة ومتجددة بينهما

أما **في قصة لوعة**, تدخل هي موال الوجد وتعلن عن حاجتها لمن تحبه, هي تريد ما هو أبعد من مائه, وتدفئة جسده لجسدها, وانبثاق تأوهاتها تحت رحى رغباته..

ماذا تريد أذن؟!

تريده بكامل حضوره لها, ووعيه بها, ليفتح نوافذ مكانا آخر في عقله وقلبه, يزيد أتون الشهوات اشتعالا بها

وفي قصة ثقب المخرز.. خيط متين, يلتقيا مرة في الماء, ومرات في العراء..يتزوجا ولا تحمل منه, يحاصرها الوسواس, وتخاف من رائحة نساء أخريات..

إذن, هو الولد ما يربطه بها..

حملت, وانتقلت من كوخ أبيها إلى كهف زوجها, بطنها رغيف زاد احمرارا.. وصارت تنادي أم زوجها "**يا أمي**" تأكيدا للانتماء.. وعندما عاد من غيبته سألها:

- ذكر هو أم أنثى؟

كانت على يقن أنه ذكر حتى قبل أن تلده, فهي قد وضعت في ماء بولها حبات قمح, وحبات شعير, نبتت حبات القمح, ولم تنبت حبات الشعير, سألته:

- ماذا لو كانت أنثى؟

أجابها بخيلاء انه سيظل يضاجعها حتى تأتي بولد يؤكد زعامته للقبيلة.

هل هذا هدف العلاقة الأول؟

أهو الإنجاب لإشباع غريزة التملك عند الرجل؟؟

في قصة النصب, يقام النصب في مكان مهجور, وتتناقل القبيلة قصة نصب الجميلة ابنة الحسب والنسب, وفي رواية أخرى الفقيرة ابنة صانع الأدوات, وقيل أن النصب أقامه رجل لترهيب زوجته التي يحبها, وقيل أن فتاة طاردها شاب غني ذو سطوة, فصدته واختفت لتقابل شابا وسيما, فهشم الشاب رأس الوسيم بحجر وضعه في قمة النصب..

تختلف الروايات ولكن تأويلها لا يخرج عن أن المرأة لا تسكن إلى رجل إلا بالحب

فهل هذا بيان منى الشيمي أيضا؟؟

أما قيل

فإن القاصة والروائية الشابة منى الشيمي, تملك أدوات السرد, وتقبض على الحكاية بيسر وسلاسة, وتفتح بوابات الاشتباك على مصراعيها.. تدخل عالم المرأة بإرادة المقتحم, وتناقش موضوع الجنس بعيدا عن الإثارة وبجرأة الباحث عن بواعث السلوك ومفجر الأفعال, يساعدها على ذلك ثقافة غنية, واستيعاب ذكي للموروث, ومعايشة عميقة للواقع, وتفنيد للموروث الجمعي الذي ترسب في وجدان الإنسان المصري.. ما يفتح التوقع الايجابي والمفاجئ لما ستطرحه في أعمالها القادمة, فالبدايات واثقة تشير إلى طاقة إبداعية واعدة..

في فيافي الغربة

" قراءة في المجموعة القصصية " بيت العانس" للكاتبة سحر توفيق"

في قصص "**بيت العانس**" تقف سحر توفيق عند فاصلة الذهول, أمام صقيع يضرب مكونات الحياة, ويأخذ أقدار البسطاء إلى الفقد والخسران, ويصادر عليهم الأحلام, وصراخ الاحتجاج.. فتلوذ بذاتها تتأمل فعل الزمن وترصد ما هو خلف الظاهر لاستكشاف عوامل الهدم والتدمير, الذي يثبت الأقدار عند سكون الموات, فيما الزمن لا يتوقف عن الاندفاع وتكريس عادات وقيم ومثل مغايرة.. فنراها في النص القصير جدا الزمن يمر " **تنتظر الحافلة, تصعد, تقف أو تجلس, تراقب البيوت والشخوص والإعلانات ولافتات المتاجر.. تسمع الضجيج.. وبعد سنوات تنظر في المرآة فتجد نفسها تغيرت** "

هل تغيرت أم اغتربت؟ وهل قدمت النص مفتاحا أو علامة استدراك مسبقة لما تريد توصيله للقارئ.. من خلال مغامرات نصية هامسة, يتفاعل فيها الذاتي مع الموضوعي, ويعكس الهم الفردي وجع الجماعة, في عالم البسطاء والفقراء الذين تنتمي أو تنحاز إليهم..

تداعيات في فيافي الغربة

عندما تسكن الروح حديقة الحلم, تبحث عن فضاء أجمل بعيدا عن ضوضاء الحياة, وتقتات على الحب والبراءة, وتعزف مع الموجودات نغما مشترك يجعل الوقت جميلا, لكن الزمن سرعان ما يفرض قوانينه الجائرة, ويعيث دمارا وفسادا, ويتجرأ حتى على الأحلام, فيهرب الماضي زمنا جميلا يسكن الذاكرة, يعد أن دُمرت الشواهد عليه, ما عدا خسران الإنسان والتداعي نحو الغياب, كما في **قصة شجرتا كافور**, فقد هربا بحبهما بعيدا عن ضجيج وزحام المدينة, وأقاما بيتهما في فضاء بعيد, زرعا شجرتي كافور قصيرتان, تطلان على الفضاء المترامي, عاشا متحابين, وكبرت الشجرتان, يغسلهما ماء المطر أو قطرات ندى البكور, ويسكنهما زوج كروان, يغني لهما ويحفظ أسرارهما..

لكن الناس زحفوا, وأقاموا لبيوت, سكن من يعمل في ملهى ليلي, يشق سكون الليل ببوق سيارته, ورجل كثير الأولاد يصرخ فيهم: **أريدكم رجالا ولا أسمع من أحدكم شكوى**, وضابط يترك سيارته في منتصف الطريق بحراسة جنود ينتظرون أوامره, وامرأة مع أمها يأتيها زوجها يوما في الأسبوع, تترك فيه الأم البيت, وعندما أنجبت لم تعد أمها إلى البيت.. زحف

عمال وموظفون, وارتفعت البنايات وتزاحمت وتآكل الفضاء وقطعت الأشجار وزادت الأتربة وقرر الناس أن الشجرتين تحجبان الهواء, و هما مصدرا للنفايات لكثرة ما يتساقط منهما من أوراق جافة, فنزع أولاد الرجل كثير العيال اللحاء عنهما فذبلتا, وسارتا إلى الجفاف, ونثرتا بذورا جافة لم تتمكن من النمو في بلاط الطريق.. ماتت شجرة منهما ببطء كما مات احدهما" الزوج", وقطعت حطبا للتدفئة, أما الثانية فقد عالجوها بالجاز لقتل جذورها..

فهل تقف القصة عند كونها, معزوفة رومانسية حزينة عن الزمن الجميل, والحياة مع البراءة بعيدا عن ضوضاء المدينة والزحام الذي يلوث البيئة, ويقتل البكارة في النفوس, ويلوث البياض في السرائر, أم هي صرخة إدانة للتمدد العشوائي الذي طال كل مناحي الحياة, وأصبح سمة الحياة في القاهرة والمدن الأخرى؟؟

وفي قص**ة بيت العانس**, تعيش الراوية صقيع الوحدة, تلوذ بالحلم, وتنداح مع الأشواق واختبار العواطف والرغبات.. وتعود إلى محاكمة ذاتية بعد فوات الأوان, لكنه فجأة يطل عليها من نافذة الحلم..

كانا زملاء فصل دراسي واحد وجيران لبيتين متلاصقين, كان مندفعا نحو الحياة, يعب كؤوسها ما استطاع إلى ذلك سبيلا, أينما حل, يثير الدهشة والأسئلة أينما حل, وكانت هي تهرب منه إليه, متسترة بكتاب تقرأه بينما هي تقرأ كل حركة وهمسة تصدر عنه.. تنتظره في الليل.. يعود متأخرا متسللا, يقفز عن سور الحديقة إلى حجرته, ويطلب منها أن لا تخبر أهلة عن تأخره, وتسأله دائما:

– ماذا كنت تفعل في بيت العانس؟

– كنت أتفرج على ألبوم صورها..

يدعوها إلى الحديقة فتحاججه في أحوال الرجال, ويحاججها في أحوال النساء, أيهما يملك لجام الآخر ويقود دفة الحياة.. لكنه رحل وتركها مسمرة عند فاصلة الانتظار تهاجس نفسها بحقيقة مشاعرها " **ما رأيتك ترحل, وما أردت أن أراك ترحل, أسألك وأنا أمام الإحساس بالندم.. لماذا رحلت حينئذ.. وما الذي أقحم وجهل في حلمي هذه الليلة..**".

تُسقط حالها على شجرة وحيدة امتلأت بأزهار حمراء في طوبة, فهل أزهر حلمها في غير موعده, وهل مازالت في البيت الصغير القديم, تطل على شجرة مانجو كبيرة تظلل الحديقة..يحضرها.. تراه يتسلل إلى غرفة نومه, وهي الوحيدة لا يتسلل إلى بيتها أحد ليتفرج على البوم صورها " **الماضي الجميل**" كما كان هو يفعل في بيت العانس..

وفي قصة **أطياف الخماسين**, تهويم الخوف والشوق, والمرأة مثل شجرة وحيدة تقاوم بأذرع معرقة بالشقوق, تنتظر ضيفا يشرب من ماء الزير ويرحل.. أسفل الزير تتساقط قطرات الماء,وينبت عشب أخضر تتوسطه زهرة صفراء..

هل هو الفقد؟ أم العذاب؟ أم انتظار بعيد ربما يأتي؟!!

وربما..

مكابدات مدار الهامش

تقف الكاتبة شاهداً مبهوظا منكسرا عند حافة الشلل, أمام التغيرات التي أحدثها الانفتاح, الذي قذف الكثير من الشرائح والطبقات إلى مدارات الهامش, وكرس القيم والعادات والتقاليد الطارئة, التي تعتمد النجاح والطموح الفردي بديلا وخيارا وحيدا, يحيل الهم الجماعي طيفا باهتا, ويضع المستضعفين في مارثون الحفاظ على الذات عند نقطة سكون خاسرة, لا يملكون غير الوعي المريع بفداحة ما آلت إليه أمورهم

في **قصة وقرن في بيوتكم**,خليط من الهواجس والمشاعر, والأسئلة تصطرع في رأس موظف متعب في رحلة العودة من العمل.. يجلس في الأتوبيس, وتقف إلى جانبه امرأة مسنة..يتذكر مجهوده مع ابنته في حفظ كلمات جديدة, ويستعيد حياته الجافة مع زوجة مسروقة بين العمل وطلبات الأولاد, تمر أيام دون أن يكون بينهما كلام, وزملاءه في المقهى افتقدوه لأنه الخاسر في اللعب دائما, وعليه يدفع الحساب.. يتساءل: لو لم تخرج النساء من البيوت تصبح الحياة أسهل, ولو بقيت زوجته في البيت لأصبحت حياته أفضل, لكنه ضيق ذات اليد,. .زوجته تسبقه إلى الأتوبيس كل صباح, وتنجح في الركوب مهما كان ازدحام الركاب.. المرأة الواقفة إلى جانبه تصطدم به وتتأسف.. يقترب من محطته, ويقوم محاولا أن لا يسبقها أحد لمقعده..

– تفضلي.

لماذا تعاطف معها, وأعطاها أولوية الجلوس مكانه؟ هل هو الإقرار بما تعانيه مثله لمواجه ظروف حياة لا ترحم؟؟ وهل هي الخاسرة مثله في لعبة الحياة, وأن عليها دفع الحساب من حياتها وسعادتها!!

وفي **قصة وجه الزمن**, يأخذ الروتين الحياة على منوال واحد, هو الوجه الآخر للموت, وراوية القصة معلمة تمارس مشوارها اليومي إلى المدرسة, وتقيم علاقة اضطهاد عجيبة مع مدير شئون العاملين الذي تنفحه ست علب سجائر شهريا, ولكنه لا يتورع عن وضع الخط الأحمر تحت اسمها, إذا تأخرت بضع دقائق, تستمع لشكوى حكيمة المدرسة من كثرة الحوامل بين المعلمات, وتراقب من بعيد والأستاذ يحى المجهد, وهو يعد الجميع بمراعاة ظروفهم عندما يضع الجدول النهائي.. لا تلتفت لتحريض زميلتها زوجة الضابط, التي ترتدي الملابس غالية الثمن, وتفتقد إلى ذوق عند الاختيار.. تقف ذلك الصباح في ذات المكان من طابور الصباح.. وتدخل الفصل كالعادة.. لكن ثمة صرخة ترج المدرسة..

الأستاذ يحى سقط ميتا, بعد أن أعطته الحكيمة حقنة حسب وصفة الطبيب.. يتبارى الجميع لتقديم الواجب, يقرر الكل أن تليق الجنازة بالفقيد العزيز, فيما الراوية تهاجس نفسها " كلنا يعرف ما عنده ولكن كلنا ساعدناه على الموت"

من قتل الأستاذ يحى؟

هل هو انكسار المجموع أما التغيرات الطارئة؟ أم هو الحال الذي يقود إلى الموت المبكر قبل أن يمارس الفرد ما يشيه الحياة..؟؟

ذلك اليوم كان اطل الزمن بوجهه الهازئ يتحدى:الأستاذ يحى لا يحيا

قصة **عشم إبليس**, وسط زحام مدينة القاهرة, وبين السيارات وزحام الأرصفة واكتظاظ الباعة, ثمة رجل قصير أنيق يغني

"يا اللي بتسأل عن الحياة..خدها كده زي ما هيه

فيها ابتسامة, يقطع الغناء"عشم إبليس" ويواصل

فيها آه.. وفيها أسيه وحنيه

فهل يستطيع القصير بلوغ ما يتمنى؟ أم أن الأماني تجاوزت قامات البشر, ولم تعد في المتناول إلا في الأحلام..

وفي **قصة ثلاث أوزات وفرخ وحيد**, تتأمل الراوية المشهد, والحال هدوء نسبي في ميدان الجيزة, بالمقارنة مع ازدحام ساعات الذروة, وتتابع ثلاث نساء وطفل في الرابعة أو الخامسة من عمره, يظهر بينهن بسعادة بلهاء, لا يدري ماذا يفعل.. النساء يرتدين عباءات على النمط الخليجي, وغطاء رأس, فتبدو الواحدة منهن من حريم أيام الإمارات الإسلامية الغابرة..

تستصبر الراوية سلوكهن, وتعطي لكل منهم اسم ا,وتتخيل ماذا يمكن أن يكون وراء التصرفات, وتشرك القارئ في تركيب الحدوتة على منطق ما هو حادث في الحياة..

تستجيب الجميلة سنية, وهي أم الطفل حوده إلى مناوشة عبود, أحد صبيان الموقف, الذي يدعوها بحاسة شهواته لشرب حاجه ساقعه, فتواصل معه بحوار يحمل لغة ملغزة!!

" **– حاجه ساقعه إيه مش كفايه انتَ؟**

– أنا ساقع يا بنت ؟ دنا سخن قوي!! "

وتتواطأ هنيه وهي اقل جمالا مع سنية في مجاراة عبود, لعلها تحظى بشيء, فتهدد نبوية قليلة الحظ من الملاحة, بإبلاغ المعلمة, وتأخذ الطفل بحنان إلى حضنها, وتشهده على ما يحدث..

وفي السيارة تدور معركة بين نبوية وسنية, وتسحب هنية الطفل إلى حضنها, وتأخذ دور المحايد, يتدخل السائق لوقف العراك ويهدد بإبلاغ المعلمة, فتتحالف المرأتين في الهجوم علية لتدخلهما في خصوصياتهما, وتسحب سنية الطفل الذي يشعر بالأمان وتعاتبه..

عند هذا الحد تصل الراوية إلى محطة سكنها في الضاحية .. تهبط من السيارة باتجاه بيتها, تسير على إسفلت مغطى بأوراق أشجار دبقة بفعل ما التصق بما من العوادم.. وتستكمل الحكاية بتوقعات محتملة, فقد تكون المعلمة قوادة, أو صاحبة مقهى يعملن عندها, أو تاجرة تزودهن بالبضائع لبيعها..

لوحة تبدو للقارئ سيريالية ولكنها مكونة من مفردات شديدة الواقعية..

لماذا ثلاث نساء؟ هل هن ثلاثة أنماط من البشر؟ أم هن امرأة واحدة في ثلاث حالات, بين النشوة والرغبة والحرمان, والطفل ما هو موقعه؟ هل هو الجيل الذي ينتظره مستقبل مقلوب, في غياب أب أو موته أو عدم وجوده واقعا شرعيا!!

والى أي مدى تشكل الحياة العشوائيات والأحياء الفقيرة مشهدا شكل صفاته وبات ملحا بغرائبيته على صدر مدينة لاهية بفوارقها الطبقية والاجتماعية؟ وما الذي تريد الراوية توصيله وهي من سكان هذه البيئات, وتشكل أحد مفرداتها

هل صرخة هي تصدرها في فسحة قلما تتوفر مثل الهدوء النسبي الذي يوفر بعض تأمل ويسحب الفرد إلى همومه الحقيقية؟ أم هو اجترار الألم لتأكيده على جلود الآخرين!!

ربما كل ذلك وغيره ولكن الراوية أخذتنا من تأويلاتها وأشركتنا في تخيل تفاصيل أخرى تصب في مرمى الحالة..

<u>والهروب إلى أسئلة الحيرة</u>

في **قصة السنترال الآلي**, يتأمل عوض سنترال تمثال رمسيس المقطوع القدمين, وينظر إلى عيون نفرتاري التي تشبه بائعة الفجل التي أحبها في شبابه,.. ورمسيس ما زال مطروحا على الأرض وقد نالت من الرطوبة منذ نقلوا أخاه إلى الميدان البعيد, وسط تشييع نساء القرية تشييعا يلق بعزيز لن يعود.. تلح عليه ذكريات يوم داهم الجنود بيوت,قريته التي بنيت من بقايا حجارة المعابد, بحثا عن حجارة قديمة, يومها شحذ سكينه وأزاح الصندوق عن حجر في الجدار,وأخذ يطمس الرموز المنقوشة عليه, ويختزنها في عقله, وعندما انتهى ربت أبوه على كتفه وقال:

– اليوم أنجبت رجلا..

وها هو يقف اليوم عاجزا, في مواجهة السيول, التي أخذت ثلاثة من رجال القرية, وعطلت بعض التليفونات منها تليفونه, وقطعت عليه سبل الاتصال بالبدرشين لإصلاحه, وهو من أخذ على عاتقه إصلاح تليفونات القرية منذ عمل في سنترال البدرشين, قبل أن يعمل في المصنع

الجديد, وأطلقوا عليه في القرية لقب عوض سنترال, واليوم يعجب احدهم من غـــدر الأيـــام, ويطلق المفارقة نكته:

– عوض سنترال يتصل بالسنترال!!

يغادر المكان عائدا إلى القرية, ويفتح كابينة السنترال ويقف عاجزا أمـــام ضـــفيرة الأســـلاك الرفيعة, يعبث فيها, فيدوي انفجار يدمر الكابينة, ويصيبه بحروق في وجهه ويديه.. وتضيء في رأسه الرموز إلي ادخرها في ذاكرته..

أي رسالة تحمل هذه القصة المغزولة بمهارة,تجاور فيها التاريخ والتـــراث والفقـــر والجهـــل والتدفئة على نار القوالح والسنترال الذي يعمل بفعل طاقة الالكترونات؟؟

قصة مكتظة الإشارات والرموز والشفرات, واستحضار الماضي والحاضر, والعلم والجهـــل, والتطور والتخلف, ما يدفع القارئ إلى العديد من الأسئلة الملحة والتي في مجموعها لا تـــدين عوض, ولكنها تنحاز إلى أن ما قام به هو ثورة على واقع شاذ, يأخذ الحياة إلى الخلف رغـــم مظاهر التحديث المتاحة, وكأني بالكاتبة تتساءل أيضا:

– أين الخلل؟

هنا التساؤل ليس من باب الجهل بالأسباب, ولكنه وخز ذكي نحو البحث عن وسائل الخـــروج من البلبلة.. ولعل **في قصة عودة**, ما يجيب على بعض الأسئلة, فهل يموت الإنسان باختيـــار غيره؟, وهل الموت هو خروج الموت من الجسد, أم هو الذهاب إلى الغياب عنـــد خـــسران مبررات الحياة..

جدلية الموت والحياة يطرحها الراوي العليم, قصة ظاهرها الكوميديا وباطنها المأساة, فالنساء يجتمعن لأداء طقوس الرحيل, حسب ما تعارف عليه المجتمع المصري في الريف وأطـــراف المدن, ينحن ويرددن, وتتقصف شفاههن وتدمع عيونهن ويغطسن في غيبوبة الفقد, فيما الرجل العجوز مدفون تحت الأغطية, يعد أن عزف عن الطعام والشراب..

يحضر الابن بعد طول انتظار, ويطلب من أمه طرد النسوة النائحات, يصحو الغـــافي تحـــت الأغطية معاتباً:

– جئت أخيرا

همس بالقرب من أذن أبيه:

– لا تدع النساء ينتصرن عليك, أنا لا احتاج إلى أب ميت!!

يبتسم المريض ويشير له أن يقترب, ويخرج صوته واهنا:

– يا ابن الكلب..

يطلب منه الابن أن يكف عن التمثيلية ويطلب من الأم تحـــضير المـــاء الـــساخن والطـــشت والعطر, يقوم بغسله وتدليكه ولفه بالأغطية, ويتركه ليعرق..

وفي المساء كان يصيح يطلب طعاما!!

والسؤال التي تقذفه القصة هو متى يحدث الموت الحقيقي؟

هل ه عندما تفارق الروح الجسد؟ أم عند التهميش وانعدام لغة التفاهم, وغياب البراءة والحب والاهتمام من الوسط المحيط!!

قصة خداع البصر, عندما عبر المترو النفق, سألت امرأة تشبه نفرتاي ولكنها شاحبة ممصوصة تسأل عن محطة التحرير, رجل أشيب ممصوص يخبرها أن المحطة القادمة هي محطة سعد باشا زغلول, والتحرير بعدها, ورجل آخر يرد: القادمة محطة سعد زغلول.. والراوي يقرأ في الجريدة" لا مزيد من الأعباء للمستثمرين" عصب العين يرسل إلى الدماغ كلمة مزايدة بدلا من مزيد, ويواصل " أن الإعتمادات للمستثمرين يعني مزيدا من فرص العمل للشباب" لكن عينه ما زالت ترسل مزايدة بدلا من مزيد..تستعد المرأة للمغادرة, قال أحدهم المحطة القادمة سعد زغلول, رد العجوز الأشيب سعد باشا زغلول..

لفته ذكية وهامسة تقارن بين زمن سعد زغلول باشا الزعيم " مصر للمصريين", وزمن الانفتاح ومترو الأنفاق ومشاريع الاستثمار, ومصر "نفرت" التائهة المحتارة الكالحة المجهدة اللاهثة وراء الفرص المخادعة..

و**في قصة ربابة**.. آبا علي, شجن بمذاق آخر, يلتقي الجميع بعد صلاة العشاء في زاوية الجامع, حول جمرات القوالح, وأنفاس الجوزة المغمسة بالحشيش الذي يتوفر صدفة في كل مرة, وكأنها هبة من السماء..وكان في بعض الحالات ينضم إليهم البستاني وابنه البناء.. يستمعون إلى حكايات عجوزين يتباريان بالكذب "الفشر", يعتمدان على مخزون خيرة المعايشة مع الحياة..

يستجيب آبا محمد إلى احدهم, ويحدثهم كيف كان يطعم القرية سمكا عندما كان يعمل صيادا, ثم يحدثهم كيف اصطاد القرموط العملاق بعد أن اعد العدة وكيف وصل برأس القرموط إلى الدار وما زال ذيله في الترعة, ما يجعل آبا على يقاطعه ويحدثهم عن زيارته لسوق النحاسين في المدينة فوجدهم يصنعون قدرا ضخما وعندما زار السوق بعد ثلاث سنين وجدهم لم ينتهوا من صناعة القدر..

تلهب الحكاية آبا محمد فيشكك فيها فيرد عليه أبا على: حتى يتسع القدر لقرموطك.. فيجر آبا محمد نظيره للحديث عن عائلته وخاصة جدته..

يتحدث آبا علي عن جدته ميمونة بشجن ممزوج التقدير والحزن, فقد كانت امرأة قوية يخافها الرجال وأزواجها, وهي التي أنزلت جندي الهجانة عن ظهر الهجين, عندما نعتها "يا مره" وتسببت في معركة حامية الوطيس بين رجال القرية والهجانة سقط فيها الكثير من الرجال والكثير من الهجانة, وعندما انتشر الجنود للبحث عن المرأة التي فجرت المعركة وشى بها

زوجها للتخلص منها, فأدركت خيانته وحبسته في الصندوق, وتسللت من باب الزريبة, ثم أجبرته على طلاقها..

يصمت آبا علي, ويسود الهدوء فيسحب ربابته ويعزف محدثا بأخبار ببعض أخبار الزناتي خليفة, وقصة عزيزة ويونس.. تم يعزف منفردا فيشعل شهوة الرقص في الحضور, فينهض البستاني وابنه إلى الرقص يحاكيان خطوات الخيل وتحليق الصقور..

أي أسئلة تقبع في ثنايا القصة, وهل في الهروب جفاف الواقع, اعتماد ما فوق الواقع وسيله مقاومة لبؤس الحال؟ وهل في الهروب إلى الحشيش في زاوية الجامع ذهاب إلى وجد قدري يزودهم بطاقة الصمود؟ وهل العودة إلى الماضي استنكار غير معلن للحاضر, وهل المزارع والبناء مهما المنتجان, هما من يملكان الوصول إلى المستقبل بقوة الخيول وتحليق الصقور, لأنهما صناع الحياة؟؟

وهل هذا ما أرادت سحر توفيق تفجيره في فضاء الحكاية؟..

<u>وبعد:</u>

فنحن مع كاتبة على وعي بشروط الكتابة, ورسالة الفن, تبحث عن نص مختلف, تملك لغة هامسة ومحسوبة وحكاية سلسة طيعة, تلوذ بالحدوتة بمقدار وتلعب مع المفارقة بحساب الفن, وتشكل الفنتازيا بأدوات ومفردات الواقع, وتنثر عذاباتها بعد طول تأمل في عذابات المجموع, الذي يدفع الضريبة في زمن الأقوياء الذين يمتطون الزمن, وتستلهم طبائع البشر وتستقصي دوافع التصرفات والأفعال, تتعامل مع واقع المرأة وقضاياها بشفافية المشارك والمهروس كما الرجل, وتنثر الأسئلة أمام المتلقي مفتوحة للتأويل والاشتباك..

*** سحر توفيق قاصة وروائية ومترجمة تقيم في القاهرة أصدرت عدة روايات مجموعات قصصية**

*** بيت العانس مجموعة قصصية صدرت عن الدار للنشر والتوزيع 2006**

مارثون مفارقات القهر

" قراءة في المجموعة القصصية " إحراج " للكاتبة نادية كيلاني "

في مجموعتها القصصية إحراج, تطرح الشاعرة والقاصة **نادية كيلاني,** أسئلة الحياة والفن، ترتكز على مخزون معرفي وإلمام واضح بشروط الكتابة، وحضور واعٍ يقظ يضعها دائما في دائرة الأرق والدهشة، ورغبة جادة في إعادة ما تعيشه وتعانيه في بنى قصصية تملك شروط النجاح مصحوبا بالتميز والإضافة إلى منتج القصة القصيرة، حقلها الأثير مكابدات الإنسان المصري الذي يحمل رغبة صادقة فى الحياة، ويبذل أقصى جهد مشروع لجني بعض متعة وبعض راحة وانفلات من قسوة لا ترحم تستهدفه نفاية من نفايات الاصطراع اليومي، فنراها مسفوحة عند حدود ما يسد الرمق.. وتارة على مذبح آخر لا يقل ضراوة كامرأة تمارس وعيها بذاتها لنيل حقوقها في مجتمع ذكوري تأسس على قيم وعادات وتقاليد تنفيها إلى أقصى زوايا الهامش.. لذلك تعيش البحث عن البدائل الفنية عند الكتابة، فتجرب المفارقة والهروب إلى الحلم لاستدعاء المسكوت عنه أو غير المعلن المختزن في الباطن، تؤسطر كوابيسها.. لا تملك غير الصراخ مصحوبا بالسخرية التي قد تصل إلى حدود اللاواقعي المجنون..

وكاتبتنا الشاعرة تملك ثراءً لغويا يطوع العبارة ويحملها الإشارات، وتملك الانديا ح وراء هواجس القلق، وتمكن لافت من إدارة الحوار وصولا إلى الفكرة، وعلى جانب آخر التزام بموقف أخلاقي يتكئ على التزام ديني مستنير..

الهروب تحت عباءة الوهم

كيف يواجه بسطاء الناس أسباب الحياة؟ وبأي الوسائل والأدوات؟ والواقع من حولهم يفرض الفقر قدرا يلتصق بجلودهم، وهل يتعاضد الناس كما في الأزمان الذهبية الغابرة؟

في **قصة من الشوك العنب,** تستدعي القاصة حكاية أبي حنيفة المنذر النعمان الذي توسط لجاره العربيد, وأخرجه من السجن عملا بحق الجيرة, فكف عن النواح ..

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

والراوي ينعى حظه أمام عثرات الوقت ويردد..

إن حظي كدقيق فوق شوك نثروه ثم قالوا لحفاة يوم ريح اجمعوه

فنراه يهرب بعيدا عن المحظوظين الذين يردون كل أمر إلى العقل، ولكن بعيدا عن العقل ها هو يقام من أجله المؤتمر الأول لتعديل الحظوظ, ويتابع باهتمام نتائج بحث عن جمع الدقيق المنثور على شوك، بإجراء سلسلة من عمليات الغربلة والفرز والذوبان والتجفيف للوصول إلى خبز يأخذ من الشوك جميع الفيتامينات والقيمة الغذائية لجميع الفواكه، ويحتوي على مضادات الأمراض جميعها، مما يجعل الخبز المصنوع من ذلك الدقيق أملا في إسعاد البشرية والقضاء على الأمراض, ما يسبب طول عمر البشر على الأرض.. وعندما يوزع الباحث عينة من الخبز المكتشف يتسابق الحضور لالتقاط الأرغفة، فيحظى الراوي بكسرة عندما يمضغها تعلق شوكة في حلقه.

وفي قصة هذا الفراغ الجميل, يعاني راوي القصة من الأرق الليلي الذي يسلبه النوم, فينفذ توصيات الطبيب:

- عليك أن تفرغ رأسك من هموم النهار.

يهز رأسه فيذهل من مقدار ما يختزنه الرأس من معلومات، ويندهش من كثرة المعلومات في المواضيع التي لم يكن يكترث بها ويعتبرها هامشية مثل أخبار نجوم السينما والفن، والذين لم ينشغل بهم كثيرا، وكذلك أخبار الرياضة والملاعب وهو الذي لم يشجع فريقا معينا، ويكتشف أن هذه المعلومات تراكمت زمنيا وخزنها العقل الباطن، والذي فاجئه أكثر ندرة المعلومات عن حياته وعملة وتخصصه..

رتب المعلومات في حزم ووضع ما يخص العقل الباطن تحت السرير وما يخص الوعي الحاضر على أرفف فوق السرير..

شعر كم هو نشيط وحيوي بعد أن افرغ رأسه, يملأه شعور عارم بالحياة فيقرر أن يعيش حياة رائقة وهانئة..

نهض من نومه مبكرا والزوجة والأولاد يغطون في النوم وانطلق يستقبل النهار على الكورنيش سعيدا ويرى أشعة الشمس تسقط ببراءة على مياه النيل.. فيقرر قضاء نهاره بعيداً عن أجواء العمل.. ويعود إلى بيته فى نهاية اليوم ليجد زوجته متنمرة تتهمه بالتغيب عن العمل لقضاء اليوم مع سكرتيرته التي تغيبت بالصدفة عن العمل..

فهل تخفف من حمولة عقله وما ترسب فيه من خليط عجيب متنافر؟

وهل لو تمكن من ذلك يمكنه أن يعيد خياراته وكل من حوله يعيش بحمولة عقل مشوشة لدرجة المرض؟؟

هل يمكن الهروب من حصار الواقع بالصعود على المعاناة الفردية واستدعاء سعادة موهومة وضحكا مغلفاً مخادعاً كما تتصرف بطلة قصة اكتئاب موثق التي تتظاهر بالسعادة الأمر الذي يثير من حولها فتقرر أن تندمج مع الواقع وتطلب فنجان قهوة سادة وتتصفح الجرائد فيصدمها

البنك الدولي الذي ينتقد أساليب مصر في الزراعة، والصناعة، والتجارة، والتنفس, وفي صفحة الحوادث تقرأ عن رجل يقتل صديقه بسبب ربع جنيه وطفل يتزعم عصابة لصوص ومدرس يوزع الهروين ومئات الحرائق تشتعل في مخازن القطاع العام لاقتراب مواعيد الجرد السنوي..

فهل في ذلك ما يدعو إلى الضحك ويبعث على السرور في مجتمع اختلت موازينه ومعاييره وتشوهت فيه العلاقات بين البشر، وجعلت الجميع يعيش التناقض بين الظاهر والباطن كما ترصده الكاتبة في **قصة احراج**, فالجميع مستبد ومظلوم فرئيس السعاة يعاقب عامل الأسانسير بسبب تأخره في طابور الخبز، ومدير الأمن يعاقب رئيس السعاة بسبب شائعات تتناثر من حوله، ورئيس مجلس الإدارة يعاقب مدير الأمن بسبب تأخر الموظفين عن الدوام، ويعاقب رئيس تحرير صحيفة أسبوعية لنشر أخبار تافهة، ورئيس مجلس الإدارة يرافق الرئيس في زيارة للدولة العظمي فيطلب منه الرئيس الاستقالة من عمله وعدم دخول الانتخابات الجديدة لأنه أصبح كرتا محروقاً، والرئيس يقف مصدوما أمام رئيس الدولة العظمى الذي يقرر بكل صلف أن السلام لا بد أن يكون بشروط الدولة العظمى ويخدم مصالحها..

سلسلة يبدو فيها الجميع مستلبا ومحرجا يعيش السلطة والخنوع في ذات الوقت, الوحيد الذي يستطيع اختلاس بعض لحظات صفاء وانتصار هو عامل الأسانسير الذي يشاهد التلفزيون مع زوجته وأولاده يتسلون باللب والترمس ويضحكون على رئيس الدولة العظمي وهو يداري دموعه أمام اعترافات المرأة ذات الفستان الأزرق "إشارة لفضيحة كلينتون /مونيكا"..

استهداف مسبق

هل هناك نية مبيتة ضد المرأة؟

وهل حدد الرجل دورها في عالمه فكانت الضحية المؤكدة؟

أسئلة تطرح قضايا المرأة, في مجتمعات ذكورية مستلبة, تقع تحت مطرقة أنظمة شمولية جائرة وسندان البحث عن وسائل وطرق تحرير الإنسان، وممارسة الديمقراطية التي تصون الحريات والحقوق..

أين تقف المرأة من هذا العالم؟ وكيف تدير معاركها وكيف تواجه أقدارها؟ بالتمرد، أم بالدفاع السلبي، أم بالتشرنق في المواريث التي ما زالت تحرك أفعالها، وتحرض تصرفاتها..

في **قصة لحظة تسليم**, تقف الأرملة الفقيرة عاجزة أمام ابنتها الطفلة التي أخذها المرض على حين غرة.. في المستشفى لا تملك فير النواح على البنت الجميلة الذكية المتفوقة, وكيف باعت حلة النحاس آخر ما تملك من جهازها لتستري لها حلفا من ذهب حقيقي خالص تتباهى به

على قريناتها.. كل من حولها في المستشفى يتعاطف معها, الدكتور والممرضة يسايرانها.. تمشط شعر المريضة وتقلم أظافرها وتغسل وجهها فتبدو قمرا.. تغير ملابسها, وملاءة السرير.. لكن المريضة تتسلل فجأة إلى نوم أبدي.. لم يبقى منها غير حسرة ترسبت في أغوار الأم حلق من ذهب خالص.. على من تتمرد المرأة أمام عجزها عن إنقاذ فلذة كبدها ؟؟

وفي **قصة دعوت الله،** تقف المرأة التهمة بقتل زوجها مدافعة عن نفسها، وتسترسل في تفاصيل وتساؤلات بعيدة عن تفاصيل الجريمة ظاهراً.. تتساءل عن شعار العدل المرفوع فوق منصة الحكم وهو امرأة معصوبة العينين تمسك بميزان العدالة, تتساءل: ماذا لو رجحت كفة الظلم فهل هي التي تكيل بذلك؟ وإذا رجحت كفة العدل لماذا هي محرومة من رؤيته!!

سؤال تطرحه المتهمة، التي طالما دعت الله أن يهبها شامتين لكي تغدو جميلة مثل صديقتها.. تعيش مقموعة بجمالها المتواضع, حتى ظهرت شامة على خدها مع قدوم خراط البنات، الذي دوّرها فأصبحت عروسا.. دعت الله أن يرزقها بزوج، فرزقت برجل كبل حريتها, وعندما طلبت الانفصال اكتشفت أنه صاحب الحق وحده في ذلك.. فحاولت التخلص منه لكن الله أنقذه من الموت بسبب بلاغ من مجهول, لم تكترث العدالة بالبحث عنه.. والمفاجأة في القصة أنها هي ذلك المجهول الذي أبلغ لإنقاذه!!

وهنا سؤال الألم:

هل تستطيع المرأة التي هى مصدر الحياة أن تقتل الحياة؟

لعل ذلك ما أرادت الكاتبة توصيلة لتضع الرجل أمام سؤال القتل الذي يمارسه بحقها على مدار الساعة.. والذي يطاردها حتى بعد موته كما في **قصة أبو الولد،** حيث تأخذ من السخرية السوداء ممراً لتوصيل الفكرة، فنرى أبو الولد المتوفى، لا ينفك عن مطاردتها في أحلامها يطالبها بتربية ابنه تربية باذخة وأن عليها أن تقدم له كل متطلبات ومتع الطفولة، حتى ينمو نموا طبيعيا، تخبره أن الولد يحطم الألعاب التي تشتريها له، وتشده أفلام المصارعة والرعب.. فيشير عليها أن تدمجه مع صغار في مثل عمره، فتخبره أن تصرفات الولد أكبر من سنه وإدراكه أقل من سنه شأنه شأن أولاد جيله.. وتعلن عن عجزها فى تغذية الولد بسبب الأوبئة المنتشرة، وعجزها عن تربية الولد بسبب التشابه الشديد بين الجيل كله ما يغضب أبا الولد, فيصرخ معاتبا مزمجرا، فهو ولد واحد فكيف لو كانوا عشرة كما كان حال أمه، ويتمنى لو يأخذ الولد عنده..

أي سخرية تقذفها الراوية في وجوه الرجال الذين يمارسون الحضور السلبي في حياتهم وبعد مماتهم أيضا,..يتجملون بالوعي الذي يتكسر على محك التجربة، ولعل ذلك ما ترمي له **قصة عباءة الملك**, عن العمدة الذي يربي ابنه على أنه الملك المنتظر، وأن على جميع من حوله

غير القيام على راحته وتنفيذ رغباته، بدءً من أمه وأخواته البنات في البيت، وانتهاء بالذكور والإناث الذين يعيشون عالمه..

يكبر الملك ويميل إلى زميلة الجامعة السنيورة التي تربت على المساواة، والمندفعة نحو حقوق المرأة.. يتزوجها ويريدها أمة أو جارية في حريمه, تصرخ فيه إن الزمن الذي تربى على معاييره قد ولى!!

يعيش الفصام.. يشتري ود ورضوخ من هم خارج البيت بالإكراميات والبقشيش والهدايا والعطايا والكرم الزائف، وفي البيت يشارك مرغما في الغسيل والجلي والتنظيف وحمل الصغير.. وفجأة وعلى غير موعد يأتيه صوت أبيه الواهن يخبره بتتويجه ملكا، فالعمودية لا يجب أن تخرج من العائلة، فيعود إلى خياره القابع في داخله ينتظر ساعة الانقضاض:

– ستأتين معي رغما عنكِ.. المرأة تتبع زوجها.. هناك أصير ملكاً.

تأملته طويلا وأصدرت قرار الخيبة الأخير:

– ما دفعته من مهر أرده إليكَ.. وتصير ملكا مخلوعا!!

فهل يتيح الواقع والقوانين الوضعية والشرعية ذلك؟

وهل في ذلك موقف من قضايا الخلع سواء بالسلب أو الإيجاب؟

أم هي صرخة كاتبة تتجلى برؤية إسلامية معاصرة تستدعي التأمل والتفكير؟!!

وهل يتصرف هذا الملك بعد توليه العمودية كما تصرف أبو سعادة **في قصة في كل زمان**, حيث تحملنا الحكاية إلى رحلة سعادة من طقوس يوم الأسبوع وخرق أذنها الطرية بإبرة محماة حتى يتدلى الحلق على صدغيها, وعندما تصبح طفلة في العاشرة, يسلبوها جزء غامض من بين فخذيها, وتعيش مع الحذر من الاقتراب من الصبيان من يلبس منهم الجلابية أو من يلبس البنطال, وعندما تصبح في السبعة عشر يتحرك فيها دبيب الرغبة وتطل عليها أشواق القمر, فيأخذها لئيم بين أعواد الذرة ويسقي وردتها بماء ساخن غادر, ويختفي تاركا إياها لليل لا قمر فيه تواجه أقدارها مع أب يتل شاربيه, بعد أن غسل العار.. لا يدري أن قمر السماء ما زال يذرف الدمع على قمر توارى ليروي قصة سعادة لم تكتمل في كل زمان..

مارثون المفارقات السوداء

هل يكفي رصد الألم وقياس منسوب العذاب لتوصيف الداء ووضع العلاج الملائم؟ أم أنه عجز الفرد أمام واقع يستعص على منطق العلاقات، ما يجعل الركون إلى العذاب استمتاع والتعايش معه قدرا؟!!

في قصة نداء العمر، شيئا من الإجابة، فمنذ الليلة الأولى اكتشفت عدم الانسجام بينهما, فطلبت الطلاق، لكن خوف الأهل من الفضيحة أجل الأمر.. تشاجرا طويلا فطلبت الطلاق، ولم يحدث لأنها كانت حامل.. وجاء الطفل ومن بعده الأولاد، زادت عدد الشعيرات البيضاء في رأسها طلبت الطلاق، صرخوا بها: حتى يكبر الصغير ويشفى المريض ويعود الغائب، وعندما تساقطت الأسنان سألته:

– لماذا لم تطلقني؟

لكنه كور أذنه وقال:

– ماذا تقولين؟ لم أسمع ارفعي صوتكِ أكثر..

كيف عاشت معه؟ وعلى أي منوال سارت بهما الأيام, ومن منهما القاهر والمقهور؟!!

أليس الجحيم هو أن تلازم شخصا لا تحبه طوال العمر، فكيف يكون الأمر إذا كان الشخص هو شريك الحياة ؟!!

ربما كان هذا سؤال الجحيم الذي تفرضه العلاقات المعكوسة..

وفي **قصة آخر زمن**, تطالعنا فجيعة بمذاق آخر, فالصديقان يسكنان نفس البناية، ماهر تزوج ورزق أربعة بنات وما زال بانتظار الولد الذي يحمل اسمه، وسمير الذي فضل العزوبية واكتفى بتذوق كل زهرة تسقط في طريقه..

ماهر يتعمد دعوة صديقه إلى بيته, ويتعلل بالخروج من البيت تاركا الفرصة للصديق للانفراد بزوجته الشابة التي تؤكد بدورها أن زوجها سيتأخر.. ولم يفكر سمير بخيانة صديقه.. حتى كان يوما اضطر فيه ماهر أن يلمح لصديقة عن عادات الجاهلية وطريقة الاستبضاع

ويبرر الأمر بأن الطفل سيكون ابن زوجته وأخ بناته فعلا، وابنه بالرضاع، وهذا أفضل من تبني ولد مجهول النسب يكون غريبا عنه وعن زوجته..

هل يحدث مثل هذا في زماننا؟

وهل نعود إلى جاهلية جديدة مغلفة بمنطق العلم والمعرفة؟

أم أننا في الطريق إلى استبضاع قيما تقفز بنا إلى جاهلية عصر المعلومات والحياة الرقمية؟!!

وفي قصة انطلاقة, يتطور بينهما الخلاف، فتصرخ في وجهه:

– لماذا لا تطلقني رغم كراهيتي لكَ؟!

تذهب إلى النوم وتوصي الأولاد إغلاق الباب بالترباس، ويوسوس لها الشيطان بأن زوجها سيثأر لكرامته، وهو يعد الخطة مع صديقة لقتلها بعد أن ينام الأولاد، وتسترسل مع خواطرها وتستحضر شحه وبخله وإصراره على استنزافها.. وتتخيله وقد نفذ بالفعل عملية قتلها.. وتشهد وهى محلقة فى فضاء الغرفة جثتها وإجراءات الدفن المملة, فقررت أن تسامحه

وتذهب مع الملائكة التى تدق الباب لتأخذها إلى الجنة وعندما تفتح لهم تجده هو، ويسألها لماذا أغلقت الباب بالترباس إثناء غيابه على غير العادة.. ترد:

– أنت!.. أخيرا جئتّ, الحمد لله على السلامة

وتعود إلى دوامة المكابدة من جديد.. هل هو التعايش مع العذاب؟ أم أن شيئا ما نما بينهما بفعل العشرة يحرك فيها غامض الشعور!!

في **قصة سيدة المقهى**, وحيدة في مواجهة طلبات الأولاد, ليس لها غير صديقتها التي تقرضها كلما ضاقت بها الأحوال.. هذه المرة تدعوها الصديقة إلى مقهى الشيشة في هيلتون النيل، وتوصيها أن ترتدي أفضل ما عندها، وتهتم بزينتها وعطرها..

تنتظر في المقهى.. يشاغلها رجل وسيم بعينيه.. تتأخر الصديقة.. هل هي نية مبيتة.. تعتذر من النادل، وتخبره أنها تنتظر صديقة.. يشاكسها رجل من الأشقاء العرب بنفس طريقة الرجل الوسيم.. ساعة من الانتظار ولم تحضر الصديقة.. لملمت نفسها وغادرت المكان..

استعادت خطواتها وثقتها وحشرت نفسها في الأتوبيس, كل ما يشغلها توفير وجبة العشاء للأولاد.. وغدا تتركه لتدبير الله...

<u>أما بعد:</u>

فنحن إزاء كاتبة معبأة بالأسئلة, ومؤرقة بوعيها بما يدور حولها من تفاعلات، تحذر الحياة من السواد، وتضع الفرد في حالة بحث دائم عن كوة للنفاد إلى بياض يوفر الأمن الاقتصادي والاجتماعي والنفسي ويعيد القيم إلى مسارها الصحيح.. لذلك نراها تعيش الصدمة كأحد أفراد المجتمع, وتعاني القهر المزدوج كونها امرأة تعاني ألوانا إضافية من الاستبداد، فلا تملك غير الصراخ المعلن تارة، والتعايش مع الوجع المختزن حتى انحباس الشهيق تارة أخرى..

فهل وصلت رسائلها؟

لعلها تمكنت من الإجابة بفن من خلال ما قدمت، وفي تقديري أنها حاولت بنجاح ملحوظ..

---

* نادية كيلاني قاصة وروائية وصحافية تقيم في القاهرة لها مساهمات كثيرة في الرواية والقصة القصيرة والنقد الأدبي والصحافة

* إحراج مجموعة قصصية صدرت عن دار شمس للنشر والتوزيع 3008

عبد العاطي فليفل يطلق فراشة الطين

بدون مقدمات يأخذنا عبد العاطي فليفل إلى فضاء الشعر لندخل معه الغيبوبة الجميلة، ونصبح كمن يسرج فراشة بيضاء عند مطلع الفجر، ويعبر معها المتخيل في عالم الأشواق، يتدرب على المحسوس، تراوده الفكرة قبل أن تهبط إلى الأرض.

ما بين الواقعي والمتخيل يقطع الكاتب مشاويره، يستريح عند محطات يتأمل حصاده، يراجع حالاته، من تيه غيبي إلى وجد صوفي يضربه بأسئلة البدايات والنهايات، تدركه الحقيقة الأزلية، فلا يملك غير الحلم يعتصم به, والشعر يلوذ به مساحة رؤى لبوح يقطّر من خلاله خلاصة تجاربه، وحتى لا يأخذنا ما أخذه من وجد، وحتى لا تضيع الفواصل منا، ونغترب عن المفاصل يقسم رحلته إلى محطات.

عند محطته الأولى عندما تيبست الأرض خيالاً

بدهشة عالم البراءة الأول، يحلم برشفة شاي من كوب جده الذي يتربع على مصطبته، يحدثهم عن لولّية وكيف أخذها الغول خطفاً على مرأى وسمع القرية فتسكنه المرأة الضحية طفلاً، لتخرج ربما منه كهلاً، تسحب من رئتيه هواء السكينة، في مشواره إلى مقابر البندارية وكأنها حلت في روح أمه الراقد هناك " **وهو الغريب في صفحة تاريخ متروك** " , ذات الرؤية ما يسكن العروس التي اغتالوا حبيبتها، قبل أن ينزلها عن هودجها إلى بستان صدره لتصبح فأل شؤم لابد من رجمها، وكأنها اقترفت الرجس، فتصلبهم وشما في الطين، يخرج من قديد الطين إلى فضاء الحلم فراشة، **تحذر منذ افترشت دموع سيدنا سليمان الصرح الكبير حتى لا يقطع وريد الزيتون في الأرض المقدسة.**

في هذه المحطة يتجلى فزع الكاتب من جور الانسان على الانسان, فيستخير ويستجير, يحث الخطى إلى محطة تالية, يبحث عن ولادة من رحم الأرض يمارس عندها عشقة الصوفي، يتحد مع الكون ليصبح أحد مفرداته فيمارس الحياة بطعم آخر، تأخذه الأشواق إلى مقامات الاتحاد والحلول ويعبره فيض النور ويصبح أثيرياً شفافاً يرى ما لا يرى، وتفتح له بوابة الكشف " **تراني الآن عندما تكون ظاهرة وأنا البطون..من هناك أراك ولا تراني** " يستسلم للغفوة ويلهج بصفاء سريره " **ما أجمل الاستمتاع بعينين بلا عقل، وحديث بلا حروف** " يفيض من لدن الخالق فتصبح السكرة جلوّة ينشد:

لكن من عاش يتوضأ في حفنة ماء
أو يروي ظمأ الحلقوم بجرعة ماء.
وأنت... أن الماء حياة.
أختارك أنت.

عند هذه المحطة ينفصل المبدع عن قرينة الصوفي، ويستمتع بمراقبته ورصد حالاته، لا يتماهى معه وهو الأرضي الذي محيطه الناس، ومعمل اختياراته العلاقات الانسانية، فهل يستطيع إعادة إنتاج ما حوله وهو المعلق ولا وصول إليه، هو سر الروح المنغلق إلا على الذات الإلهية, وهنا يطفو قلق المبدع (وهو قلق مشروع) ويدفعه إلى طريق آخر، يتخفف من استحقاقات الصوفي الذي يسكنه فيصل إلى محطته الثالثة **ليس للشر نبات**, يأتيها حالما رومانسياً يرصد الآثام فيتعذب مع عذاب الزوجة في قصة **المطرقة والعين الزجاجية** التي هربت من شهوات مقاول الأنفار لتقع في براثن رئيس الجمعية الخيرية، وتكتشف أن المقاول عضواً فيها وكذا آلآم الشاعر **في قصة أما الجدار** الذي يقاوم هدم جدران بيته فيشهد كيف يسرقون طفولته وصباه فيلوذ بالأشعار, فيما يهزأ به الآخرون لأن بضاعته الكلام أو الحلم، في زمن أصبح فيه المال سيد الحالة، فهل يكفي الغناء نواحاً ذلك ما يسقط فيه الشاعر/الكاتب **في قصة قلبها نار** عندما تنحاز إليه زوجة رجل معروف طالما حلم بها، يصيبه الذعر لدرجة النكوص، فيعتصم مرة أخرى بالقصيدة، لا يريد الخروج من أحلامه حتى لا يشاهد قبح العالم من حوله.

هذه الاختيارات تناوش حالات ربما عبرت الكاتب أو مازالت تعبره أشواقاً، فيرى الحياة في معناها ومبناها أعمق، وان الواقع يقدم مفردات أخرى تشد كاتبنا إلى محطته الأخيرة، وقد أخذ منه اللهاث الايجابي كل مأخذ، وقد زودته الرحلة بما يقطر الحياة، فيأنس إلى الواقعية ويتجلى فيه المبدع بحساسية مفاجئة، كانت مخبوءة فيه تنتظر الانطلاق، ذلك ما يظهر في قصص **قبل أن ينكسر الظل** فنراه في قصة **صديقي ميدو** يحاور صديقه المحمول على نعشه في الطريق إلى المقبرة, ويسمع صوت الميت(الذي هو صوت الكاتب) وهو يودع جزءاً منه في صديقه، فيقف أمام جلال الموت مدركاً أن موت من نحب هو موت بعضاً من حياتنا نحن الأحياء، وأن لحظة الفراق ذروة الملهاة على هذه الأرض. لذلك نراه في قصة **الفراشة والرأس المقطوع** يقف مذهولاً أمام ذبول الحياة المفاجئ, الذي ينال زوجته وقد ضرب مرض القلب سهمه لتذوب الزهرة التي تفتحت على ماء قلبه, هذا الإخلاص للحياة يتجلى في **قصة أم دلال** القابلة التي رأى أولاد القرية النور على يديها. تجعل منها الأمهات أيقونة تتصدر الأمكنة, وتعويذة رحمه محفوظة تتداولها الأجيال ويصبح حق القابلة استحقاقاً دائماً على كل من أطلق صرخته الأولى بين يديها فهي أمه وأول من استقبله.

وفي **قصة غرباء** يقبض كاتبنا وباقتدار فياض على صديقه الروائي خيري حلمي، الذي فقد ولده وزوجته في لحظة وجع سقطت عليه قصفا أصابته باللوثة، فاعتصم بالرواية يبعثها مرة أخرى ومن خلال سرد شفاف، وجمل منتقاة بحذق وحرفية محسوبة، يتوحد عبد العاطي فليفل مع صديقه، ويدخل معه تجليات الضعف أمام الفقد والخسران، فيؤكد له أن من صادقوا عليه كاتباً متميزاً لم يرحلوا، ومازال الأصدقاء والكتاب من حوله يدركون فيه المبدع المغامر لدرجة الجنون, والجنون ما يلتقطه كاتباً مرة أخرى في **قصة تسامي العطر الحزين** حيث يرصد خيري مرة أخرى عند لحظة فارقة يتوزع فيها بين من أحب وبين من يوهم نفسه أنه يحب، فينحاز عبد العاطي الى هناء الزوجة الغائبة, ويسكب قارورة عطرها، تضمغ حجرتها وزوجها المشطور الى شطرين، شطر حياته معها وشطر الوهم مع بشرى التي لا تبادله أكثر من مساحة كاتب صديق، فينكفئ على سطح المرآة يطبع عليها سحنته المعذبة، لا يجد في فضاء الصورة أكثر من هناء الأولى، تربت على صدر فقيدها عمرو الذي غادر مستشفى جمال عبد الناصر إلى حفرة الطين في قريته لبيشة والى غير رجعة.

وبعد المشاوير واستراحات المحطات:

ما الذي يرنو إليه شاعر ولج أفق القصة فأجاد، هل هي مغامرة جديدة، أم هو الانحياز لفن يأخذ من الشعر ويأخذ من الحياة، فتأتي النصوص كائنات متميزة مطبوعة بروح كاتبها، تغترف من تجربته التي أعتقد إنها على خصوصية فريدة وعميقة، ذات رحيق خاص له قدرة النفاذ إلى عموم الأجواء فينتشر بسلاسة, فلا نملك نحن الفقراء إلا العبور على صهوة حصان النشوة مع كائناته الجميلة وأنا من أخذتني النشوة فانتشيت.

*** عبد العاطي فليفل ساعر وقاص يقيم في الإسكندرية**

*** فراشة الطين قصص قصيرة للقاص عبد العاطي فليفل – منشورات ندوة الإثنين الإسكندرية2006**

الشربيني المهندس يدرج الصور

الشربيني المهندس كاتب مؤرق، يبحث عن وسائل للخروج من الأزمة، وهو المدرك لدرجة الذهول، كيف تأخذ العتمة العالم العربي إلى قرار الهاوية في زمن العولمة, والشربيني يدخل المواجهة بسلاح الوعي والفن, بلغة شاعرة لبنية فنية بصرية ترصد التفاعلات فيما تتدحرج الصور، تقفز بين السطور على الورق، ما يأخذ القارئ إلى الحيرة مرة والى الغموض مرة أخرى، وفي بعض الحالات يقف الكاتب مع القارئ أمام المبهم فيذهب إلى التاريخ يستدعيه على مائدة الحاضر لاستشراف العبر، أو يعود إلى جذور الحكايات يتداولها من جديد، وعندما تتكاثر النوائب يذهب إلى جلد الذات لدرجة الذبح والنزيف, فهل ما يقدمه كاتبنا تفكيكاً للواقع بهدف إعادة ترتيبه على صورة فسيفساء مقبولة لصورة الإنسان العربي، بعد أن شوهتها عوامل الهدم وكشطت عن وجهها عناصر البهاء الايجابي.

في قصة باب صغير..يبحث الجد بين الفضائيات عن الأخبار ضارباً عرض الحائط برغبة الحفيد في الفرجة على السوبرمان الذي يسكن التلفزيون فتظهر صور حلب الشهباء والخوف والهلع يصيب أهلها، والفوضى تضرب أطنابها فيها بعد أن حاصرها التتار، فيما القاضي يتأمل ويفكر ويعتصم بالحكمة الأثيرة " **جبان يعيش خير من شجاع تحت التراب والأيام دول..**" لذا لابد من الخروج من الحالة التي جعلت عبده الغلبان يتجرأ ويطلب يد ابنته بالتفاوض مع الأعداء, وجعلته يقبل فتح باب صغير يعبر منه بعض جنود التتار لاعتقال نائب السلطان وأعوانه الذين رفضوا الاستسلام, مقابل تعينه (القاضي) حاكماً شرعياً للمدينة..

تتدحرج الصورعلى الشاشة ويطول الحصار، ويفرض الأعداء شروطاً أخرى، مثل جمع السلاح من الخاصة لضمان عدم موالاتهم لنائب السلطان وفرض جزية تفوق قدرات الأهالي, ما جعل الباب الصغير كبيراً مفتوحاً على مصراعيه وجعل التتار يعيثون فساداً ونهباً، ويصادرون مزارع المشمش لتحصيل الجزية, وفي الصور يهرب القاضي بعد أن نُهب بيته وذُبحت جاريته واغتصبت ابنته, ويصحو الجد على مشاكسة حفيده الذي خطف الريموت كنترول لاستدعاء السوبرمان الذي لاشك سينتصر على التتار.

لكن الشربيني لا ينتظر السوبرمان, فيأخذنا الى اقاصيصه القصيرة جداً, وعلى إيقاع سريع..فنرى الطائرات تطرز جسد الطفل الذي قذف الحجر, لكن الطفل وعلى جناح لغة أشبه

بالشعر يطير نحو سرابه الأبيض يحلم بالسلام مع الحمام **(قصة غارة)** ونشاهد الدبابة وهي تهرس الشاب الذي يصلي الفجر حاضراً فيختلط رعب الموت مع صوت المؤذن **(قصة صلاة)** فيما نرى ابراهام لنكولن كاسف البال يراقب أحفاده بقيادة بوش يعيثون فساداً في حواري العراق، يقدمون خدماتهم للصهيونية التي زينت لهم أن الصيد في العراق سهل، ويغيب عنهم أن من يطلب الحرية صيد مستحيل **(قصة تمثال الحرية)** ونرى كيف يداهم ذوي الأردية البيضاء والزرقاء البيوت بحثاً عن مجنون فلا يعثرون عليه، فيعتقلون الشاعر الذي تسلق جدائل القصيدة ويسجلوا نصراً فاشلاً **(قصة اختفاء البدائل)**

الصور تتدحرج ما يجعل القارئ في حالة لهاث، ولأن المهندس يدير لعبته فإنه ينجح في استثمار بعض الوقت مع الحكايات ربما تساعده في ترتيب الصور من جديد ففي **قصة عقدة وشنيطة**..يحدث الكلب حفيده عن أصول الأصوات, يوم كان الثعلب على وفاق مع صديقه الحمار, يتبادلان الرأي والمشورة حتى داهم الثعلب أرض الجوار وطرد منها الدجاج إلى أرض الكلاب، فاقترح الحمار على الكلب اللجوء إلى الذئب الأحمر الذي رعى المفاوضات وأقام منطقة عازلة، ورسم خارطة للطريق، وأعطى للثعالب الحق في التهام بعض الدجاجات وأعطى الذئب حق الاقامة الدائم في المنطقة, ومع مرور الوقت هاجم الذئب الحمار محاولاً افتراسه فأخذ يصرخ ها..ها وبذلك ظهر النهيق لأول مرة, فأخذ الكلب يستنجد مذعوراً هو..هو وبذلك ظهرالنباح, **وفي قصة ثنائية خيال مآتة يتنفس**..يأتي الكاتب على سيرة الأسد الذي أكل الثور الأبيض, ويستدعي ثوار العالم العربي من جميلة أبو حريد وعرابي ويوسف العظمة وعمر المختار وميشل عفلق وأبو القاسم الشابي الذين أُكلوا يوم أكل الثور الأبيض, ولأن الغول امتطى ظهر العنقاء سقط في برزخ بين الواقع والحلم ,ما جعل القائد العربي المغوار ينحاز إلى مصالحة..

- بلدي اللي فيها مراتي..

ويعود إلى مقولة سعد زغلول الشهيرة في زمن سكن الغول قلب المدينة المقدسة، وتمطي وتنطع فيما فارس بني خيبان يخرج من كامب ديفيد حاملاً غصن الزيتون, ويحفظ رواية أخرى للتاريخ بعد ضياع زهرة المدائن، وينظر بعين حولاء إلى أطفال الانتفاضة, فيقع في غبش الرؤيا فالماء الأبيض مسح عينه اليمنى, والماء الأزرق مسح اليسرى, فاهتزت الحمامة خلف السواد.

الحالة حارقة تشوي نخاع العظم, وتحرق عصب الدماغ، والمرأة في **قصة بسمة خاصة,** تحمل طفلها هاربة من الدمار الذي لحق الحدائق المعلقة في السويس والفالوجا, وتربع في فلوجة العراق، وأقام السور الواقي بعد قتل آخر أشجار الزيتون. المرأة ترفع طرف ثوبها

فيظهر لها زوجها الشهيد وابنها البكر يركبان عربة ملائكية بيضاء, والقصة هنا محمولة على لغة شاعرة, تأخذ الأزمنة من مساحات الفجيعة إلى نوافذ النور, تبحث عن خلاص..

في قصة النوارس..نرى الراوي في يوم راحته على مقهى فاروق الثاني يتحسس رسالة قديمة مازالت في جيبه، تحف إليه حبيبته بعد طول غياب تواسيه.

- هي هزيمة فقط يا باشا

تودع الحبيبة النوارس الحائرة فتدرك أن **النكسة حيث يموت الحب،** فيما يتذكر أصدقاء الجبهة في الدفرسوار أيام الحرب، حيث كان للبوح طلاوته وشفافيته في حضرة الموت المتوقع كل لحظة وها هي حبيبته تذهب إلى غير رجعة تاركة إياه مع الذكريات وقد خلت السماء من النوارس البيضاء, وفي **قصة همسات في ضوء شاحب**, يبحث البطل عن وظيفة، وعندما يحين موعد المقابلة لا يجد سيارة تقله إلى المكان، فيركب هواجسه ويسير على طريق المشاة، فتحاصره العتمة ويعتصم بالحلم، حيث يأتي البيت مع الوظيفة والعروسه.. يمر من أمامه فتى يقود سيارة فارهة يسابق شاحنة, فيما الرجل غائص في تهويمات تأخذ القارئ من فضاء المشهد الخارجي إلى أعماق الذات, حيث لا شيء غير ضوء شاحب يشير إلى أمل مقتول, يصرخ كالملدوغ:

- لن يستغفلني الضوء الشاحب بعد الآن.

مؤكداً أن الأضواء الشاحبة تبتلع الإنسان الذي تتمحور مطالبة حول همومه الذاتية. ولابد من حلول جماعية للأزمات بإيجاد البدائل.كما تشير **قصة منحنيات** إلى الموظف محدود الدخل وهو يصارع تكاليف الحياة ودخوله في دائرة الفقر، ما يحث صديقه الغني إلى مساعدته, فيعيد النظر في مقولة الخط المستقيم أقصر مسافة بين نقطتين، ويرى أن المستقيم عبارة عن عدة منحنيات متجاورة، وكأني بالشربيني المهندس يحذر من اختلال الموازين التي تأخذ الإنسان إلى التيه فيقع ضحية أزلية للفقر وكأنه يعيد **سيرة سيزيف من جديد.**

وبعد:

فالكاتب مهموم لوعية بمواطن الداء، يجتهد في البحث عن مخرج, لذلك نراه يلتقط عذابات صديقته الكاتبة الفلسطينية بشرى أبو شرار من خلال ما تقدمه في قصصها ورواياتها، والتي تجعل الجرح على نزف طازج وجد في المقاومة حلاً عملياً. يتبناه هو أيضاً ويطير إلى بشرى المؤازرة في **قصة بشرى رسائل.**

وأخيراً يا من دحرج الصور في الأزقة والطرقات، وطيرها في الفضاء رسائل نذير فانك قدمت ما يميزك عن غيرك, مدفوعاً برغبة التحديث والتجديد في فن القص, ما جعل الصور تنبض بقوة دفع الحياة، وما جعل بعض الصور(وهي قليلة على كل حال) تقف عند حد

المبادرة، لأن اللهاث خلف غير المألوف قد لا يحقق الألفة ويقف بالنص عند حافـــة البحيـــرة يختبر وجهه في مرآة الماء لكن ثمة أعشاب كثيفة تحول دون ذلك, ما يجعل القارئ حائراً بين المعنى والمبني رغم دحرجة الصور.. أليس كذلك؟

*** الشربيني المهندس قاص وروائي يقيم في الإسكندرية**

*** دحرجة الصور الشربيني المهندس – ندوة الاثنين 2006**

تجليات الرغبة في مدار الوردة

قراءة في قصص فاطمة وبلانش للقاص المصري محسن الغمري"

في مجموعته القصصية الثانية, "فاطمة وبلانش", يعود ملاح الهواء محسن الغمري, بلغته الأثيرية ومخزونه المعرفي, أكثر دربة وحنكة, وحيطة فنية, فنراه يرتفع فوق الأرض قليلا, ويتأمل طويلا, قبل التسلل الذكي تحت جلد الحياة, لسبر أغوار الظاهر الطافية على سطحها, متأملا معدة المجتمع التي تهضم مكونات جبلة بشرية تتناسل على سطح الدنيا مجتمعا, يمارس الحاضر بطاقة مكابدات تفاعلت على مدى زمن الخليقة.

والمتابع التأمل لقصص الكاتب, يراه وفي كل مرة, المستتر خلف الراوي أو بطل القصة, أو الراصد العقلي للحالة المستدعاة, ما يؤكد انه يمتح من معين تجارب ذاتية خاصة قلما توفرت لغيره, ربما لطبيعة عمله التي ما زالت تطل في القصص, أو نشأته وبيئته الاجتماعية أو لحساسية خاصة تميزه وينفرد بها تظهر تجلياتها في مفردات لغته, وانعكاسات الفكرة على مراياه الداخلية.

تضم المجموعة ثماني عشرة قصة, يسقط الكاتب من خلالها موقفه من قضايا الحياة والموت, وقضايا المجتمع المصري, وموقفه من حالات المرأة, من خلال زوايا التقاط مفاجئة ومثيرة.

شفافية التراسل

يتأمل الكاتب ما بعد الحوادث والظواهر بشفافية العاشق الصوفي, الذي يتحد مع موجودات الكون, ويقف مندهشا لدرج الفجيعة في بعض الحالات ولدرجة السخرية المرة في حالات أخرى!!

في **قصة صورة وسبعة أطر**, يقف ليلة النحر حزينا متأملا ذهاب الضحية إلى قدرها المرسوم, حزينة تعكس حزنه وكأنهما ضحايا حالة واحدة, فتظهر له في زحام الطريق جالسة في عربتها تبعث له برسالة أثيرية " لعينيها جمال أخاذ, لا يكون لبشر, ولكنهما نضاحتان بشجن, حزينتان فيهما ما يوجع القلب.." **ما يجعله يتساءل أذا ما كان الغيب ينكشف لها, أو إذا ما كان حزنها على حالها أم على حاله, ولكنهما يفترقان عند المنعطف, لتعود ليلة العيد, وبعد أن ترفضه لجنة الاختبار, في الزحام تطل عليه من سيارتها** " وقد جُمع حزن في عينيها

يكاد يغرق البشر" وعندما تجاوزته ظن أنها ظلت ترمقه قبل أن تغيب خلف بوابة المذبح, وفي ليلة العيد الأكبر يزجي بعض الوقت مع رفاق الدراسة, وفيما هو يلتقط النرد الجامح تتوقف عربة أمام المقهى, ويراها جالسة في المقعد الخلفي " قرأت ما ي عينيها من حزن جميل.. يا لروعة الإيمان والصبر على الابتلاء"!!

وبينما هو ينشد الانتشاء بالريف الذي حرم منه في المدينة, رآها في رحبة دار صديقه حيث تجتمع نساء الدار تنتحي ركنا, " **أحببت فيها ثقة بالنفس ورضى بادٍ على محياها وإيمان بالقدر والنصيب**" وفجأة يتكالبون عليها ذبحا, ولم تبدِ مقاومة!!

وفي عزبة أخرى رآها صباحا تمشي بجوار احد جداول المياه المنسابة في الحقول الخضراء, وعند الظهر ذبحوها على شرف ضيافته, فسقط مغشيا عليه, وعندما أفاق لم يتناول طعاما يأتي من سفك الدماء..

أما في مدينة بمباي الهندية فقد رآها المقدسة التي تتوسط الطريق وتمنع السير, وتعيد إلى ذهنه الفروق بين البشر في تأويل الحلال والحرام, وعندما تنهض تدور دورتها, وترشق فيضا مقدسا من بولها تغطي وجهه وملابسه..

وفي يوم يستعذب الكسل بعد إجهاد عمل متواصل يصحو على صوت طبل ومزمار فيراها محملة على عربة كارو مزينة بالشرائط الملونة يصاحبها المزمار, والطبل على مجزرة المعلم محروس " **واللي ما يشتري يتفرج**"

من خلال وصف تأملي سلس, يقوم على أنسنة الحيوان يموه علينا إسقاطاته بحيث تختلط علينا أذا ما كان الموصوف ذبيحة بقرة, أم ذبيحة امرأة, أم الذبيحة هي البراءة المغتالة بعنفوان المتوحش الكامن فينا, نحن البشر, والذي يتبلور يوميا في مظاهر القتل المختلفة, فلا نملك في النهاية إلا الوقوع في الدهشة والحزن والرفض للذبح العبثي, ما يثير فينا السؤال من جديد..

وفي محاولة أخرى نراه في "**قصة إنهن ناكرات للجميل**" يسقط مشاعره وأفكاره وهواجس غربته في ذلك البلد البعيد الذي يدرس فيه,على ذات العيون الخضر التي تنتظر خلف عمود الكهرباء, يومئ لها, فتتبعه راغبة, تحدثه بعيونها الساحرتين, ولأنه المغامر الذي يعشق التجريب, يتجاوز تحذيرات أمه, ويكرم وفادتها, ويتنازل عن بعض لبن اشتراه للإفطار, حتى إذا ما شعرت بالشبع تسبقه إلى الفراش, فيشعر بدفء وجودها معه, وينام على خدر لذيذ, وعندما يصحو لا يجدها, وكأنها الحلم تبخر, يبحث عنها في الشقة فلا يعثر لها على اثر, ويرى زجاجة للبن مدلوقة, فقد هربت من الشباك بعد أن أتت عل ما فيها, فيعود إلى تحذير أمه "**إنهن ناكرات للجميل**"

على امتداد القص يوقعنا, في التباس, حول ماهية الأنثى التي يتراسل معها, وينتشلنا من يقين هواجسه مع أنثى أثيرية شفافة ببعض إشارات, نكتشف أنها القطة لم تحفظ الجميل, فما هي القواسم المشتركة بينها وبين بنات حواء؟!!

أما في "**قصة فاطمة وبلانش**", فيكون التراسل بين روح فاطمة المسلمة الطيبة التي تعمل بتعاليم دينها الذي يحض على التواد والتراحم واحترام فطرتها الإنسانية, وبلاش, التي تربت على تعاليم ماري روز المسيحية المعمدة برحمة المسيح, ترى الله محبة, لذلك نري فاطمة التي أخذت دور الأم من بلانش, تشعر بحالاتها, وترتجف لتوتراتها, وكذلك بلانش تقطع زيارتها لأهلها لشعورها بحاجة فاطمة أمها الثانية لها, لكن الطرف الآخر إيفون, وعلى محرضات دينية مغلوطة, يقوم زوج بلانش, بحرق البيت الذي يرمز للوطن/مصر, ظنا منه أنه يستعيده بعد طرد الشريك الأزلي

وكأني بالقاص محسن الغمري يطلق صرخة محذرة من دمار مصر على خلفية صراع الأصوليات الدينية التي لا تستوعب الآخر, ولا تستوعب الطيبين, وأن الشعب المصري الذي قام على روح المحبة والتعاون والاستيعاب, سيكون من يدفع الثمن الباهظ عندما يشب الحريق, والذي قد يسببه أصغر الشرر..

.. والاغتراب في الوطن

برؤية الأثيري الذي يحتكم لعقله وقلبه, يرصد الكاتب الواقع من حوله, وبرؤية نافذة إلى أسباب الظواهر, وحساسية شاعر مرهف, يعيش الكاتب القهر والاغتراب عن المحيط, ويمارس موت القبول والرضوخ, من خلال معاناته والآخرين من الإرباك والخلل الذي يطبع الحياة من حوله, فنراه في **قصة عنصرية**, يربط بين وقوف شرطي المرور في الشارع مثل "خيال المآتة", وماء القاذورات الذي يبقع قميصه الأبيض, وعزيز الذي فقد ذراعه من لغم انفجر فيه في عمليات تعمير مدن القنال, ولم يشمله التعويض لأنه مواطنا مدنيا , عاكساً حالته مع ابن أحد ورثة فاروق, الذي سرق منه الترقية بعد سنه 30عمل وشقاء, فلا يملك أكثر من الهذيان قهرا والهتاف المنكسر.. "**دي عنصرية والله العظيم عنصرية..**"

أما في "**قصة موعد معه**" نراه نموذجا تربى على النظام الصارم ومحاكمة الأمور عقليا, يغترب عن الواقع, ويستريب من التصرفات التي لا تقوم على منطق, يعيش مع زوجة طيبة فشلت في استقطاب من دخلوا دائرتها الحميمة, يشعر بالدوار, وتحت تأثير زوجته يحجز عند الطبيب العبقري, وبعد ساعات من الانتظار والملل.. يدخل العبقري على عجل بصحبة طفلته,

ويعاين الحالات على عجل ويكون كريما معه بحيث لم يستغرق تشخيص مرضه وحالته أكثر من ثلاثة دقائق, مقابل ساعات قرف الانتظار ومائة جنية بالتمام والكمال, وكأني بالقاص يصرخ بأعلى صوته, أن اقبضوا على لصوص المرحلة وارحموا الضحية/ الشعب, ولعل ذلك يحيلنا إلى قصة أدوات الموت, حيث نرى حياة ابن الموظف المالي في مستشفى استثماري تتوقف على مئة جنيه يرفض الدكتور مدير المستشفى إعفاءه منها, فيلجأ إلى سرقتها من نقود مريض فقير يقع في الأزمة ذاتها, ورغم أن نهاية القصة تودي بحياة المريضين, وتأخذ السارق الطيب إلى عذاب مضاعف, إلا أنها تطرح أسئلة جارحة حول مشاريع الطب الاستثماري, الذي يستثمر أرواح البشر, ويفرغ مهنة الطب من بعدها الإنساني, وتحيل المحتاجين إلى صراصير نفايات كما **في قصة زبالة**, حيث الرجل اللقيط/ الصرصار الذي يعيش مع النفايات مقطوعا عن الاتصال مع العالم من حوله, يشاطر الخنازير الطعام على نفايات المدينة في مكب النفايات في احد العشوائيات, المنتشرة حول القاهرة, لا يعنيه الانتساب, فهو اللقيط الذي تركته أمه الزانية كما يصفها المعلم, فهل كانت مثل "**الكلبة التي يراها كل يوم وقد ركبها كلب غير الذي سبقه! ومن ثم بعد فترة تنتفخ بطنها,وتلد صغارا فوق, أو جوار أي كومة زبالة, وتتدلى أثداؤها لأي من يلقمها..**"

ربما السؤال هو عن الأم الكبرى الذي بات معظم أبناؤها يعيشون حياة الهامش وكأنهم خلقوا للعشوائيات في زمن الانفتاح؟؟

الدوران في مدار الوردة

هو الساهم في شرود المتأمل, المتسلل إلى دواخلهن, الراغب إلى حد الاكتشاف, الآسر في حالات, المأسور في حالات, يلوح لهن صيدا سهلا, يلُحنَ له راغبات, يدور في أفلاكهنِ إلى حد الانتشاء والدهشة, يأخذنَه إلى الصدمة المروعة, فيعيش الضحك الباكي بعد اهتزاز المفارقة, تحمله لغة حالمة إلى تأملات شاعرة, تطلق شفراتها ورسائلها, تأخذ نبضها من تفاعلات هامسة مرة, وضارية متوحشة مرة ومراوغة مرات..

هكذا هن نساء محسن الغمري الطالعات من تجارب خاضها معهنَ, أو كان شاهدا عليها, وربما كُنَ ممن ساهمنَ في انقلاب دكتورة الاستنساخ أنجيل روز ماري في "**قصة أمارة الإناث المستغنيات المستقلات المتحدات**", وشاركن في إعلان الاستغناء عن الرجال باعتبارهم وراء الكوارث والمذابح التي تعرضت لها البشرية, وإقامة عالم يقتصر على النساء, واستبدال قوة الرجل البدنية في العمل بالآلة, والاستغناء عن مائه للتلقيح والإخصاب بعملية الاستنساخ

والتحكم بجنس الجنين, أما بالنسبة للتواصل الجنسي فسيتم حلها بالوسائل العلمية, وعليه لن تكون النساء في الإمارة مطية لأحد.

هل من يلتقي بهنَ في إمارة الرجال من متمردات تلك الإمارة, أم هن نماذج أخرى للتمرد يكون الرجل/هو ضحيتهن المستهدفة؟ يسلبنه دوره الفاعل في الحياة, بحيث يصبح ظلا, فنراه مع مدام "هايله" **في قصة س,ج**, مع امرأة نارية مبادرة تستبق رغباته في أول لقاء تعارف, وتدعوه لحفلة موسيقى في دار الأوبرا, ويكملان سهرتهما في مركب عائم في النيل الذي تعشقه, ويفيضان نشوة تكرس في وجدانه أنه رجلها الذي عثرت عليه, وفي اليوم التالي يهاتفها فتعتذر لانشغالها مع ضيوف, وعندما يتمادى ويظهر غيرته, تضحك وتضحك وتنهي المكالمة.. هي في الواقع أنهت علاقة عابرة امتطته خلالها حصان لذة عابرة, وكانت الفاعل الذي وجه الفعل وأنهاه على رغبته واحتياجاته

وفي **قصة فتات قلب**, يرصد الراوي معاناة رجل يعيش الهزيمة, والوحدة, وضغط الحياة.. فشل في الحفاظ على بيته من الانهيار, بعد عشرين سنة مع زوجة ترابية أهالت التراب على ناره المتوهجة, وخنقت جذوة اندفاعه نحو الحياة.. نراه يستحضر من جمعته وإياها الطائرة المتجهة من باريس إلى القاهرة.. امرأة من برج الجوزاء, متعددة الشخصيات, لها قدرة على التبدل, رأى فيها الروح التي تمنح ناره طاقة الاستمرار والتوهج.. استرسل بينهما الحديث وتفرع.. أشار إلى أزمته مع زوجته, وكيف وصلا إلي ذروة الخلاف, وحدثته بانفصالها عن زوج كان يحد من طموحها وانطلقت إلى الحياة, وافترقا, وقد منحته مكانة صديق, وأعطته رقم هاتفها للاتصال وقتما يريد.. وفي ظل إحباطه ووحدته وفقدانه الشهية وحاجته من يمنحه نبض الحياة, تلوح له طازجة, فيتغلب على ضعفه ويتصل, وينتظر على لهفة, لكن ثمة صوت آلي بارد بعيد يتكرر:

"**الرقم غير موجود بالخدمة, تأكد من الرقم المطلوب, وعاود الاتصال ثانية..**"

هل هو الوهم؟ أم المستحيل؟ أم الهزيمة!؟

ومع رؤية مجنونة حول الغريزة الجنسية والحدود الفاصلة بين اعتبارها غريزة امتطاء من اجل الحفاظ على النوع, أو كونها أساس للتكامل بين الرجل والمرأة على المستوى العاطفي والنفسي والاجتماعي أيضاً, نرى في قصة فاعل لا مفعول به, يستمع الراوي بطل القصة عبر التليفون لشهادة امرأة قررت أن تكون المنشئ للفعل, لا المتلقي له, مع التأكيد على أنوثتها, فتختار من توهمه بحبها, وفي ليلة الدخلة, انخلع قلبها, ودفنت رأسها في الفراش حتى لا تراه عاريا, وحتى لا يرى مشاعر لم تُفصح عنها, قدمت له جسدا باردا منزوع الإحساس, وقررت أن لا يرى جسدها عاريا, حتى لا ينال شرف الفاعل عند الإيلاج الذي وصفته بالدش المهبلي,

ما يصيب الراوي بالقرف من كونه رجلا, وينتبه لأنفاس قوية تصله عبر التليفون ..يسألها متعجبا إذا ما كان احد معها, تضحك وقد عادت إلى شقاوة فتاة مراهقة:

- انه الوحيد المسموح له بالاقتراب والتقبيل والبقاء في حضني وقت يشاء..انه باتشي الكلب!!

هل هي صرخة يطلقها الراوي حول الفهم الخاطئ للعلاقة, يؤدي إلى تقمص ادوار خاطئة, توقعها في تعويض وبدائل تسحبها إلى دونية مقززة؟!

تداعيات المراوغة والمفارقة في فضاء ملتبس

يدور الرجل في الكثير من قصص المجموعة في فضاء معيشي ملتبس بين وعيٍ متقد, وخيال جامح, وفهم أوسع للحياة, غالبا ما يمثله الموجب الرجل, وبين سالب, حدوده ضيقة,وتقاليده مشوهة, وعاداته سيئة, وشهواته مبتورة, غالبا ما تمثله المرأة, ذلك يجعل فضاء العلاقة مغبشا بالصدام اليومي, وقتل الآني ووأد الآتي على مذبح الأوهام وعدم التكافؤ أو انحراف التناظر, ولعل ذلك ما تترجمه **قصة حواء وأربعة وجوه**, الزوجة التي سكنت رأسها فكرة أن زوجها سيتركها إلى أخرى أصغر سناً, ووجه الطارئة المؤمنة بقدراتها على تلوين الكلمات, واللعب بالألفاظ مع ضبط إيقاع حركة الحاجب.. تشيع علاقة مزعومة, حتى تعلن الزوجة العصيان وتلفظه من حياتها عندئذ تختفي الطارئة..!!

وبينما هو في لجة اليأس والحيرة تظهر له من تحول إحساسه بمرارة الدنيا إلى انتشاء لم يسبق له تذوقه من قبل, فيغرق في بحرها, ويستسلم لعبير هواها.. ولكنها فجأة تعتذر وتبلغه بدون مقدمات:

- كنت خارج محارتي, وحان وقت عودتي إليها..

فيرى روحه نسيجا من حرير سقط فجأة على شجيرة شوك صحراوية, فيفر إلى بلد بعيد ولغة غريبة, فتتلقفه من سكبت على جسده زيتا له رائحة معطرة, فاستسلم للنوم, فتتعجب وتتألم لرجل يبكي وهو نائم, وتقرر قضاء بقية النهار بصحبته, وعندما يعرض عليها أجراً إضافيا, تعتذر لأن دينها يحث الفرد أن يكون مصدر سعادة للآخرين لينال رضا الآلهة..

فهل تجتمع وجوه المرأة في وجه امرأة واحدة؟

وكيف تكون حال الرجل الذي يضعه القدر في مارثون عالمها المتقلب؟؟

الراوي البطل يعيش قدره, بانتظار لحظات بيضاء تلوح له, ولكنه غالبا ما يقع في مزيد في المفارقة والفجيعة غير المتوقعة, أو يتلقى صفعة هازئة تحيل إلى فجيعة سوداء, فنراه في

"**قصة انتظار**" يتلظى على نار ظهور رقمها على تليفونه المحمول, حتى يغرق في صوتها الذي يجعله يعيش حياة لم يعشها من قبل, لكن اللوحة تبقى على عتمتها محايدة أو ربما متشفية, وفي حالة أخرى يتسلح بالحبة الزرقاء لكي يعيشا طقوس ليلتهما الأولى.. تكون راغبة وتدخل الحمام للتخلص من أعباء النهار, وتطل علية حورية بكر طالعة مع بخار الرغبة, ولكنها لا تخرج فقد خرجت روحها في الحمام, وفي "**قصة حساسية**" بطل القصة يعاني من العنة فيصاب بالإحباط لدرجة التلاشي, ويقع أسيرا لطبيب الوهم العجوز الذي يزوده بنوع جديد من حبوب التهييج والانتصاب, يحدث الانتصاب مصحوبا بحساسية تنتشر على جلدة حكة قاتلة يطفئها مع شهوته تحت دش الماء البارد, وفي "**قصة عاشقة**" تُفتح طاقة التمنيات للمضيف الجوي في باريس, وتتصل به سلفيا العاشقة الفرنسية التي لم يعد يتذكرها لكثرة ما يلاقي من مسافرين, ويظل على انتظار, يحلم بتجربة خاصة, ولكنها تتأخر في الوصول من جنوب فرنسا إلى باريس بسبب إضراب عمال المطارات والقطارات, وتظهر في الساعة الأخيرة, عجوز تجاوزت الستين, زارت يوما مصر, وعشقت نهر النيل العظيم, وروح شعب مصر في شخصه الودود المجامل..

<u>وبعد:</u>

فالقاص محسن الغمري, يقفز إلى أفق ما بين أرض الواقع وفضاء الروح, يعلو عن الحياة ليعيد اختبارها على ضوء معايير شكلت عالمه التخيلي, مستفيدا من خبراته في العمل والحياة, ينفذ إلى الحياة من زوايا التقاط مفاجئة, ليعكس موقفه من القضايا السياسية والاجتماعية والتربوية, ويُظهر اهتماما واضحا بالمرأة, و يفسره البعض إلى إدانة لها, ولكن المدقق يراه الأكثر حزنا وألما على ضوء فهمه للعوامل والمؤثرات التي رسبت فيها مفاهيم خاطئة عن الرجل, ناتجة عن ردود أفعال لموقف المجتمع بعاداته وتقاليده ومواريثه وقيمة الاجتماعية والدينية.

وعلى المستوى الفني يبدو أكثر قدرة في تقنيات القص, وأكثر تحكما في توجيه الحكاية, وأكثر ضبطا لتجليات السرد, من خلال لغة الرائعة, وهي سلاحه الأثير في الكشف عن مظاهر وبواعث الرغبات والنزعات, مما بجعل عالمه الداخلي أكثر ثراءً وعمقا, يؤسطر الواقع ولا يخفي عوراته,ويدخل المفارقة بألم الذبيح, ويجترح الفنتازيا, فتبدو والواقع صنوان!!

*** محسن الغمري قاص مصري يقيم في القاهرة, ويعمل رئيس طاقم ضيافة جوية, يكتب القصة القصيرة والمقالة.**

*** فاطمة وبلانش, مجموعة قصصية من منشورات الدار للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة, 2009**

شظايا آمال الشاذلي وسؤال النوع الأدبي

" قراءة في نص شظايا للقاصة آمال للشاذلي "

في كتابها الصغير الأنيق "شظايا" نقف مع آمال الشاذلي في لجة الحيرة حول تصنيف ما نقرأ, ولكنها سرعان ما تفرض علينا حالة من لهاث الاستكشاف, وكأنها الهاربة من ضوء الصباح.. تنثر في الدروب وريقات من أجندة معاناتها.. تسقط على مرايانا صور وأحداث وشخوص, تأخذنا إلى الغيبوبة بين مرارة المعاناة وطلاوة استعذاب العذاب, فنعيش حالة ليلكية, ولا نملك غير الصراخ بصمت من شظاياها التي تصيبنا بوخزات رقيقة تارة, وتصبح نصال حادة تصل إلى نخاع الوجع تارة أخرى.. فلا نخرج من ذهول الشظية إلا بالدخول في مدار الأرق, والسؤال عن ما تطرحه الكاتبة.. وقبل أن نسأله تكون افترشت الأرض عند ناصية الفجيعة.. تحاور الأخرى الساكنة فيها..

" عندما أعيا الشمس غيابي, دفعت بجيوشها تستقصي خبري, ولم تؤب إليها حتى الآن.. "

لم تعد جيوش الحقيقة.. فهل انطفأت جذوة الشمس وتركتها نهبا لغيلان اللحظة؟!

" أصاب البلى ثوبي الوحيد, فاحترق جسدي بنظرات الشماتة.. "

من الشامتين يا ترى؟!

المترصدون بها, المتسولون عند عتباتها, أم الذين تستبد بهم شهوة الاقتناص, ومصادرة الرؤى..

" تكالب أصحاب الكاميرات لالتقاط سقوطي "

أي سقوط ذلك الذي يرصدوه؟.. لذلك نراها تطلق شظية صارمة منذ فاتحة الكتاب

" الطريق في نهايتك, فاحذر الانزلاق "

وتخبره أنها تجيد الهروب منه إليه, وتعرف متعة العذاب به..

" نجحت محاولة الهروب, وهأنذا أنعم بالحرية خلف قضبانك.."

فهل هو أدرك لؤلؤة روحها, كما أدكت هي رماد أنانيته وصلفه وجبروته, وهل تماهى معها حتى أصبح ظلها, وهل توحد مع ظلها وكونا معا حالة حوار بين الرغبة والاشتهاء, وهل أدرك أنه فشل في أن يكون ذاتها/ ظلها.. لذلك نراها تمارس خسارتها مع ظلها لمقاومة التلاشي, فتذهب إلى فضاء الروح بعيدا عن ملوثات زفير الرغبات السوداء..

" أصاحب ظلي وأهدهده.

وإذا ما خلت لنا الساحة, ارتشفنا من فنجان واحد, وتجاذبنا الأنفاس من سيجارة واحدة, وإذا ما تخففت من أرديتي.. تخفف, وإذا ما سئمته وهممت بطعنه.. هم, فإذا تراجعت.. تراجع..

هكذا ألعب أنا وظلي, فلا أحد غيره يجرؤ على مناوشة وحدتي "

متى يدرك حالاتها, ويستقبل إشاراتها بدون توجس, ومتى يتحسس الفراغ في فضاء روحه, ويكف عن تحسس خاصرته بحثا عن ضلع اللعنة مشجب الأخطاء والخطايا..

متى يكف عن الاستمرار في لعبة الهزيمة؟

وهل فهم إشاراتها المُحذرة.. أم أن صهيل السيد ما زال يتردد في جنبات عقله, فلا يعود عليه بغير الخواء والخسران..!!

" لا أدور في فلكك سيدي, ولكن مداراتك تتعبني. "

ألم يدرك أنها ضجرت من ممارسة جريها خلف جدران سجنه, وأنها تحلم بسجن آخر تشيده بجدران أحلامها وتزرعه بأزهارها الخاصة, وتجعل منه حديقة لا تشبه حقول الآخرين, فهي تفهم لغة الريح, وتعرف كيف تصنع من وشوشة الريح جنة, فهي على يقين..

"أولج الريح أنامله الباردة بين ضلوعي, قبض على قلبي, شقه نصفين, فصار قاربين, قارب أنثى وقارب ذكر, جمع الموج شملهما داخل صدري.. "

أيها الآخر ماذا بك!! هل غامت الدنيا أمامك!! أم أخذك الصجيج إلى صمم..

ألم تدرك أيها الموشى بالصلف أنها تصرخ فيكَ..

" لم تعد أطراف ثوبي تجزع للريح.. "

***

تقف آمال الشاذلي عند حافة الهلع, وتخشى من السقوط في العتمة التي تأخذ إلى الغياب..

هل هو السواد الذي يغلف عالمها..

لا أعتقد

آمال تعثر على ذاتها, وتحاول جادة ترتيبها على ضوء رؤية جديدة تعتمد على معرفة عميقة وطول تأمل وامتلاك أدوات المقاومة, وعند البحث ما بين السطور, وعند فواصل الكلام, سندرك أن الكاتبة مزحومة بالأسئلة لدرجة الانفجار, مؤرقة في عالم يتداعى من حولها ويتمظهر مزهوا بالقشور.. هناك عطب.. وهناك عين راصدة ترى الانهيار, وتدرك أسبابه, ولا تعلق قضاياها كامرأة على مشجب الآخر / الرجل لتخرج من ساحة المحاكمة, وهي تدرك خسارتها من عدم وصول الآخر إلى فهم أشمل للحياة, وأن رصيده ما زال يقوم على مواريث تجاوزها الوقت, وأهال عليها ركامات كثيفة من تراب عدم الجدوى.. الأمر الذي يضاعف من

عذاباتها, ويلقي عليها تبعة البحث عن مخارج من عالم جائر, يستفز الكاتبة فيها نحـــو فهـــم الظواهر وتفسيرها " اقتصادية واجتماعية ونفسية وسياسية" للوصول إلى أسباب التداعي..
ومن هنا علينا الحذر عند التقاط هذه الشظايا الواخزة الحادة المسنونة التي تحدث ما هو بعد من وخز الظاهر, وربما تنفذ إلى عميق اللحم الحي وتصل إلى رجفة العصب
فهل تأخذنا رجفة الذهول كما أخذتها..

" بالشاطئ.. احتضنت مودعيني بعين أنهكها البكاء, بادلوني بأشد منه, إنسالت الدموع مدرارة, وغرقت آمالنا, وطفت جثامينا, انهالت عليها طعنات الشمس, لكزات الموج.. والشاطئ يمعن في الدلال "

`ذهول أمام اللاجدوى /الخسران /الفراغ الذي يسرق رحيق الحياة, ويجعل الأماني تجليات محمولة على الألم..

" حين يصيب الجفاف حياتنا, تفيض علينا ينابيع الذكريات بما يحفظ على أوراقنا بعض اخضرارها.."

وفي لحظة مكاشفة نادرة تومض أمامها الحقائق..

" صدقت حين ظننتني شيطانا, وكذبت حين ظننتك ملاكا.."

هي رحلة التربص والمراوغة ليس بين رجل وامرأة ولكن بين أقطاب سالبة وموجبة تتوزع على كل مكونات الحياة, وكأننا نعيش على رقعة فسيفساء سر جمالها أنها تتكون من بؤر محروقة..
فهل يتقمص الحريق روح ساحرة!!
وهل يكون للعذاب بهاء من لون آخر!!
هنا يكون التلظي على نار الإدراك والارتباك والوعي أيضا..

" احتمت شمس الظهيرة برموش عيني, فأسدلت عليها روحي, ثم نثرت فوقها أدمعي, صارت خميلة لا تضاهيها أخرى في طلاوتها, وتناسقها فطمعت في بعض ظلها لألتمس قدرا من راحة بعد طول عناء

بهرتني وطردتني إلى فضاءات غريبة.. "

الشعور بالغربة عن مكونات المجتمع, والاحساس العميق بعدم القدرة على مسايرة ما يدور, تأخذ الواحد إلى الالتباس, وربما هذا ما جعل صاحبة الشظايا تعلن وبكل الجرأة والحزن..

" عقلي..

قلبي..

روحي..

ضل ثلاثتهم الطريق إلى الآخر.. "

هذه ضريبة الوعي والاندماج في الواقع حتى ذروة المعاناة, التي أخذت كاتبتنا إلى خط الوهم الفاصل بين الحضور والغياب, بين الحياة والموت..بين الوجود والعدم..ذلك السؤال الذي يطل في العتمة فيما الشظايا تتناثر إرهاصات تارة, وزفرات تارة وقذائف حنق تارة.. حساسية لامرأة من أرق

وهنا السؤال من جديد:

متى تكتب.. وكيف؟

" قلمي يناشدني الانعتاق, وأنا أناشد ألمي.. "

هي كتابة النزف.

فكيف تناشد آلامها وعلى أي الصور, وبأي الأسباب..

هل لأن سبل الاتصال وأسبابه قد انقطعت..!

" لإفهم يا أخي.. الحجرة التي جمعتنا.. ماتت.."

هل يموت المكان؟ أم هو مكان معنوي غير المكان.. أم أنها هي المأخوذة بالجحود.. المرجومة بصدقها.. الملعونة بوعيها.. والمزحومة بالثورة والضجر والغضب..

" ريح عاتية تجتاح أحشائي

الطريق تتلوى تحت قدميَّ

رائحة أحلامي تمتزج برائحة الإسفلت المنصهر بلهيب أنفاسي, يهطل المطر على غير ميعاد, تخمد أنفاسي, يطل شيء ما يختلج تحت الرماد "

هذا يفضي بنا إلى سؤال الغربة في الشظايا كبنية فنية اختارتها الكاتبة لعملها, والكاتبة آمال الشاذلي مولعة بالقصة القصيرة, ولها مغامراتها في هذا المجال, كما أن لها تميزها في التقاط لحظات عادية من حياة أشخاص عاديين للنفاد إلى ما هو ابعد من اللحظة أو الموقف المرصود, من خلال المفارقة وتيار الوعي والاسترجاع والبوح حيث تطير رسائلها على بنى قصصية رشيقة تصيب أهدافها في معظم الأحيان كما ظهر في مجموعاتها **لسبب ما.. وضجيج الصمت, ولحظة اغتيالي**, حيث تنفذ من المعيش اليومي لسبر أغوار العوامل والكوامن غير المعلنة التي تقبع خلف العمل, والتي هي في أغلب الحالات عوامل المحيط الذى يعيش في كنفه الفرد, والذي يدفع ضريبة الغير كقدر لا فكاك منه..

لماذا دخلت آمال الشاذلي هذه المغامرة المفاجئة؟! وقطرت تجاربها على جغرافيا مساحة محدودة قد تصل إلى حدود الجملة الواحدة, فتظهر كما لو كانت حكمة أو قولا مأثورا, أوشفرة لغوية, وقد تمتد إلى رشقة شعور تنطلق مثل بخار الزفير.. أو حوارية تركض وراء حكاية تتوقف فجأة لتفضي إلى بوابات مشرعة أو مغلقة..

فهل ما تناثر من شظايا يعتلي متن القصة القصيرة أو القصيرة جدا, أم هو الشعر, أم هو الوقوف عند حافة التهويم, وهل مجموع الشظايا يشكل ظلال رواية ذاتية وحداثية..؟!!

في اعتقادي أن تجربة الشظايا تحمل كل ذلك ولا تنتمي لأي من ذلك, ولكنها تنتمي لذاتها فقط, كتجربة إبداعية اختارت شكلها, وأن كل محاولة لزجها إلي التصنيف يفسد طلاوتها ويقوض معالم جمالياتها..

هو شكل اختار ذاته من تنامي شحنات تزاحمت وتراكضت في وعي الكاتبة, ثم تمردت على أسرها واصطفت في بنية شديدة الخصوصية.. وانفلتت..

فهل تتكرر التجربة وتتطور لتجريب جديد؟

إن التجربة اختارت شكلها ونجحت عندما وجدت مبدعا يجيد التعامل معها, ويعطيها حقها المطلوب من دفقات الحياة, لذلك أخذتنا على جناح الدهشة حتى السطر الأخير وذلك أول عتبات النجاح.

*** آمال الشاذلي كاتبة مصرية تقيم في الإسكندرية, تعمل في الصحافة وتكتب القصة القصيرة وقد أصدرت ثلاث مجموعات قصصية هي ضجيج الصمت, ولحظة اغتيالي, ولسبب ما..**

*** شظايا منشورات منشأة المعارف – الإسكندرية 2008**

على قيثارة منى عارف

في مجموعة روائح الزمن الجميل

امرأة تكتب بأصابع قلبها ومداد روحها.. ترقص على إيقاعات هامسة, وتنصت إلى رعشة لهاث صدرها, تتعذب بعذاب الآخرين الذين فقدوا الأمس واليوم ويعيشون الذهول أمام غد مصادر.. تلوذ بالحلم مساحة مشروعة للاختيار واستفتاء الرغبات غير المعلنة, تعبر الحالة بشفافية أثيرية وبأناقة فراشة تغني للصمت, تستدعي الكلمات عارية لا تحجب الألم.. ولألمها بهاء المعذبين بالشوق إلى الفرح, هي العاشقة تعبر الحلم, تتلفعه غلالة من سحر بكر يعصمها من موبقات عالم متوحش.

ما الذي تقدمة في كتابها الأنيق ؟

بوح أو عزف روح, يتجلى في استعارة شخوص سكنوها طفلة وما زالوا في صدرها, وما زالت فرحة بهم بعد أن أصبحت امرأة لها حياتها وتجاربها, منى عارف لا تغادر طفولتها, تعود إلى ناسها الأوائل, تهمس بالمؤجل من الرغبات على الورق, والورق مساحة بيضاء تحضن الفكرة. فهل في ذلك تعويضا عن الفقد؟

البدايات لا ترهص بالنهايات " فالمنطق ليس سيد الحالة " فهل يصبح الاغتيال سنة مبررة؟! تهمس, تحضن قلبها, تتدفأ على فيضه ودفق نبضه, تمارس الأناقة, تحفظ أشياءها في **صندوق الدنيا** تحتفظ به بكل ما هو حميمي وجميل, يحمل بصمات الأماكن والتواريخ والأحداث والأشخاص والمشاعر, التي تفوح أريجا من أوراق جفت مع مرور الأيام التي قطعها العمر القصير على الأرض, ما يضخم الإحساس بفجيعة الفقد, ربما ذلك ما يفسر حزن ورعب الكاتبة من ضياع الألبوم حتى لا يضيع جزء عزيز عليها من حياتها, فالحياة في عرفها, هي الآني الذي ترتب عليه الحاضر الموصول بالماضي في صيرورة تربط البدايات بالنهايات, فنراها في البنت التي توفرت لها طفولة سعيدة, تقف وقد أصبحت امرأة مجربة عند سؤال " **هل تبقى البنت الأمورة أسيرة أيامها الأولى..**" حيث يسكن عم حبيب بائع السوداني واللب والدوم بوجهه الأسمر الطيب وابتسامته التي لا تغيب, ودكته التي ما زالت تنتظر عودته المستحيلة, ذات الأمر يفوح من سيرة الاستاذ عبد الجليل, المعلم الصعيدي الملتزم الذي يفيض حبا وعلما وأبوة, ما زال طازجا وما زالت تعزي نفسها فيه, كما فعلت يوما وانضمت لطابور

الاطفال يقدمون العزاء بوفاة زوجته التي خطفها الموت كما خطف نور اللبنانية من أطفالها تاركة طيف ملاك يترنم بأهازيج المحبة.. هو الموت الواقف بالمرصاد يخطف الخياطة/الفنانة خديجة في رحلة الحج, فلا يبقى منها غير ذكريات فساتين بديعة, وشبرات ملونة وأزهار وإكسسوارات وروائح تنبعث من مخمل الذكريات, فمازال الطريق إلى منزلها " الذي تغلغل في مساحات الطفلة " في حنايا روح المرأة/الكاتبة يزودها بالامتلاء حتى الفيض وجدا وأسئلة عندما تجلس أمام طاولة الأحزان مع صور ميلاد أول طفل, وسبوع البنت, وخطوبة ابن الخال, وزواج الأخت, وحفل تخرج أول حفيد..وموت الجد ثم العم..شريط يبدأ بالميلاد لينتهي بالغياب وآهة مكتومة, فتحدث نفسها " **كأني الملومة, وأنا التي على هذا الزمان جنيت** "..فهل تتجني وهي التي تعيش على ريحة الحبايبب, وما زال جدها يطل عليها مؤكدا أنه لم ينساها, وأنه سيرسل لها العيدية, جدها لا يفارقها وهي لم تفقد رائحة قهوة السيدة التي تقرأ الغيب بصفاء سريرة, وتتحدث عن قوادم الأيام بشفافية المؤمنين, تقدم قهوتها المحوّجة بود صادق, مثل صدق رنة صاجات بائع الشراب السحري والنداء العذب, شفا وخمير, ذلك الطالع من أزقة قاهرة المماليك.

مثل هذه المرأة لا يمكن أن تحمل وزر ما آلت إليه الأحوال في هذا الزمان, فهي لم تغادر البراءة ولا تريد ذلك, والبراءة لديها متعددة الأحوال والصور, نراها في جارها **صاحب القمري** الذي يصفر لطيوره فتأتيه من كل صوب, تلتقط الحب من كفه وترقص حوله وتهدل جذلة بالتواصل, وهي المراقبة للأمر, تعلمت كيف تكون عصفورة تهبط على كف وليفها/شريكها راغبة, فينزع عن ريشها ما علق من أشواك, ويعيد لها ألق الامتلاء البريء, فالبراءة المفتاح السري للعشق الذي تعرف دروبه ومواعيد الذهاب إليه ودخول غرفه المسحورة, بذكاء, تعكس أشواقها همسا على أجنحة الكلام, تطير بها على إيقاع الرغبة ما يجعل الكلام مُحملا على أبعد من حدود الكلام, وكأني بها تطلق عصافير أفكارها لمن لهم القدرة على فك الرموز وترجمة الشفرات.
فهل تكتب منى عارف طفولتها للخروج من مدارها؟

هي لا تتخلى عن طفولتها, فهي ما زالت فراشة كلما خرجت عن المدار إلى غابة الحياة تعود حتى لا يثقل عليها التلوث, فهي أشبه بفراشة أميرة ترافق شغالات النحل, تتزود بعسل خالص يغذيها بالبكاء الجميل والغناء الأجمل, فتثير القارئ حول ما تكتبه من قطع نثرية محمولة على شفافية نابضة, وشعرية تتألق مع اللحظة,تلقائية لا يشغلها ما يشغل القاريء/الناقد من توصيف وتصنيف..مقالة/ خاطرة/ قصيدة / بوح مسترسل. فهي تكتب في الأصل منى عارف, وحتى

لا تأخذنا الأسئلة بعيدا, فإننا إزاء صور قلمية لامرأة تكتب بأصابع قلبها ومداد روحها, تخرج من شرنقتها لتستحم في فضة فجر ندي, تطلق الرؤى فيكون المخبوء ما بين السطور واسع اتساع الفكرة, بلوري بشفافية الحلم وصفاء المرايا الداخلية.

*** منى عارف كاتبة وصحافية تقيم في الإسكندرية**

*** روائح الزمن الجميل قصص قصيرة القاهرة 2006**

جنة موصدة أبوابها

قراءة في قصص ليس للجنة فرع آخر لمحمد عبد العظيم

محمد عبد العظيم كاتب شاب مطارد في أدغال واقع متوحش يغتال الغد بعد أن أتى على الأمس واليوم, واقع يعيش على سنة الافتراس وتقديس العتمة, والحصاد ضياع, ورقص على الدم المسفوح.. وكأنه من طبيعة الأشياء.

ما الذي أخذ هذا الشاب إلى فنتازيا على أرض قناديلها مطفأة بفعل فاعل؟

هل هو العجز عن المواجهة, أم هو القبض على نار الحقيقة, أم الذهول أمام الدوران المجنون حول مركز السكون الذي يخلخل منظومات الوعي, ويشوه الوجدان, ويجعل قيمة الإنسان على ضفاف الصفر, فيسقط العقل في بحر الوجوم والبلبة..ذلك ما يعيشه كاتبنا الشاب المؤرق بالأسئلة، الممتلئ بالمعرفة, يطارد الحقيقة حتى اللهاث والإغماء, ويحلم بالشبع حتى رجفة الموت جوعا. وهو المسلح بأدوات النجاح, يغنم بشهادة ممهورة بناب أزرق يقذفه خارج المدار..يحاول الهجوم أو التسلل فيخرج مذبوحا, يحاول الدخول إلى عالم الأدب ليعيش الألم على طريقته ويحقق ذاته ويظهر تميزها وتمايزها عن ذوات الآخرين, فيصطدم بمن يشكك في شرعيته, ويطفئ جذوته المتقدة. كما في **قصة أيامي في الأدب**, عندما يتقدم بروايته الأولى عن سيزيف"هو" فتتهمه المحكمة بالسرقة, وترفض نسب الرواية له, وترفض شهادة أبيه " الشاهد الوحيد " بدعوى أنه لا يميز الألف من كوز الذرة .

وعندما يطرح مجموعته القصصية يحتاط للأمر, ويجمع تواقيع جميع كتاب مصر, ويحصل على شهادة تزكية من اتحاد الكتاب, ولأنه فعل كل ذلك ترفضه المحكمة شكلا ومضمونا وتعتبره من أدعياء الأدب. ولأنه الواثق من قدراته, والمعترف به من ذوي الاختصاص, ينشر وعلى نفقته الخاصة ديوانه, مع مقدمة ضافية لشاعر كبير ومشهور.. يبقى الديوان على الأرصفة لا يجد من يشتريه, ويغرق في الديون, ويتشرد أطفاله, وتطلب زوجته الطلاق وتتزوج من أكاديمي معروف, وتؤسس معه دارا للنشر, وإمعانا في إذلاله تقود حملة ضد كتابه النقدي, وتتهمه بالعمالة, ما يدفعه إلى محاولة قتلها فينقذوها منه ويودعونه السجن فيؤلف مسرحية تدور أحداثها حول الهروب من السجن, فيتمكن السجناء من الهروب ما عداه, فيتسلى بكتابة المذكرات.

ما الذي يريد قوله, هل كل من يتوخى الصدق ويخلص لأفكاره يجب قتله قبل أن يبدأ!!

يحدث ذلك عند انفلات المعايير, كما ترهص **قصة الحادثة**, حيث يحمل القطار ثلاثة عمـــال, وسيدة مع كلبها المدلل وفتى وفتاة, وسائق القطار لا يتوقف عند المحطات, ما يحدو بالعمـــال إلى تذكيره قبل الوصل إلى المحطة الثالثة ولكنه لا يتوقف, يهاجمونه فيضربهم بيـــد واحـــدة ويخرج القطار من الخط ويصطدم ببناية آيلة للسقوط, تتدحرج رؤوس العمال خارج القطـــار وتبقى الجثث داخله, وتصرخ السيدة هلعا على كلبها وتموت بالسكتة القلبية, ويهـــرب الكلـــب مشردا في الشوارع, أما الفتاة فيغمى عليها والفتى يراقبها عن بعد.

وفي معرض الحديث عن الواقعة, تتفق الجرائد العالمية على أن القطار خرج عن مساره قبل الوصول إلى المحطة الرابعة بعد أن قطع 1980 فلنكة, لكن صحيفة روسية أعطت تفـــسيرا مفاده أن الحادث وقع قبل الوصول إلى المحطة الرابعة, وأن خللا أصاب العداد لوجـــود 72 فلنكة مسوسة, وأن القطار خرج عن الخط عند الفلنكـــة73 وان للأرقـــام دلالـــة سياســـية أو تاريخية(1973, 1980,19721) ويؤكد ذلك تضارب الأقوال حول شخصية السائق, فمن قائل أنه جنيّ تقمص جسد إنسان " تفسير غيبي ", ومنهم من أكد أنه ركب سيارة مرسيدس كانـــت تنتظره نقلته إلى إحدى السفارات, وتم تهريبه إلى الخـــارج بعـــد تغييـــر ملامحـــه "نظريـــة المؤامرة".

ولأن الحادث مدبر, يقوم زوج السيدة بشراء العمارة المنهارة ويبني عليهـــا مجمعـــا متعـــدد الأغراض يخصص طوابقه العلوية لمستشفى العلاج النفسي للكلاب الضالة, بعد أن عثر على كلب المرحومة.وفي يوم الاحتفال بشفاء الكلب من مرض الشيزوفرينيا تصعد روح الفتاة في المستشفى العام"لفرط العناية والنظافة وتوفر العلاج" فلا يملك الراوي/الكاتب غير الصعود إلى سطح البناية ليمارس الانتحار طائرا وكأنه يقول :

" لماذا نجهد في تخيل الفجيعة ونحن نعيشها على مدار الوقت, فهل نملك غير الانتحار؟ "

ذلك ما يبحث عنه **في قصة الريح** فالمكان الترام, والجو ماطر, يصعد رجل يرتدي معطـــف سميك ونظارة سوداء وأكياس بلاسيتكية, يجلس على الكرسي المقابل للراوي, ويـــشرع فـــي الكلام وكأنه يكمل حديثا بدأه قبل أن يصعد إلى الترام, وعند محطة الجامعـــة يتحـــدث عـــن الحَبّيب اليوم والأمس فحَبّيب اليوم يتقصع طول اليوم, أما حَبّيب زمان فيتعامل مع الحقـــائق بوعي والتزام, فالحب عنده " هذه أمي وهذا أبي "..يهزأ به راكب شاب فيرشقه بالسؤال:

- لماذا أنتَ موجود؟

يؤخذ الشاب, وينتصر الرجل ويقصفه بسؤال آخر:

- هل تعرف كيف توحد الله؟

يصمت الشاب ويؤكد الرجل ضياع هذا الجيل الذي ابتعد عن الأعراف والمثل, ولأن الحديث يتعلق بالأعراف, يتحدث الرجل عن الأجانب وكيف تعلم منهم تقديس العمل واحترام النـــاس,

وكيف يحترم الأجنبي الناس حتى يأخذ غرضه أو يسيِّر عمله, حتى اليهود أولاد.. يحترمونك ولا يحبونك ولا يظهرون لك العداء..

الترام ما زال يقطع المحطات والرجل ما زال يتحدث رجل يسأله:

- هل أنت الريح؟

يسأله كيف عرفه, وأين قابله لكن الرجل لا يجيبه ويهبط عند محطته.

الترام يقترب من المحطة الأخيرة, والريح يتحدث عن محصل التذاكر أيام زمان عن صفارته التي تصدر نغمات مميزة, وعن أدبه وأخلاقه مع الركاب وطربوشه.. عن أيام العز عندما كان المحصلون يفطرون الكبدة واللحم والسجق, وعن أصواتهم المبحوحة هذه الأيام نتيجة إفطار الفول الإجباري..

وفي آخر محطة يهبط الرجل حاملا أكياسه, ويصحو الراوي الذي أخذته حكايات الريح ولم يهبط في محطته وعليه أن يعود في الاتجاه العكسي ..

لماذا الترام, ولماذا الريح "كنية للرجل" ولماذا المطر, وماذا يريد محمد عبد العظيم السارد الحساس اللاقط للأسباب, المؤول للنتائج, المفعم بالتفاصيل لدرجة الانتحار, والمطلع حتى الامتلاء على الفكر والسياسة والأدب, والخارج من نسيج الفئات المسحوقة في المجتمع المصري.

ماذا يفعل والخراب طال كل شيء وأفسد الحياة ؟

هل يواصل رفع صخرته المتدحرجة إلى قاع الوادي, أم يقاتل طواحين الهواء, حتى لو ترك كبده للجوارح تنهشها في النهار لتنمو في الليل من جديد.

هو يستعذب الألم, فهل يجد فيه بعثا جديدا أو فجيعة جديدة كما في قصة الغربان حيث ينظر في المرآة فيطل عليه وجه كافكا بدلا من وجهه.. يبحث في مكتبته عن كتاب لفرانز كافكا يرى نفس الصورة بالأبيض والأسود, وصفحات بيضاء غادرها الكلام وكأنها تدعوه إلى كتابة فصلا جديدا, ماذا يكتب وهل يكون كافكا آخر.. يعود إلى الماضي(1912) ويصور الرعب الذي أصابه عندما صحا من النوم ولم يجد أمه.. هل هو الإحساس بفقد المرجعية, لكن الخوف يظل يلازمه حتى بعد عودة الأم, فهل عودة الأم لم تؤكد الانتماء؟ يقفز إلىالعام1992 شاب حديث البلوغ يتعرف على المرأة, يقف عند الرغبة والمحرم, هل يكسر التابو ويثبت أن العلاقة بين الرجل والمرأة ليست كعلاقة البنزين والنار, فكيف يتم ذلك ومن أين له طاقة تكسير الموروث الذي يعشش داخله, فأبيه الذي يراه كما يريد ويشكله على هواه ويدمر توازنه ما زال له بالمرصاد.

لا يستطيع التمرد, ويعلن هزيمته في معركة لم يخضها ويشكر حبيبته على رسائل لم تكتبها, ويتنازل عنها لمن يستحقها, ويصدق أنه شبح يتسكع في روح إنسان, فهل في ذلك شيء من

كافكا, أم أشياء من محمد عبد العظيم الذي يتوقف عن الكتابة ويصحو على تهشم زجاج النافذة, وعلى كتيبة غربان تنشب مخالبها فيه..غربان تحمل وجوه يعرفها..وجه لا يحمله غراب كان مصلوبا على المبنى هو وجهه..

لِمَ كل هذا الفزع والخوف والتشاؤم!

الكاتب يُقر أن الجهد الفردي لا يستطيع التصدي لعوامل الهدم والتدمير, وأن إعلان الهزيمة لا يبرر الخروج من الصراع, حتى ولو كان الإنسان المؤرق بالمعرفة أول ضحاياه. فقدره الرقص مذبوحا من الألم, كما في **قصة خلوة الحضرة..وحضرة الخلوة**, فالمؤلف هو بطل القصة يغير موسيقى الموبايل إلى نغمة طويلة " حبيبي ما ترحش بعيد..يا حبيبي" يشوي المنتظر على الخط انتظارا قبل أن يرد عليه, لجأ إلى ذلك بعد أن تركته حبيبته صفا وغادرت بعيدا, تاركة إياه مع الوحدة والفقد وتتبع أخبارها عن بعد, تعود ومعها طفلها علاء, وعن بعد يتصل به رقم غريب لا يكترث به, ويدخل الحمام ليجد الموبايل قد سجل اتصالين من نفس الرقم, يتصل فيرد عليه صوت نسوي يعرفه:

- صحيح أنا اتصلت..هذا الرقم مسجل عندي باسم محمد بس..

يصرخ علاء, صوتها يسأل:

- ممكن أعرف مين..لأني مش عارفه أفتكر النمرة دي..

يُغلق الخط ويشعر أنه أمام كتيبة من جنود الإعدام, يطلقون عليه النار دفعة واحدة.. يهرب إلى المسجل ويرقص على موسيقى رجل وامرأة.. يدعوها للرقص.." كم رقص معها على أغنيات الأفلام التي تحبها والتي كانت تُسمعها له على التليفون.."

يطلبها ثانية..ترد بسرعة:

- محمد عبد العظيم..

يجيب بسرعة من يتخلص من أجندة قديمة :

- النمرة غلط..

لم يعد محمد عبد العظيم الذي تعرف, ولم يتبقى من صفا التي أحب غير طفل ينتمي لرجل آخر, ونغمة راقصة لأغنية عابثة "يا حبيبي متروحش بعيد.."

يحضن قلبه ويواصل الرقص مذبوحا من الألم..؟!

ولعل أعذب ألوان الألم في البوح الصوفي في رحلة البحث عن الجوهر, حيث يتعرى الواحد أمام الحقيقة كما في قصة ليس للجنة فرع آخر حيث يدخل في مكاشفة مع حبيبة مفترضة "ليلى الحقيقية" التي تصادق الذئاب حبا, فتهز لها ذيولها وتبتسم بأنيابها المتحفزة للافتراس.. يحاول الالتفاف بلعبة التميز, ويحدثها عن الثقافة والمعرفة فتخترق حواجزه الواهية, وتضبط فيه فتيات أحلامه ولا تغضب لأنهن جميعا يحملن ملامح وجهها الطفل..عندها يدرك كيف

يستوطن الحزن خلف قناع البراءة, فيتألم لحزنها الذي هو سحرها, وهو الذي عاش مع الشجن صديق عمره, لذلك يقرر تأليف كتابا عن فلسفة الضعف يعارض فيه نيتشة, الذي تحدث عن فلسفة القوة, وطرح منطقا هشا, أما هو فسيكتب فصلا في تعليم الضعفاء الكراهية, لأن الأقوياء يولدون بها غريزة أصيلة فيهم.

فهل يحقق ما يصبو إليه في عالم متوحش؟

لا ملاذ غير الحلم..

لذلك يتمنى لو تحول إلى بخار يجوب العالم ويهبط مع ذرات الندى, ويطبع قبلة على وجوه النساء,وينسخ القبلات وينسج منها فستانا لحبيبته, يخيطه بفمه قبلة قبلة, وينسحب مع ذيل الفستان على الأرض التي تستمد شرفها من خطواتها عليها.. أية عبودية للحب هذه, وأية محبوبة تلك التي ينشدها محمد عبد العظيم طالب الحب الفقير, الذي يرى في الحب قبلها زندقة وبعدها الحاد..

تجيب أو هو يجيب لا فرق بعد أن حل فيها وتوحد:

شاطئا ما ترى..

فهل ما زال حتى اللحظة يبحث عن شاطئ يأخذه إلى جنة مساحتها امرأة متجردة من ألاعيب أهل الأرض..

أما بعد

محمد عبد العظيم شاب مزحوم بالأسئلة الجارحة, يقظ يجافيه النوم المريح, متوتر مثل تائه الصحراء لا يرى غير السراب, محزون يقف في منطقة الحيرة بين الصدمة والدهشة, يملك حساسية خاصة, مسلح بأدوات الكتابة, عارف بشروط القص, يخوض تجاور وتقاطع الأنواع الأدبية لا تخذله اللغة, ولا يأخذه الاسترسال خارج حدود النص, شفراته غامضة على قارئ التسلية, مثيرة للباحث عن جدوى الفن في الألفية الثالثة, يأخذ من التكنولوجيا بمقدار ويغترف من الموروث الجمعي بمقدار, تشغله السياسة وتخلخله ولكنه لا يتوقف عن الاندفاع, يعاني الفقد, يبحث عن جدار يحميه فلا تغتالوه

*** محمد عبد العظيم قاص شاب يقيم في الاسكندرية**

*** ليس للجنة فرع آخر, مجموعة قصص تحت الطبع**

عيون أبو نصير عثمان تجاوزت أفق البصر

في مجموعته القصصية "**عيون**" يقدم القاص أبو نصير عثمان قصصاً مشاغبة, تضرب على وتر الألم وتضع القارئ عند الضحك الذي يسبق البكاء والانفجار، من خلال حكايات يلتقطها بحساسية خاصة محمولة على لغة الحديث اليومي بلا رتوش، ما يؤسس بينه وبين القارئ ألفة، وتلك ميزة تحسب للقاص، فهو صاحب رؤية لدور الفن ورسالته في خدمة المجتمع, لذلك نراه يتسلل من المناخ الذي أوجده بخفة وقد همس محذراً " خللي بالك.." من منظومة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والقيمية, وأبو نصير في لعبته القصصية يرصد المسببات من خلال عرض النتائج في لحظة كشف أو ربما في لحظة جنون، بتقديم أفعال تبدو طبيعية ولكنها غريبة منتقاة، وهنا يظهر التحريض هدفاً من أهداف الكاتب.

ففي قصة الباب يقدم الهدايا لعزة التي لا تبادله المودة، يذهب إلى بيتها بعد أن رحبت أمها به فيجد البيت وقد خيم عليه السكون، إلا من ضوء ينبعث من نافذة الحمام "لماذا الحمام", تخرج له عزة شاحبة تخبره أن لا أحد في البيت وتسأله بجفاء لماذا يقدم لها الهدايا, فيخبرها عن رغبته في طلب يدها قريباً, تصفق الباب في وجهه ويحدث ارتجاج في قوة زلزال يعيده إلى رشده، فيكتشف أنه يرفع الماء من بئر جاف لا قاع له, ويعيش ترافقه الهواجس السوداء كلما حل المساء, أو رأى الهدايا في واجهات المحلات, أو في أيدي المخدوعين، وكذلك عندما يرى أضواء النيون ساطعة في وجه الظلام..!!

وفي قصة خللي بالك, يعيش المواطن علي نور الدين حياته ترقباً وتوجساً من تعدي الآخرين عليه، ما يوقعه في مدار الحذر والخوف والانتباه, واستدعاء حواسه الخمسة أو السبعة إن وجدت، وللخروج من حالته يقرر تغيير اسمه إلى **علي خللي بالك** حتى يتماهى مع حالته، ولكن هذا الخيار العبثي لا يتحقق بسهولة, فهو يتطلب إجراءات معقدة أشبه بالمستحيل، يظل على تصميمه ويذهب لشراء استمارة تغيير الاسم فيكتشف أن محفظته قد سرقت منه لأنه **لم يأخذ باله**, وكأن أبو نصير يعرض إشكالية حياة المواطن في عالم تهتز فيه المعايير، بأن يأخذ القارئ/ المتلقي إلى مفارقة الرثاء والضحك..

وفي **قصة ميمو المنبه**, نرى رجلاً صارماً قليل الكلام يلوذ بالصمت واعتزال الناس، لا يطمح بأكثر مما يريد وهو قليل ومحدود، ينجح في أسلوبه ويصبح حالة خاصة ما يجعل زوجته تتباهى به " **زوجي مثل الساعة المنبه مضبوط على طول وأحياناً يرن..**" ولكن متى وكيف ولماذا يرن، هذا ما لم توضحه الزوجة، ربما لأنها لا تعرف مثل القارئ أو حتى

الكاتب، فميمو اختار الهامش وسكن فيه، ما جعل زملاؤه في العمل يتعاملون معه وكأنه قطعه أثاث قديم لا تنفع ولا تضر..ميمو المنبه يشعر بالانتصار لأنه يطبق برنامجه حتى وقع في الاختيار يوم اعترض الباص الذي يقله كمين للمباحث الجنائية، طلب منه الجنود بطاقة تحقيق الشخصية فلم يكترث, فانهالوا عليه ضرباً أدى إلى نقله إلى قسم الرعاية المكثفة في المستشفى، أفاق بعد عدة أيام واستهجن فعل الشرطة معه وفسر الأمر لزوجته بأن الشرطة لم تسمع به من قبل، فهم جدد في المنطقة ووعدها أنه عندما يستطيع المشي على قدميه سيعرفهم من هو

فهل يفعلها ميمو المنبه المضبوط مثل ساعة المنبه وأحياناً يرن.

وهل يرن هذه المرة..؟!

وفي قصة المكوك, يهرب الساعي عطيتو من غرفته المزدحمة بالزوجة والأولاد وقد أصبح النوم زائراً مستحيلاً، ويجد الحل في قضاء بقية نهاره راكباً في الأتوبيس الذي يذهب إلى أقصى المدينة، يستند على وسائد لحم الركاب الذين يشاركونه المقعد، وعطيتو السعيد باكتشافه يفاجأ بزوجته وأولاده يطلبون منه اصطحابهم في رحلته المكوكية، فتنتقل الحجرة وسكانها إلى الأتوبيس..

فهل يستطيع عطيتو النوم, وعلى أي الوسائد؟

وفي قصة المكياج, تحرص سارة على استخدام مواد الزينة ما يحير حبيبها, فجمالها الطبيعي يغنيها عن المكياج، ولأنه يعرف تفاعل كيماويات مواد التجميل مع الحرارة والضوء, وما يعكسه من تغيرات بتغير ساعات النهار وأحوال المناخ، فيرى سارة ساحرة أول النهار وآخره، وعادية عند الظهيرة، تبدو أكثر جمالاً في الظل عنها تحت سياط الشمس.. فهو يرى سارة بعده وجوه يومياً.

وفي ظهيرة أحد الأيام يقابلها ليعلن رغبته الزواج, فتصرخ باستنكار ممزوج بالقرف، فيشعر أن الشمس تحرق المكان ومساحيق التجميل ويرى سارة متواضعة الجمال، ويصيبه الاحباط.. ولكنه سرعان ما يلملم ذاته المتناثرة ويدخل في الفنتازيا..كما في **قصة عود الكبريت**.. يسبق حبيبته إلى دكان البقال ويدخل علبة كبريت وليصبح عود ثقاب، تشتري الحبيبة علبة الكبريت ببقايا الفكة، وفي المطبخ تشعل العود الذي على يمينه لعمل الشاي وتلقيه في سلة القمامة، أما هو فتستخدمه في لإشعال موقد الحمام وتلقي به على بلاط السيراميك، وعندما تفتح باب الحمام يشفطه الهواء ويلقي به على سريرها, وفي الليل تصرخ ممتعضة:

– اية حكايتك أنت من أول النهار ملازمني, شويه في المطبخ, وشويه في الحمام, ودلوقت على سريري ناقص تنام معي..

وتلقي به من النافذة ليجد نفسه مازال عند البقال سارحاً في خطوات حبيبته التي اشترت ما يلزمها وانصرفت ولم تلتفت لوجوده..

أما **في قصة طوق نجاة**, يناديه البحر للعوم فيذهب لاستئجار طوق نجاة، لكنه يدخل في تهويمات تغطس به إلى عمق الماء فتلتهمه الأسماك التي تقع في شباك الصيادين، وتعرض للبيع في الأسواق، وتعرض على موائد الشرائح الاجتماعية المختلفة, وما تبقى من الأسماك يشتريه صاحب مطاعم بسعر زهيد ويقرر حفظه مجمداً.

وقبل أن يتجمد يخرج الرجل من تهويماته ويصرف النظر عن نداء الماء، وكأنه انتصر على مخاطر البحر..فهل انهزم أمام ذاته..؟

وبعد:

ماذا يريد أبو نصير عثمان بهذه القصص المشاغبة لدرجة الهستيريا والجنون، والساخرة لدرجة البكاء الذي يسبق النزف.. ربما يقدم الكاتب أسئلة الصراع مع الحياة من أجل الحياة من خلال شخصيات مهزومة، تشحذ القارئ وتحرضه على البحث عن سبل الانتصار، لأن في الحياة، ما يستحق البحث والتأمل للوصول إلى سعادة حقيقية ربما تكون محجوبة خلف ستائر رقيقة, وأنا من الذين صدقوه فقد أخذتني عيون قصصه إلى ابعد من مرمى النظر, إلى منطقة ربما لا يسعفني فيها البصر ولكنها تدعو إلى التأمل..

*** ابو نصير عثمان روائي وقاص يقيم في الإسكندرية**

*** عيون قصص قصيرة, منشورات ندوة الاثنين الإسكندرية 2006**

تهويمات محمد عطية محمود في وخز الأماني

القصة القصيرة تمتطي جناح الشعر

لعل أهم ما تطلقه قصص وخز الأماني للقاص الشاب **محمد عطية محمود**، هو العلاقة بين الرؤية الشعرية وفضاء القصة القصيرة، وهل يحمل الشعر بنية ومضمونا مركبة القصةً, ويحيل السرد إلى إرهاصات محمولة على شفرات تأخذ القارئ إلى ما هو أبعد من جغرافيا النص على الورق.

قصص قصيرة جداً ولكنها ذكية، مراوغة، ترقص أمامك وتطير، لكنها تعود باقة أسئلة خلفها قاص موهوب ومؤرق بالحياة, يبحث عن موطئ قدم وبصمة خاصة به، وسيلته الغوص في الواقع لدرجة الاشتعال، أو ربما الاحتراق للخروج من رماد التجربة بإرهاصات جديدة، تؤكد أن الهروب من عسف الواقع أشد ألماً من مواجهته، ما يدفعه دوماً إلى البحث عن ملاذ يجد فيه بعض راحة، يتزود خلالها بالأرق الايجابي، يأخذه إلى تجليات صوفية بين حدي القدر والقدرة العليا، فلا يملك غير العبث للخروج من عبث الحياة، ولكنه لا يخرج من مشكاة الواقع الذي هو ابنه بامتياز أو ضحيته بامتياز أيضاً.. يمارس الدهشة بعيون مفتوحة, ويعيش الصدمة وذهول الفقد والحرمان شأن بسطاء الناس الذين يشكلون أوسع مساحة في نسيج المجتمع..

فضاء الأماني والانكسارات

المجتمع يقوم على علاقات جائرة، لا تكترث بالضحايا، ولا تقيم وزنا لآدمية الإنسان العادي، وكأنه المنذور للتضحية والاحتراق على طريق وصول الآخرين، قدره أن يظل وقوداً أزلياً في محطات البدايات، ينفذ مع مواعيد الأفول, ما يجعل القاص/الإنسان في حالة ذهول بين الحلم والواقع, بين الفرحة والخوف, فنراه **في قصة وخز الأماني** يركب لهفة الحلم فلدى سماعه صوت ساعي البريد، تحف إليه الأماني أن يكون خطاب التعيين من القوى العاملة, أو خبر الفوز بالمسابقة, أو الموافقة على القرض, أو وصول حوالة مالية من أخيه المغترب، لكنها الخيبة ما يصل، أقصر من ضوء الصباح، خطاب مرتجع لعدم الاستدلال على العنوان.. هل ضلت الأماني الطريق إليه.. ربما هو من فقد العنوان؟!

وفي **قصة تداعيات** يرى صديق طفولته وأحلامه الخضراء صدفة, يجلس على المقهى بعد فراق طويل، الصديق يستقبله بابتسامة نصف مرحبة, نصف باردة سرعان ما تتحول إلى

تكشيرة غائصة في دخان الشيشة الأزرق.. يسلم عليه, يشعر بالصد والغربة لدرجة الاختلاف والتضاد، ينسحب متعللاً بالانشغال وضيق الوقت, يحاول استقصاء ابتسامة صديقه, لا يجد فيها غير المكابرة على الهزيمة، لأن زمن الأحلام الخضراء بات بعيداً.. وفي **قصة ترقب,** تلح عليه الرغبة في معرفة الوقت، وساعته على معصمه معطلة منذ زمن، يراقب الناس من حوله في المحطة، تخذله المعاصم العارية والأيدي المخبأة في الجيوب، يقع على فتاة طازجة خارجة للتو من مساحة حلم، معصمها لا يحمل ساعة.. وقبل أن يدنو منها، يمر بهما عجوز على صدره سلسلة فضية تنتهي بساعة جيب, وقبل أن يسأله يكون قد غادر إلى الرصيف الآخر وكأن الوقت يصرخ فيه قبل أن يصل إلى النهاية قبل الأوان.. وفي **قصة خواء** يتواعد مع صديقه "بعد طول فراق" على اللقاء في ذات المقهى وعلى ذات الطاولة، ينتظر يعاجله النادل بفنجان القهوة.. يطول الانتظار.. ثمة قط يرقد تحت الكرسي الذي يجلس عليه, يخرج القط الأعرج يتسلل من المقهى إلى الشارع, يتابع القط..يرى رجلاً يقطع الشارع باتجاه المقهى عندما يمر أمامه لا يكون الصديق، فهل يبقى بانتظار الصديق (جودو) الذي لن يأتي.. وفي **قصة سقوط الأوراق** تصله الدعوة لحضور الحفل يشعر بأهميته، يتألق ويذهب.. المكان مزدحم، آلات التصوير والبث، رجل المنصة نجم الحفل يلقي كلمة, يبدأ النقاش، يحدث التراشق بالاتهامات، يتوقف التصوير، تختفي آلات البث، ينتهي الحفل، وعند باب الخروج يرى لوحة لشجرة تساقطت أوراقها، يستظل بظلها نصف جسد.. تقذفه البوابة إلى عالم ظاهره يختلف عن باطنه، ويدرك انه والناس قطع في ديكور المشهد.. وفي **قصة صدأ المشاعر** تكون الفجيعة عندما يأخذ الصدأ أقفال القلوب والعقول، فنحن مع امرأة شابة/ عروس مفجوعة بموت أبيها، تنزلق قدمها وتقع في الغيبوبة، تصحو في المستشفى على آلام الكسر والفقد يتناهى إليها ترتيل المقرئ وفي السرادق، تواسيها النساء المرافقات.. فجأة يظهر زوجها الأنيق، لا تظهر عليه أي مسحة حزن.. جامد تركبه الجهامة والصلف، وشواظ تنطلق من عينيه يسألها عن جريمة حضور خطيبها السابق إلى العزاء مواسياً، وكأن التواصل الإنساني أمام الموت جريمة.. فلا تجد الزوجة رداً غير الدخول في الغيبوبة مرة أخرى. لكن الضوء الداخلي الساكن في النفوس يقاوم الانكسار كما في **قصة الضوء والانكسار** مع الشابة الجميلة العاملة في حافلات شركة السهم الذهبي.. والرحلة تنطلق مع نهايات النهار والمضيفة في كامل أناقتها وجاهزيتها للعمل، يسكنها فارس بعيد..

مثل فراشة تنتقل بين الركاب مثل نحلة تقدم السرفيس، مثل أميرة تجلس بجوار السائق.. مثل وصيفة صارمة تطلب من راكب عدم التدخين, وتقدم له بعض مرونة إن هو دخن في مؤخرة الحافلة..تصل الحافلة المدينة مع بدايات الفجر.. تخرج المضيفة من الباب الخلفي للعربة بلا زينة، شعرها ملفوف، وعلى وجهها كدمات الإرهاق, لكن فارسها مازال يحلم معها أحلامها

الصغيرة.. وفي **قصة واجهة العرض** البائعة ابنة القباري تقوم على تنظيف الواجهة، وترتيب الأزياء على نساء العرض الحجريات، وتعيش عبق عطر وطعم أحمر شفاه جربته خلسة مع صديقتها التي تعمل في محل العطور المقابل.. المارة ينظرون إليها بين نساء العرض، تقف بجوار إحداهن وترفع كم الفستان.. تسمع دبيب أقدام صاحب المحل.. تعود إلى تنسيق الفستان على امرأة الحجر تضم عليه القماش، تخفي شرخاً على الظهر الحجري. ترى أي شرخ أخفته العاملة التي تأتي يومياً من الحي الفقير، تصارع مفارقات الحياة من أجل الحياة.

أبواب ضيقة تفضي لآفاق رحيبة

قصص رشيقة، نابضة مثل قلب عصفور يطلب الحياة بأقل المتطلبات، الناس في القصص تعيش أشواقها بالمتاح، تقفز على الجوع بامتلاك حواساً أخرى، لا ترضى بالواقع، تنفلت منه دون انكسار تقتات عذاباتها بوجد صوفي قانعة بأقدارها وأدوارها، ففي **قصة تواصل** نرى عاملين عتالين يتقافزان مع عربتيهما على الإسفلت, يصدران صفيراً يثير غضب السائقين وأصحاب المحلات التجارية.. لكنهما يواصلان الصفير تأكيداً على الحضور، يطمئن الواحد على صديقه وعلى الطاقة الكامنة فيه..ذلك ما يظهر في **قصة فوق الرماد** وبائع المشوي الذي يضع على ظهر فرنه الأهرامات, وعلى بابه خمسة وخميسة محاطة بلفظ الجلالة، لا يأبه للدخان ورائحة الكيروسين، زاده الموروث والتاريخ والإيمان بوابات عبوره.

نرى الأمر في صورة أخرى مع الأعمى الذي يستعين بحواس أخرى لاكتشاف جغرافيا المكان، يرى الناحية الأولى في رائحة الفسيخ والثانية في وهج الطماطم والثالثة من رائحة جميع الفواكه فيعبر الزقاق لا يخطئ هدفه. لكن الأمر لا يخلو من انكسارات كما في **قصة طلّة وبائع السمك** الذي يرتوي من طلة زبونة الشرفة التي تنتظره مع قطها السمين، يلاغيها حتى تسكن مراسيه في أخدود ما بين النهدين ويهديها سمكاً طازجاً بسعر مقبول، لكنه ذلك الصباح, لا يرى غير القط وحيداً حزيناً فيمضي قابضاً على وجعه وجوعه، مثل بائع الحلوى في **قصة الكرة الزجاجية** المحشور بين ركاب الأتوبيس في الذهاب والإياب، محافظاً على نغمة نداءه عسل أبيض بحليب، وجوز هند وزبيب. ويلتقط رزقه، وعند المحطات يتفقد آلام ظهره.

والنوافذ للتسلل أيضاً

في قصص النوافذ، يترك القاص للناس مجالاً للهروب من المواجهة، ليس عن تواطؤ، ولكن لتأكيد أن النكوص أمام المواجهة هو أقصر الطرق إلى الفشل **ففي قصة عقاب**, لا تستطيع المعلمة البدينة ضبط الفصل, فتهرب من مشاكسة التلاميذ إلى فرض امتحان شهري مفاجئ, الفشل هنا باللجوء إلى حلول غير عادلة وهذا ما تكرره المعلمة النحيفة في **قصة مناقشة**

حـــرة، فالمعلمة تفرض جهامتها، ونظراتها العدائية الحادة وتضبط الفصل عنـــوة ولا تتـــرك مساحة للتفاعل، وتحول الدرس إلى مناقشة حرة بعد أن صادرت حرية الطلاب. وفي **قـــصة اقتحام** ينجح الولد في لعبة نط الحبل, وتنجح البنت في لعبة كرة القدم، التميز هنا فـــي غيـــر مجاله، وكأن الحال برمته مقلوب، كما يظهر في حال المعلم ذو الحافظة المهترئـــة والـــسترة المتواضعة في **قصة الهدايا** يستدرج صديقاته ليقدمن له الهدايا الثمينة، وعندما يـــصبح مـــع الناظرة الشابة الجميلة وجهاً لوجه تتناثر مقتنياته، كأنه يعرض أشلاءه وأشلاء ضحاياه..

<u>وبعـــد</u>

فالقاص محمد عطية لا يتجاوز الواقع وإنما يغوص فيه، لا تغريه ألاعيب التمويه والتـــضخيم والتغريب، لا يذهب إلى الفنتازيا والحيل العجائبية، والأسطورة، فالواقع مـــن حولـــه مـــذهل لدرجة الصدمة، قاتم لدرجة الفجيعة، ومبهر لدرجة امتطاء الفرح، وما على المبدع إلا دخول المقامات مخترقاً بلبلة المفارقات إلى بؤر النفس وفضاء الروح، يقطّـــر تجربتـــه بحـــساسية متحفزة، وينسج من ذاته مساحات قصصه، وسيلته الحلم واللغة المكثفة الموحية الحاملة وجد اللحظة, ما يجعل قصصه القصيرة حالات انفجار، أو شرر تماس، فهو يعبر اللحظة بـــروح القصيدة، ويفتح المدى مساحة حياة، يقبض على النص, وان غافله النص في حـــالات قليلـــة وتسلل إلى بيت الخاطرة, أو وقف عند فرخ قصيدة لم تكتسي بالريش بعد.

وفي تقديري أن محمد عطية سوف يقفز مع قوادم الأيام من مقامات التوتر إلى فناء المحاكمة, ويقدم نصوصاً تنبسط فيها الحياة بعلاقاتها ولحظات تفاعلها واشتباكها, وتعطـــي للـــشخوص ملامحهم البشرية والنفسية والمعنوية فالبدايات تدل على ثقة الوصول.

*** محمد عطيه قاص يقيم في الإسكندرية**

حدود الواقع وحدود الفن في لعبة القصة القصيرة

" قراءة في قصص للكاتب السكندري يحي فضل سليم "

في المجموعة القصصية الأولى للكاتب السكندري يحى فضل سليم حدود ضيقة, نقف أمام كاتب يملك معرفة ظاهرة بفن القصة القصيرة وتقنياتها, ويتحكم باقتدار بأدواته الفنية, ويعطي لنفسه حقا مشروعا في التجريب من خلال مغامرات تمتح من الواقع وتعيد إنتاجه كيانات قصصية مراوغة تتمكن من شروطها ونضجها, تحيل المتخيل واقعا يضع المتلقي في حيرة الفصل بين الحادث والممكن حدوثه, وبنقل أرق الكاتب ومكابداته بيسر إلى المتلقي الذي يلهث مستمتعا بما يتقافز أمامه من أحداث وصور, ليصبح "المتلقي" شريكا فاعلا ومكملا للعملية الإبداعية يضيف تأويله الخاص للعمل, ويعكس همومه الموازية أو المتقاطعة مع هموم المؤلف باعتبارهما يعيشان واقعا إنسانيا واحدا.

عتبة النص الأولى

أول ما يلفت الانتباه في قصص المجموعة, الدقة في اختيار العناوين, حيث يشكل العنوان أحد شفرات النص, أو عتبته التي تضيء السؤال الكامن في القصة, أو يومض بالأثر النفسي أو الذهني الذي استدعى القصة عند الكاتب, أو ربما يكون وسيلة تمويه يفتح مجالا للتأويل, ما يضمن تعدد القراءات بتعدد القراء, وهذا يستدعي السؤال القديم الجديد تشحذ المتلقي إلى تأويلات خاصة, ما يعطي مجالا مفتوحا لتعدد القراءات:

لمن يكتب المبدع؟

وفي تقديري أن يحى فضل سليم ينحاز باتجاه القارئ الشريك الذي يتزود بقدر من الذكاء والحنكة يمكناه من إدراك اللعبة الفنية, والتعامل الإيجابي مع النص ما يأخذه إلى مساحات اللذة والدهشة, ولعل هذا يتبدى بداية في عناوين تترك الباب مفتوحا للتأمل مثل **حدود ضيقة, والقفز إلى الخلف, دوامات, رائحة الجدار, مطاردة, تعارف, رعشات صغيرة وغيرها..**

العادي اليومي والأرق الفني

يلتقط الكاتب لحظات أو أحداث من اليومي المعاش للانطلاق إلى فضاء سردي يغوص في أعماق الذات الجوانية للشخوص, فيصبح الحدث مطيه للدخول إلى عالم بديل يرتبط مع الواقع بوشيجة ما, ولا ينفصم لكونه أحد حوافزه أو احد نتائجه

ففي قصة **حدود ضيقة**.. يجلس بطل القصة في الحافلة بجانب امرأتين تتبادلان الحديث, ولا تكفان عن حصاره ورشقه بالنظرات تارة, أو بتنوع وتيرة الحوار تارة أخرى, ما يسرب إليه الشعور بالوقوع في دائرة الرصد, وتواطؤ الآخرين عليه, وحتى يسترد ثقته بنفسه يأتي ولا إراديا ببعض الحركات والتصرفات, وتظهر على وجهه تعبيرات تعكس توتره , وتصدر من بين شفتيه تمتمات خرساء, في محاولة للخروج من الحصار, ولكنه سرعان ما يصفع بصدور الحكم عليه من أحد المرأتين :

" **لقد عاد ثانية يكلم نفسه..** "

فهل ما بدر منه من ردود أفعال كان مبررا للحكم؟ أم أن الحكم قد أخذ سلفا؟

وهل كان فعلا في دائرة الصد.. ولماذا خيل إليه ذلك؟ أسئلة تفضي إلى أسئلة لا تخرج عن مكابدات الإنسان في عالم الواقع

في قصة القفز للخلف, نرى توظيفا لرموز ودلالات القطار في رحلة الذهاب والإياب, وموت القمر مع سطوع العتمة, وتغلغل الموروث الشعبي الذي يهيئ النفوس للانسحاب أمام سطوة القدر, وبخار القهوة السادة الخالية من طعم السكر.. وذلك من خلال عذابات موظف تنازل عن مؤهله العلمي "عقله" فعمل ساعيا في مصنع, بتحريض من قناعات أبيه, ورضوخ أمه للقدر, آملاً أن تكون له الأولوية في تثبيت الوظيفة, فيمضي به قطار العمر بينما أقرانه يرتقون في وظائفهم, وهو مهمل في ملف قديم مترب فقد ملامحه لكثرة الإهمال, يحتوي على ثبوتيات هزيمته, فتنتهي القصة بأن يوكل إليه مالك المصنع الجديد مهمة حراسة المبنى ليلا أثناء غياب الحارس, فلا يملك غير الرضوخ والاستسلام لقدره والتأقلم مع خسارته المتلاحقة..

أين حدود الفن من حدود الواقع, في نسيج غاص في قرار النفس المقهورة بعيدا عن الرصد الظاهري للحالة

في قصة ميعاد المسابقة تطالعنا الكوميديا السوداء مع بنية سردية رشيقة محمولة على جملة قصيرة متوترة لاهثة, تمر بسلاسة على تداعيات وإسقاطات لماحة تساهم في سوداوية

المفارقة, مع الموظف دائم الاعتراض والشكوى من الفساد الذي في مجال العمل, والذي ويدفع ثمن ذلك خصما دائما في مرتبه وحرمانا من المكافآت والحوافز لـصالح أهـل الحظـوة.. ا الموظف يفكر بمسابقة ثقافية ويعد لها أملا في تغيير أسلوب مقاومة الفـساد, أو أمـلا فـي الحصول على المكافأة.. أو بداية لتغيير سلوكه..

يترك الاقتراح على مكتب السكرتيرة بدون كتابة اسمه عليه.. فيفاجأ بإعلان صرف المكافآت للجنة المسابقة التي تضم أصحاب الحظوة, مع استمرار الخصم في راتبه, تاركا السؤال على مصراعية

لماذا جبن عن فعل ايجابي؟

أما في **<u>قصة اتصال صعب</u>**, يضعنا القاص مباشرة أمام أحد أمراض الوعي الجمعـي, وهـو العجز عن التعامل مع الحرص الإنساني العام, وعدم تقدير ظروف الفرد في أتون المسؤولية الجمعية, حيث يختار لحظة أزمة مركبة, مع رجل مشغول بإنقاذ زوجته التي حملـت رغـم تحذير الأطباء, ونقلت فجأة إلى مستشفي فينطلق بسيارته, ويستعلم عنهـا بواسـطة تليفونـه المحمول, فيدهس طفلا إثناء توتره وقلقه.. ويقع فجأة في براثن أفراد الجمهور الذي حاصروه وحاصروا الطفل المصاب, فأخذوا يقلبون الطفل ويتبادلون أعضاءه وكأنهم يريـدون تفكيكـه وتجميعه من جديد, وكذا سلبوه بطاقته وتليفونه المحمول وأوراقه الثبوتية, فأصبح **من** الصعب علية نقل الطفل أو الاتصال بزوجته التي لا يعرف في أي مستشفى ترقد ولا حتى.. وعنـدما ينطلق بالطفل يقع من جديد في قبضة شرطة السير لخرقه قوانين المرور..

قد يسأل سائل:

لماذا اعتمدت القصة على كل هذا الكم من الصدف, أن تكون الزوجة في حالة حرجـة, وأن تكون قد عارضت الأطباء, وأن يكون المستشفى الذي نقلت له مجهول, وأن يقفز الطفل في الطريق عند مرور سيارة بطل القصة..؟؟

والجواب هنا لصالح القصة وكاتبها, وقدرته على رصد أكبر قدر من عوامل التـوتر ممكنـة الحدوث, أو التي تحدث يوميا, لتكثيف الفعل الدرامي وبيان فداحة الخسارة الناتجة من تـراكم الأخطاء الصغيرة التي عند تجاورها وتراكمها تكون الفجيعة, وهذا لا يتأتى إلا لكاتب قابض على أدواته, ومزحوم بأسئلة الواقع من حوله ومؤرق ببؤس الحال ..

وهنا نعود إلى السؤال من جديد حول إعادة إنتاج الواقع, بالإيهام انه ممكن الحـدوث لينـال مصادقة القارئ الشريك الأقوى في التبادلية الإبداعية..

فهل نجحت القصة في طرح أسئلتها؟

اعتقد أنها نجحت بامتياز؟؟

المخبوء في عمق الذات

تعايش معظم قصص يحيى فضل سليم عالم البيئة الشعبية, التي تتجاور فيها الطبقة الوسطى والطبقة الفقيرة, وتضم أخلاطا من البشر يقعون أسفل السلم الاجتماعي, ويحاول الكاتب سبر أغوار النفس البشرية في هذه البيئات المبنية على الإيمان الفطري, والراضخة لسطوة الموروث الديني, بتأويله الشعبي القائم على الاستسلام للقوى الخارقة, التي لا يستطيع الفرد ردا لها, ويظهر ذلك من خلال التخاطر والتراسل مع الخرافة, واعتبارها فاعلا مؤثرا في مقادير الحياة هذا من ناحية ومن ناحية ثانية امتثال الفرد للموروث الاجتماعي الايجابي للجماعة, المؤسس على الخبرة في الحياة بما يحقق تواصلا بين السلف والخلف.. لذلك يلتقط القاص لحظات معينة من حياة الأفراد يؤسس عليها سرده القصصي..

فنراه في قصة الشيخ سيد الذي تلازمه لعنة السمك بعد أن فقد بصره نتيجة مس أو وهم ساقه الى الترعة نائما, متوهما انه يرافق صديقيه كالعادة, وانه غاص في الماء وان الصيد كان وفيرا وان رفيقاه أوسعاه ضربا, وانه بالكاد خرج من الترعة فاقد البصر, وعرف بعد ذلك بالشيخ سيد سمكة, وعاش يتطير ويركبه هياج كالجنون عند ذكر السمك, وكأني بالقاص يعيد لنتاج أسطورة النداهة التي تستدعي ضحاياها الى الماء بأسلوب جديد نتج عن فقدان البصر نتيجة خلل في البصيرة الشعبية..

وفي قصة دوامات, رصد لخرافة الأرواح العفاريت التي تمتطي دوامات الهواء احتجاجا على تحويل المشرحة الى مدرسة, وكأن الأرواح الساكنة في المشرحة تحولت إلى قوى خفية تظهر في أعمدة هواء ثعبانية تحمل الغبار والأتربة وقصاصا الورق, وتترسب في وعي الأطفال خوفا يلازمهم ليلا, ويتبدد في النهار عندما تدب الحياة على سطح الأرض, هذا الخوف ما زال يسكن الرجل راوي القصة والذي كلما مر من الشارع ليلا يتوتر ويشعل سيجارة من أخرى وينتظر قادما يقطع برفقته الطريق, وكأن الكاتب يقول أن ثمة رواسب ما زالت عالقة في أغوارنا مصدرها التأويل السلبي للموروث الغيبي..

وهناك قصصا أخرى تدور في فلك سطوة الغيبي على تصرفات الأفراد, مثل أرواح الأطفال التي تسكن القطط..وغيرذلك من المتداول في الأساطير والشعبية

ومكابدات أخرى

وعلى جانب آخر فإن الكاتب يتعرض إلى مضامين أخرى, بالتقاطه مفاصل معينة مثل الرجل الذي تمنعه زوجته من النظر إلى الجارات, وتغض النظر عن مشاهدته لأفلام الجنس, والذي عندما يستدعى إلى قسم الشرطة ينكر وعرفته برجل مشتبه به, ولكنه يقر بمعرفته بزوجة الرجل ويؤكد أنها جارته لأنه كان يتلصص عليها من البلكونة..
وكذلك الموظف المنضبط الذي يجذب انتباهه حادث سقوط رجل في حفرة عميقة مملوءة بالماء والطين فيتأخر عن عمله وكأن الوقت قد سقط في الطين أيضا.. وقصة الطفل الذي يفقد أمه فيستحضرها ويلعب معها في غياب أبيه ويلوذ بالسكينة في حضوره, الأمر الذي يؤثر على سلوكه عندما يصبح رجلا عاجزا عن المواجهة ومنسحبا من الحياة.. وغير ذلك من القصص التي ترصد وتستقصي أسباب وعوامل خلخلة الاستقرار النفسي والاجتماعي والقيمي في المجتمع, والتي يمر عليها الكاتب بشفافية دون التورط بالرصد المباشر تحت دعاوي الواقعية..

وبعد

فإن القاص الشاب **يحى فضل سليم** قدم في مجموعته الأولى قصصا ناضجة في المبنى والمعنى, ترهص بكاتب متميز الأداة الفنية, والرؤية الجادة, تشغله أسئلة القصة لغة وسردا وتقنيات, يتجاوز أساليب السرد التقليدي ولا يتنازل عن الحكاية والحدث في القصة, يملك حساسية تحسب له في التعامل مع الأزمنة والأمكنة, كما يملك قدرة استبطان الداخلي والمعنوي ولا يتوقف كثيراً أمام الظاهري إلا إذا دعت الضرورة لذلك, يساعده على ذلك جملة مقننة ورشيقة خالية من الزوائد, والإضافات غير المبررة.. يجيد التحرش بالحدث اليومي ليسحبه إلى داخل الفرد الإنسان ويحاكمه في فضاء فني ويكسبه بعدا مقنعا يأخذ القارئ إلى متعة المتابعة..

*** يحى فضل سليم كاتب بقيم في الإسكندرية**

مكابدات الواقع في زمن بعث المراثي

"قراءة في قصص زمن بعث المراثي للقاص محمد عبد الوارث"

في قصص, **زمن بعث المراثي**, للكاتب السكندري, محمد عبد الوارث. نجد أنفسنا إزاء كاتب مؤرق, وغير محايد, يصطلي بنار المعاناة ويعيش رماد الحرائق, يقف عند ذهول إدراك البواعث والأسباب وهول النتائج. ويعيش على قضم لحمة أمام الذرائع, وينصهر في مرجله الخاص مبدعا يطلق الصراخ أنينا, ويكتم الفرحة بعد أن فقد لون الضحك منذ بواكير الزمن الأول.. يعيش مكابدات الواقع السياسي والاجتماعي المصري والعربي برؤية الغاضب على المقدمات والمفجوع بالنتائج, التي تأخذ الواقع المعاش إلى حافة الفنتازيا أو الجنون, وتدفع الكاتب إلى ترددات تنعكس توترا غاضبا, واحتراقا داخليا, محمولا على لغة شاعرة تمازج بين الاختبارات الوجدانية والكتابة البصرية لتوليف مشهدية قصصية تهرب من جفاف مباشرة السياسي إلى الق وتضمينات الإبداعي وتقديم بنى قصصية تشير إلى كاتب يعرف ما يريد تأتيه القصة بعد مخاض طويل..

إسقاطات على رجع الصدى

في قصة **الصوت والصدى** تلوينات من مكابدات الواقع المعاش.. تأتي على وقع أصداء عاشها الراوي / المؤلف, من خلال جلب العالم على شاشة التلفزيون متنقلا بين محطات البث, والإعلانات المخادعة, يتابع فريقه في لعبة كرة القدم.. يستفزه سوء الأداء واللامبالاة والتقاعس عن رد الهجوم, وفقدان الحمية لتحقيق أهداف ميسورة, فيخرج عليه المارد الالكتروني الذي يصله باللاعبين, ليحاورهم مباشرة ويحاول تنبيههم للأخطاء.. لكن المتحكم في البث سرعان ما ينتقل إلى فاصل من الإعلانات وكأنه متواطئ في إيقاع الهزيمة.. مما يجعل الراوي/ المؤلف يذهب إلى السير على الكورنيش,هروبا من إحباط الآني باستدعاء أشواق الماضي, على رجع أغنية محمد عبد الوهاب عن سر الليالي, والنوارس تخفق بأجنحتها على صدر الماء.. يمشي على بلاط الكورنيش ويتذكر من مر عليه على مر العصور..

وفي البيت تثبت الصورة على جمال عبد الناصر وأنور السادات وقد وقفا متقابلين كل منهما ينظر للآخر بابتسام, وعندما يحاول مسح شاشة التلفزيون لسبر معنى الابتسامات, يتغير البث إلى فاصل إعلانات..

وفي مقام آخر, يظهر القائد صدام حسين في اجتماع لمجلس قيادة الثورة, يقف إلى جواره حرسه الخاص بغدارته.. يعاتب بطل القصة الرئيس الذي يحب شعب مصر, وشعب مصر يحبه, ويتمنى عليه أنه يترك هامشا للديمقراطية, وحرية التعبير عن الرأي, لكن القائد ينظر إليه شزرا, وتتحرك غدارة المرافق فيهرب الراوي/ المواطن إلى قناة أخرى تبث طربا.

وينتهي بطل القصة إلى سجال على أحدي القنوات, مع أصولي متشدد يفتي بقتل تارك الصلاة ويرفض مناقشة اجتهادات أهل السنة ويرفض مناقشة أي رأي آخر..

فهل استطاع الكاتب طرح أسئلته وإشاراته حول الفصام الذي تعيشه النخب العربية المتحكمة في القرار والتي تتجمل بأدوات تزيدها بشاعة, وتؤكد هزيمتها أمام منطق الحياة؟؟

وفي قصة **الصوت والانسياب** نجد تداعيات الغربة, والحنين لصاحب الصوت الواثق بالحياة الصامد أمام العاتيات, الذي تشكل معه عقله وقلبه على عشق الوطن, يتردد في جوانب وجدانه أغنية "**خلي السلاح صاحي**", لكن أسراب الخفافيش سكنت في الجوار, حاصرت منابع الرزق, وجففت إرادة الصمود, مما دفعه إلى الهروب من موت القهر في الوطن, إلى موت الحنين في المغترب, وهناك يعمل سائقا لحافلة نقل الركاب من الضواحي إلى قلب المدينة, تلح عليه المقارنة, بين حافلات الوطن المكتظة بالركاب, لدرجة فقدان مساحه الهواء في الصدور, والسير على إسفلت مجدور بالحفر والمطبات تضيف إلى المعاناة عذابا أمض, وبين حافلات من طابقين لا مكان فيها لواقف, تقف عند المحطات, يصعد إليها ركاب بعدد ما يهبط منها, بدون تزاحم, تسير على إسفلت ناعم أملس, ومع ذلك يداهمه الصوت الواثق رغم بؤس مقارنة يكون الوطن فيها خاسرا, والحياة في موت مؤجل,..

ومع ذلك ينتصر الانتماء, ونسمع في النص, وجيب قلب ينبض ويبوح بما لم يبح به اللسان, من خلال عذابات صامتة, صائمة على جراحها, تنعش فيه وشيجة الوطن, وتسحبه إليه ليعيد اكتشافه من جديد وبأرق جديد..

فنراه في **قصة زمن بعث المراثي**, يرصد أبا الطيب, المسلم العصامي, عامل صف الحروف في المطبعة, الذي أخذته الحروف إلى الكلمات والسطور وصفحات الكتب, فعشق الكتاب والسنة وأخبار السلف, والتاريخ المضيء, بحث عن سبيل الخلاص وانحاز إلى أهل اليمين, ولكنه سرعان ما ينفصل عن الحزب, بعد أن تيقن أن من رجالاته يقولون ما لا يفعلون,

أبو الطيب يرحل عن مصر بعد صراع الثورة مع الأحزاب ويعود بعد ثلاثين سنة, ويقيم في ضاحية عند طرف المدينة, ينتقد من ابتعدوا عن جادة الدين الصحيح, ويقرأ على مريديه

أخبار السلف, يسقط تواريخ الأحداث على أرقام صفحات كتاب أخضر يقرأ منه, فنـــراه فـــي العام 112 يأتي على انتصار المسلمين على الفرنجة, وفتح بلاد الأندلس, وفي العاما91 يأتي على موضوع العفو عند المقدرة, من خلال انتصار صلاح الدين في معركة حطـــين, وتقـــوم دعوة أبي الطيب على أسباب نصر المسلمين هي الراية الواحدة, والكلمة الواحدة, والعزيمـــة وفضل الله, لذلك نراه يذكر مريديه بأقوال الجنرال جورو عند قبر صلاح الدين فـــي جـــامع الأمويين بدمشق في العام 1917" قم يا صلاح الدين..ها قد عدنا" ولأن المسلمين تشتتوا فرقا وشيعا يحدث مريديه عن العام 1924 الذي طويت فيه الصحف وكسرت الأقلام حيث أدعـــى البعض الكمال وهم غير ذلك ربما كانت إشارة لقيام حركة الإخوان المسلمين, وربما كانـــت تمهيدا لإرهاب السلطة التي أجبرت من لم يشايعها على حرق كتب الرأي الآخر, كما حـــدث في إشارة لرجل الأمن له الذي يطلب مقابلته, ويذكره بما حدث مع شيخ قبل خمـــسين ســـنة اضطر مرغما لحرق الكتب طلبا للنجاة..

والسؤال الذي تتركه القصة معلقا, هو أين يقف كاتبنا من موضوع الإسلام الـــسياسي, وقـــد أصبح ظاهرة تلقي بظلالها على الحياة في مصر والعالم العربي والإسلامي وما تناسل منهـــا من إرهاب سياسي, حصد آلاف الأرواح وكرس غريب الأفكار, وفرخ كثيرا من الأحـــزاب والشيع؟؟

في تقديري أن كاتبنا يربط بين هذه الظاهرة وموضوع غياب الديمقراطية والمشاركة الحقيقية لكافة أطياف الشعب الواحد, كما هو الحال في العالم العربي والإسلامي, ولعل فـــي إشـــارة معركة الأحزاب غير المتكافئة إشارة لتسلط فكر المنتصر, الذي يؤدي بالضرورة إلى تـــشدد مضاد, ولعل ما ورد في القصة عن غياب أبو الطيب وعدم العثور على مداســـه وطاقيتـــه, إشارة إلى غيبة مؤقتة يعززها بقاء كتابه الأخضر الذي تداعبه نسمات الريح..

الكاتب دائما يعيش الأرق والغربة عن عالم اختلت موازينه وقيمه وأعرافه, يعـــيش الفجيعـــة ويعبر بوجع ولا يتوقف عند حدود الواقع المصري, بل يتعداه إلى ما هو اشمل على المستوى العربي, بشعور عربي وحدوي يؤمن بوحدة المصير

في **قصة العرس**, يفيض به الألم, ويتداعي بلغة شعرية تفيض ألقاً وعذابا, وهو يتتبع العروس التي يجبرها المحتل الصهيوني على مغادرة القرية, حاملة معها ذكرياتهـــا وآلامهـــا, تقطـــع الطريق المدمر من قبل آليات العدو, وتسترجع صورة ابن عمها, الذي حرقوا يديه في التعذيب قبل أن يقتلوه, وكيف لوح لها فارداً أصبعيه بعلامة النصر, وفي مشهد مقابل يرصد الـــصلف الصهيوني الذي يقوم على شطب الشعب الفلسطيني, ويرتكب المجازر لتفريـــغ الأرض مـــن سكانها, ويعيث فسادا وقتلا وتدميرا, ويشير الكاتب برهافة إلى وليد يبقى حيا تحت الأنقاض,

يقضم قطعة خبز مبللة بالدم, في إشارة منه إلى استمرار الصراع بين الحق العربي والباطل الصهيوني, على امتداد الأجيال..

ويبدو في القصة أن كاتبنا لم يكن راويا محايدا, وإنما كان متفاعلا مع البطلة, وعلى وعي بما يريد توصيله إلى المتلقي, بعيدا عن الصراخ الفج, راصدا المعاناة الداخلية للبطلة, بلغة تفيض حرارة وعذوبة, محملة بإشارات تاريخية وسياسية, وحتى ودينية مؤكدا على محركات الصراع وبواعثه

الإبحار في ثنايا الوجع الفردي

لا ينفصل الوجع الفردي عن الوجع العام, بل هو من إفرازاته السلبية, الأكثر إيلاما على الفرد, الذي يكابد الحياة مجردا إلا من غريزة حب البقاء, ونوازعه الإنسانية العامرة بالخير والعطاء, والرغبة الحقيقية في الحياة, لكنه دائما المطحون, قبل أن يستشرف الحلم..

في **قصة الوجبة** نرى العامل الفني الميكانيكي, محمد جابر ينتقل إلى العمل في مشروع الاستصلاح البعيد, ويعيش حياة الشظف والحرمان لتوفير خلو الشقة, ويؤجل رغباته حتى يحقق حلمة, ويتعايش مع الطعام الفقير في العمل, ما يولد لديه الإحساس بالقهر كلما تذكر طعام أمه, ويعزز هذا الشعور لديه ما يتسرب من روائح من مطعم المهندسين, وفي يوم يصعد على فاقته ويذهب إلى استراحة المهندسين, ويشعر بالفارق الطبقي بينه وبين فئة تعلوه اجتماعيا, وترأسه في العمل, ولكنه يفاجأ بقرار المدير بإنهاء انتدابه..

هل كان ذلك عقابا له على أحلامه بتجاوز مكانه المرسوم له, ولو بتذوق طعام محرم عليه, أم هي القوانين المفتعلة أو المختلة التي تشوه معالم الحياة..

يرصد محمد عبد الوارث هذه التداعيات برشاقة, على عبارات متوترة سريعة يسقط إشاراته برصده لحال الأبقار في المزرعة التي توازي حاله بطل القصة, فهي وادعة لاهية تسرح في الشمس وتسير على ضفاف الماء موفورة الصحة, عندما يكون بطل القصة في ذروه العطاء, وتتحول إلى جثة ميتة تطفو على سطح الماء في نهاية القصة, عندما يقتل حلم البطل في توفير خلو الشقة, التي تشكل طوق نجاة وعبور لحياة مستقرة...

وفي قصة **شطر المدينة** نرى الذي حمله القطار طفلا إلى موطن جديد, يتذكر كيف كان يتلهى حافيا مع أتربه, يتفرجون على المطاعم والمحلات والنساء المتلفعات بالفراء, يفوح منهن عطر لا يدركون مغزاه, فكل ما يملكون هو مواصلة التلهي والفرجة..

ها هي الحافلة تقله إلى محطة القطار بعد أن أنهى خدمة الوطن, وها هو محشور لدرجة الاختناق في الحافلة لتنفيذ المأموريات, يشعر بالاختناق فيهبط من الحافلة, وقبل أن يستنشق

هواء الطريق يكتشف أنه سُرق.. وفي مخفر الشرطة يجد الطفل توفيق آدم حسن أمام الضابط متهما بسرقة امرأة تنوء بأسوارها وأقراطها الذهبية, تُشهد عليه كل الناس.. فيأمر بتوقيف على ذمة التعذيب حتى يعترف.. وعندما يفتح الضابط محضر تحقيق مع بطل القصة يفاجئنا كاتب القصة أن اسم البطل أيضا توفيق آدم حسن.. في إشارة ذكية إلى أن المواطن هو المتهم ببراءته وقناعته في زمن فقد الرحمة

أما في **قصة انتصر على شيء** ما, نقف مع تداعيات موظف بسيط وإسقاطاته, مع بواكير الصباح الندي, والشوارع خالية تودع بقايا الليل, وكلب ذهبي الشعر يتقافز ويعبر الطريق إلى الرصيف المقابل, وكأنه المنتصر على السيارات التي تمرق عنه كالسهم..

الكلب يبحث في القمامة ويرشق الجدران بولا وكأنه يهزأ من سائقي السيارات الشاخصين إلى لاشيء

وفي صباح آخر, يظهر على الإسفلت مضغة غريبة مجبولة ببقايا شعر ذهبي لا مع.. ويظهر كلب اسود, يتقافز على الإسفلت للوصول إلى الرصيف المقابل, يطل من عينية ومميض غامض

أي غموض يا ترى؟؟

هل هو غموض المصير الذي ينتظره؟ أم وضوح النهايات الحتمية التي باتت تأخذ بطل القصة إلى ذات مصير ذو الشعر الأصفر اللامع, دون التفات أو اهتمام من أحد!!

<u>ومض شررحارق</u>

كاتبنا يعيش الأرق حتى ذروة الاشتعال,ويختبر العذاب حتى حد التجلي, يرصد ذاته من خلال رصده للحياة من حوله بكل مكوناتها, يستعذب التهويم وامتطاء حصان اللغة, بقدرة عالية على الإيجاز والتضمين, وإطلاق الرسائل عبر نصوص قصيرة جدا توصل المعني مع البهاء الإبداعي..

في **قصة لافتة**, يرصد استهلاك كائن بشري, حيث يدخل بوابة مصنع الصناعات الغذائية في الساعة الثامنة صباحاً, فتيا عفيا يطفح بالنضارة والعطاء, وتلفظه ذات البوابة في الرابعة مساء ناحلا ممصوصا متغضن الوجه وكأنه يعاني جوعا أبدياً!!

وفي **قصة إشارة** يرى في الفضاء حدأتان تطاردان حمامة, ويرى العمارات الشاهقة تحجب وجه أبي الهول, ويرى الناس ينتظرون عند إشارة المرور لاجتياز الطريق إلى الرصيف الآخر, ولكن الإشارة تتبدل كل مرة إلى اللون الأحمر, وكأني به يقول: أن الناس في الوطن يعيشون نزف الانتظار؟!

وفي **قصة بث مباشر** يهجر صوت المذيع, يلهب الجماهير الزاحفة نحو القدس خلف القائد المظفر, حامل الراية ليثبتها على بيت المقدس, لكن الراية ذات النجمة السداسية هي من يختال في وجه الريح..

وفي **قصة طلقة**, تكون الشمس معلقة في الفضاء, والنهار يتشبث بخيوط المغيب, والفتى يصوب سلاحه, ويطلق طلقة تمطر الدم فوق الماء المالح..

فهل تكون طلقة الفتى هي سبيل الخلاص؟

وفي **قصة فارقة**, يرافق المرشد السيناوي فوج السياح إلى الحدود مع الطرف الآخر, ويشرح لهم عن المجازر التي ارتكبها الآخر في حق البشر والشجر والحجر ونسف آبار المياه, وعندما تجتاز الحافلة الحدود إلى هناك, يشاهد السياح الطرق النظيفة, والخضرة والنظام والجنود النشيطين, وفي طريق العودة كان صوت المرشد خابيا ضعيفا لا يصل إلى آذان السياح.. فهل في ذلك تنبيه إلى سبب الهزيمة لعدم تكافؤ مؤهلات الصراع!!

وفي **قصة ضَرَبَ**, يتداعي مع الفعل ضَرَبَ, مع الذي ضرب الأرض, فأخرجت ثمار الكنتالوب, والذي ضرب زر الآلة, فأخرجت عبوات الشراب الشهير, والعازف الذي ضرب الآلة فزعقت الموسيقى في مكبرات الصوت, والمعلم الذي ضرب مثلا, وحل المسألة, وانطلق سريعا إلى درس خصوصي, وضارب العملة الذي ضرب أوراق العملة من فئة العشرة والعشرين والخمسين والمائة, فاحتار الموظف الذي دخله 99 جنيها, لأنه لا يستطيع شراء شيء.. لأن المواطن هو المضروب الأزلي بشتى وسائل الاستغلال..

<u>وبعد:</u>

فالقاص محمد عبد الوارث, في رحلة دائمة لاجتياز مساحات الرؤية, بأقصى ما يستطيع من اللهاث, وإطلاق الفكرة بأضيق ما يكون التضمين والتشفير والترميز.. يلعب لعبة صعبة يجيدها على حصان القصة القصيرة الحرون, فتأتيه القصة طيعة بعد طول مخاض, لأنها تنبثق في الأصل جنينا لفكرة, أو تحديقا مختلفا في ظاهرة, أو إعلاما يتجاوز ما نرى ونعتقد.. وهو المقتصد الحذر من مغريات السرد.. يبعثر الانديكاحات والتهويمات هنا وهناك, ولكن المدقق ما بين السطور, وعند منعطفات السرد, يقرأ رسائل الكاتب من خلال القبض على البياض في أتون السواد, والإصرار في مساحات التخاذل, فهو الكاتب الذي لا يتوقف عن الغناء للحياة ..

--

*** محمد عبد الوراث قاص مصري يقيم في الإسكندرية**

*** زمن بعث المراثي – مجموعة قصص قصيرة – منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة– الطبعة الأولى 1999**

تهاني مرسي في أبجدية الدم

تهاني عمرو تهرب من توحش العلم إلى شفافية الأدب

في مجموعتها القصصية الأولى "أبجدية الدم" تقف الكاتبة تهاني عمرو مرسى مصدومة لدرجة الفزع أمام الحقائق العلمية وتطبيقاتها التكنلوجية، وتشهد تصدع القيم والأخلاق، واختلاف العادات، وتجاوز حتى المنظور الديني للخير والشر في حياة الأفراد والجماعات.

والكاتبة أكاديمية متخصصة في علم الكيمياء، رسّخ العلم في عقلها ووجدانها حقائق لا تقبل الجدل أو النقاش، ولعل ذلك ما يؤرقها ويجعلها تشهد التناقض في ذروة تداعياته، ويطرح أمامها أسئلة تعيد صياغتها في نتاج من نوع آخر، بإدخاله في مختبر القصة القصيرة. فكيف تلتقط أفكارها، وكيف تتداعى معها، ومن أي زاوية تنفذ بأحاسيسها إلى لحظة اشتباك الحياة مع العلم؟.

تلك رحلة ممتعة ومفاجئة نراها في **قصة قمة السلّم** ترصد حالة فتاة تم استنساخها عن سيدة الغناء العربي في قمة تجلياتها، بالتحكم في شبكة العلاقات الوراثية، وجعل الصورة مطابقة للأصل، لكن الفتاة الموجهة نحو الغناء فقط تتحسس موهبة الرسم المقيدة فيها وهي الملهوفة لرسم أمها وأبيها فتقع في صدمة السؤال الاجتماعي حول ماهية الأب وماهية الأم، وهي التي نشأت من عقل العالم التي حدد لها مسيرتها وأوجدها على الصورة التي رسمها دون المرور بالمراحل الطبيعية، وعندما تختبر الفتاة مشاعرها، تجد نفسها فتاة في الثمانين كما كانت عليه الأصل(أم كلثوم) تنتظر نهايات العمر، وتعيش شيخوخة الجسد والرغبات بانتظار الأفول, فلا تملك الصورة المستنسخة غير التمرد وصب غضبها على من أوجدها على هذه الحالة الغريبة الشوهاء.

وتعود الكاتبة إلى ذات الموضوع من زاوية أخرى في **قصة الأضواء الخابية**، حيث يوافق العالم الحائز على جائزة نوبل على تخليد نفسه باستنساخ عالِم على صورته، فيفاجأ أن الصورة تفكر وتنتج ما يريد إنتاجه، وتقدم أبحاثها ومكتشفاتها ما يفقده تميزه وشخصيته، ويقع بين الوهم والواقع، من ظل من؟ الأصل أم الصورة؟ ويستبد به القلق عندما يرى ظله يسبقه مرة ويتقدم عليه مرة أخرى.

وفي **قصة أحلام موءودة** يكتشف علم الوراثة الجينات(المورثات) التي تتحكم بسلوك الأفـراد فيقوم الطبيب بإدخال العريس الذي أتاه للكشف الطبي في سحابة مادة الهيدروبروميك الصفراء فتسبب له العقم، حتى لا ينجب ابناً مجرماً كما يظهر من شبكته الوراثية, وعنـدما يكتـشف الرجل الحقيقة فيما بعد، يصيبه الأسى بفقده الحق في ممارسـة الأبـوة, ويحمـل الطبيـب المسؤولية..يفيق الطبيب على فجيعة ما فعل ولكن بعد فوات الأوان.

وفي **قصة ويخط القلم**, نشهد المفارقة السوداء، حيث يقف القاضي حائراً أمام قضية زوجة في الثمانين عولجت بحقنه البوتوكس فعادت إلى بهاء وحيوية امرأة الثلاثين، فتتقدم إلى المحكمة تطلب خلع زوجها الدبلوماسي الذي لم يتأخر عن تدليلها وتحقيق رغباتها.

القاضي وعلى غير قناعته الشخصية يمتثل للقانون ويصدر حكم الخلع، وفي البيت تقف لـه زوجته بإصرار عنيد لأخذ ذات الحقنة، حتى تظهر شابة جميلة يوم زفاف ابنتها، وإلا تركته إلى غير رجعة، ولكنه وقبل أن تغادر الزوجة يتخذ قراره:

- أنت طالق

وعلى جانب آخر تقف الكاتبة حزينة غاضبة أمام تدهور أخلاقيات العلماء, وما يترتب عليها من نتائج سوداء ففي **قصة توسلات فارغة** يتواطأ الطبيب الجراح مع عائلة ثرية ضد شـاب فقير يدفعه الفقر والجوع إلى مغامرة التبرع بأحد أعضاءه لابن العائلة المريض.

يعاين الطبيب نتائج فحص الشاب ويؤكد صلاحيته للتبرع, غاضاً النظر عن مرض الروماتزم المزمن الذي أضعف عضلة قلبه, ما يسبب خطراً مؤكداً على حياته.يقنعه الطبيـب بـالتوقيع على استمارة التعهد بالموافقة على اجراء الجراحة، ولكن الشاب يصحو ويخـرج لا ينظـر خلفه، ويذوب في دنيا الله الواسعة.

وفي **قصة الزجاج** تمضي بنا الكاتبة إلى حفل زفاف طبيب النساء والـولادة، الـذي يجـري عمليات ترقيع لغشاء البكارة، ويساهم في خداع الأزواج الطيبين، بشرط أن تحـدث الدخلـة خلال 72 ساعة لضمان نزف دم الشرف, وفي الحفل تحضر إحدى زبوناته " وهي بالـصدفة زميلة عروسه في العمل " مع زوجها المهندس لتهنئة العروسين، يقبله المهنـدس المخـدوع مازحاً سعيداً:

- نحن السابقون وأنتم اللاحقون.

يسقط الطبيب في الشك والريبة "بدلاً من الغرق في بحر عيني العروس" ويفتش فـي عيـون أصدقاءه الأطباء، من منهم يرمقه بنظرة ازدراء ساخرة..

وعندما ضمه عش الزوجة مع عروسه كان ما يشغله كيف يؤجل دخوله بها 72 ساعة, فهـل يقطع الانتظار دابر الشك في زوجة ربما تكون بريئة من الرجس والدنس, وهل يعود زجـاج البراءة إلى سابق عهده بعد أن انكسر؟ ولعل ما يجعلنا حائرين أمام فجيعة الأقدار، هو كشف

غوامض الأسرار في لحظة اختبار مفاجئة كما حدث لمعلم البيولوجيا الذي يؤمن بما لا يـدع مجالاً للشك في قوانين مندل الوراثية، التي تفسر توريث الصفات كتفاعل بين ما تحمله أمشاج الذكور والإناث عند تكوين الأجنة، وعليه إذا كانت فصيلة دم الفرد AB وفصيلة دم أمـه A فلابد أن تكون فصيلة أبيه B هذا السؤال طرحه على تلاميذه فتهرب منـه الطالـب الغبـي المشاكس، وأجاب عليه بثقة الطالب المجد المجتهد, وعندما يعود إلى البيت يعجب من حالـه، وهو صاحب فصيلة الدم AB فيقوم إلى وثائق تحقيق الشخصية لأمه فيجدها من فـصيلة A وتكون فجيعته عندما يكتشف أن دم أبيه من فصيلة O وانه ابن غير شرعي حملت أمـه بـه سفاحاً، ما يفتح عليه ضباب زمن أصبح بعيداً عنه، لأم مشاكسة، وأب حزين أقدم على قتلهـا في ظروف غامضة عندما كان هو طفلاً في الخامسة.. ينظر إلى صورة أبيه فيرى الابتسامة المحيرة ما زالت تسكن وجهه الصامت.

وبعد:

فإن الكاتبة تميل إلى لغة سردية موحية، يساعدها على ذلك زاوية التقاط موفقـة،ما يجعلهـا تعيش الجرح المفتوح، تراقب بحساسية مفرطة أنين النزيف، فيـصيبها الرعـب مـع دوي التصدع والانهيار, فتعيش الكابوس وتأخذ من القصة القصيرة طوق نجاة.

*** تهاني مرسي قاصة شابة تقيم في الإسكندرية**

ملتقى الصداقة الثقافي

دار الصداقة للنشر الإلكتروني

http://www.alsdaqa.com/vb

http://www.alsdaqa.com/vb/forumdisplay.php?f=95